

مجلة تراثية فصلية محكمة

# الأمور

تصدرها وزارة الثقافة والاعلام - دار الشؤون الثقافية العامة - جمهورية العراق  
المجلد الخامس والعشرون - العدد الثاني - ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م

[WWW.ATTAWHEEL.COM](http://WWW.ATTAWHEEL.COM)

أسرة المجلات



WWW.ATTAWHEEL.COM

# المورد

مجلة تراثية فصلية محكمة

رئيس التحرير: النور بنور النور

تصدرها وزارة الثقافة والأعلام - دار الشؤون الثقافية العامة - جمهورية العراق

المجلد الخامس والعشرون - العدد الثاني - ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م

□ رئيس التحرير : محمد إسماعيل جعفر

□ مدير التحرير : منقر الجبوري

□ مسكته التحرير : سعاد هادي ديكار

○ الهيئة الاستشارية

○ د. نوري عبد الحميد داود

○ سامية ناصر النعيمي

○ د. نوري عبد الحميد داود

○ سامية ناصر النعيمي

رقم الايداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (١٠٠) لسنة ١٩٩٧

دار الشؤون الثقافية العامة - الأمانة - التحرير - بغداد - جمهورية العراق  
الطبعة الأولى: ١٩٩٧  
الطبعة الثانية: ١٩٩٨

□ تصميم وتخطيط : ميسون حامد نجم

الأسعار

• العراق (١٥٠) ديناراً البلدان العربية (٦) دولارات أو ما يعادلها ، الدول الأجنبية (٧) دولارات أو ما يعادلها .

إعتباراً من هذا العدد يضاف باب ( قراءة في نص قديم ) الى أبواب المجلة الثابتة ، ويتناول بالتحليل نصاً قديماً ، شعرياً أو نثرياً ، على وفق لدرس النقدي المعاصر . كما استحدثت المجلة باباً جديداً باسم ( من أعلام الفكر والفن ) . إعتباراً من العدد القابل يتم فيه دراسة أحد أعلام الفكر والفن دراسة موضوعية جادة تتناول منجزه الابداعي بما يضعه في موقعه من سياق بنائنا الثقافي الشامخ .

وسوف نقدم - على سبيل المثال لا الحصر - في هذا الباب اعلامنا الكبار : الاب انستاس الكرمل ، وأبا التناء الالوسي ، ومحمود شكري الالوسي ، وجميل صدقي الزهاوي ، وطه باقر ، وجواد علي ، ورفائيل بطي ، ومحمد رضا الشبيبي ، وداود الجليبي ، وعلي الوردي ، وابراهيم الوائلي ، وطه الراوي ، وأحمد صالح العلي ، ومصطفى جواد ، وعبد الحميد العلوجي ، وعبد الجليل الطاهر ، وصفاء خلوصي ، ومعروف الرصافي ، وهاشم الخطاط ، وغيرهم ممن وضع لبنة في صرح الفكر والفن . وفي ذلك اعتراف بالفضل الجليل الذي طوقوا به عنق تاريخنا المعاصر ، وإعتباراً للأمانة التي اضطلموا بها في أخطر ميادين النشاط الانساني من جانب ، بالاضافة الى ما يحمله الباب من مغزى إطلاع الاجيال الجديدة على إبداع السلف في مضمار بناء حضارة الوطن والامة .

وتهيب المجلة بكتابها وقرائها الافاضل بالكتابة اليها في البابين المذكورين خدمة لتراثنا الثقافي وإغناء مجلتهم .



## الولادتان

يحتفل شعبنا في العراق وفي الوطن العربي الكبير بمناسبتين تاريخيتين في شهر نيسان من كل عام تلكما هما ميلاد حزب البعث العربي الاشتراكي في السابع منه ، وميلاد الرفيق القائد المنصور بالله صدام حسين في الثامن والعشرين منه بالاضافة الى تحرير الفاو مدينة الفداء وبوابة النصر العظيم . وليس صدفة ان تتزامن المناسبتان في شهر واحد هو عطاء الحياة ، وربيع الزمن ، فلقد قدر الله جلّت قدرته ان تكون ولادة البعث ايذانا بولادة القائد ، وكانت ثورة السابع عشر - الثلاثين من تموز صلة الوصل بين الحدثين المباركين .

ولقد كان المشروع النهضوي القومي الذي استلهمته الثورة من مبادئ الحزب ، وتعهد الرفيق القائد بالتطوير والإنماء والتطبيق حافزا لتعبئة طاقات المجاهدين والمبدعين في مختلف الميادين والحقول ، وتفجيرها على طريق البناء ، والنهوض العلمي الرصين لإقامة النموذج الوطني القادر على الإستقطاب والإشعاع والتوسع باتجاه افقه القومي المنشود .

وقد بلغ من شموخ البناء ، وعظمة الإنجاز ما هدد المصالح الإمبريالية والصهيونية بالزوال ، فكان العدوان الثلاثيني الغاشم ، بصفحتيه العسكرية الآثمة ، وحصاره الظالم ، واللذين واجههما شعبنا الأبى ، بقيادة القائد الرمز ، بصبر قل مثيلة ، ومطاولة عز نظيرها .

ان ذكرى البعث ، وميلاد القائد الرمز حافز لجماهير شعبنا وامتنا على مواصلة التصدي للمشاريع الإستعمارية ، لإنقاذ الحقوق الوطنية والقومية . كما ان ذكرى تحرير الفاو مدينة الفداء وبوابة النصر العظيم كانت وستظل نبأ سائما يهدي جماهير امتنا على طريق تحرير الأراضي المفتتصة ، وأملأ كبراً يحدوها نحو تذليل الصعاب ، واسترخاض التضحيات من اجل مجد الامة ، وشرفها ، مسئلة تاريخها الرسالي الحافل بالبطولات والمآثر .

الف تهنئة لقائدنا الحبيب في ذكرى ميلاده الميمون  
والف تهنئة لحزينا العظيم في يوم تاسيسه الخالد

وطوبى للفاو العزيزة بيوم التحرير الاغر .  
رئيس التحرير



# الرمزية في موضوعات القصيدة العربية قبل الاسلام

د. بهجت عبد الغفور الحديدي

كلية الآداب - جامعة بغداد

## المقدمة :

لم يتفق النقاد القدامى ولا المحدثون على قضية كإتفاقهم على جودة الشعر الجاهلي وحسن نظمهم وقوة سبكه وجمال صوره ولطافة معانيه وصدقها وقوة مبناه وعمق مدلولاته ، فهو بحق نسيج وحده ، ظل قبلة الشعراء العرب في عصورهم المتقدمة والمتأخرة ، به يأخذون واليه يصيرون ، ومثلهم الذي يحتذون ونموذجهم الامثل الذي به يقتنون ومنه ينهلون .

على ان النقاد المعاصرين قد اختلفوا في النظر الى بنية القصيدة كما اختلفوا حول صياغتها الادائية ودلالاتها الفنية والموضوعية وهم على هذا ثلاثة اصناف : صنف قال : بواقعية الشعر الجاهلي وتشبثه بالحقيقة واتصافه بالبساطة والوضوح وصنف قال بعمق القصيدة الجاهلية وقدرتها الاليائية وخصوبة معطياتها الفكرية والفنية والنفسية ، بل ذهب هذا الصنف الى ابعد من ذلك ، فقال برمزية دلالاتها الموضوعية والفنية وعلوها على التعبير ، واعتمادها على التعبير الرمزي الذي يخترق الجدار السطحي ليصل الى اعماق النفس فيثري المعاني المتعددة ويخصب طاقاتها الفنية والجمالية .

ومريق ثالث وقفه موقفاً وسطاً ، ودعا الى الاعتدال ، قال : بجودة الاسيطة الجاهلية ونضجها واكتمالها وعدم بساطتها ، ولكنه رفض الغلو في التفسير الرمزي وانكر الاغراب والتعقيد في معانيها وفي دلالاتها الفنية ، مع رفضه القول : بواقعية الشعر الجاهلي ، وعدم تصويره للطبيعة تصويراً جامداً .

أقول قبل الميل اذهب الى مذهب من هذه المذاهب الثلاثة ان خلود القصيدة الجاهلية وامتداد تأثيرها الى شعر أربعة عشر قرناً بهذا الوجه أو ذاك يدعونا الى رفض المذهب الذي يقول ببساطة الشعر الجاهلي وواقعيته الحرفية ، فالشعر الخالد ليس نقلاً للواقع ولا مشاكلة له والا ما استحق ان يخلد ، إنه الفن الذي يمسك رؤية متميزة للواقع الذي يكتنفه ، وهو بلا شك يحرص على ان يخلق صورته خلقاً جديداً يعكس هذا الموقف أو ذاك .<sup>(١)</sup>

وحين نميل الى القول برمزية موضوعات القصيدة الجاهلية فاننا لا نعني بالرمزية الفموض والاغراب والتعقيد ، كما لا نعني بها تلك الاشارات او الالغاز والطلاسم التي يصعب على المتلقي فك رموزها وصعوبة دلالاتها الموضوعية والفنية والنفسية .

اننا نعني بالرمزية التي تلمحها في الشعر عامة وفي الشعر الجاهلي خاصة ، تلك الفترة التي تمتلكها القصيدة على اثاره تصورات ذهنية دلالية ، فضلاً عن قابليتها على اثاره المعاني المتعددة في نفس المتلقي الجاهلي ليس بالضرورة هو المعنى نفسه الذي تثيره في نفس المتلقي العباسي او المعاصر ... ان بين ايدينا مئات من الادلة التي تقود الى القناعة التامة باعتماد الشعر الجاهلي على الاسلوب التصويري والاقتصاد في استخدام اللغة الفاظاً واساليب ، مما يشجعنا على القول بغلبة التعبير الرمزي على التعبير المباشر ، وعلو الشعر الجاهلي على الواقع الحقيقي وبنائه بناءً لغوياً مجازياً حافلاً بالرموز والمعاني التي تكشف عن التوترات المختلفة التي كانت تحكم العالم الشعري وما يتصل به من المواقف آنذاك ، وهل الشعر إلا نسيج من الكلمات وصورها ورموزها وإيحاءاتها .<sup>(٢)</sup>

أقول : إن رمزية الشعر العربي عامة والشعر الجاهلي خاصة هي غير الرمزية التي تعارف القويون عليها ، فالرمز في القصيدة الجاهلية لمحة ادائية او مضمونية يختويها اطار ادائي يمتلك قاسمه المشترك بين الشاعر والمتلقي بينما ينجح الرمز الحديث الى بناء الاداء كله على الرمز الذي يفقد جسره المشترك بين الشاعر والمتلقي .

وعلى هذا فالرمزية التي نراها في الشعر الجاهلي ، هي التي تجسد الهواجس والنوازع النفسية وتعرضها كما تتولد في نفس الشاعر بصورة طبيعية من ترتيب المنطق يوماً تعقيد او اغراب . يقول الدكتور علي الجفدي : « اما الرمزية بالمفهوم العربي فقد نبتت اول ما نبتت من الادب الجاهلي واستعارت الوانها من طبيعة العقلية العربية الاصلية ، ومن مظاهر الحياة



الجاهلية الخالصة ، ونحن نعلم ان الرمزية العربية تعتمد على هذين الركنين : الایجاز وغير المباشرة »<sup>(١)</sup>

إن رمزية الشعر الجاهلي - انن - رمزية من نوع خاص تختلف عن الرمزية الغربية ، التي تفوص فيما وراء الحس وتحاول التعبير عما لا يمكن التعبير عنه تحت ستار من الاداء الغامض الذي يتيح فرص الشطط في التعامل والفهم والتفسير . اننا لا ننكر ولا يستطيع غيبن ان ينكر رمزية الشعر الجاهلي ، ذلك ان اللغة العربية في حقيقتها مجازية وان الشعر الجاهلي زاخر بالاستعارات والكنایات والتشبيهات والوان البديع الاخرى .

ان هذا الاسلوب الادائي العربي الفني الزاخر بالمجازية هو الذي اعطى الشاعر الجاهلي القدرة على نقل هواجسه واحاسيسه وحالاته النفسية والتوترات الحادة التي يعاني منها امام الحياة والموت والرحيل والاستقرار عبر كيانات موضوعية التقطها من واقعه اذ وجدها اكثر استشرافاً واكثر استيعاباً لمعاناته ، فاسقط عليها ما في نفسه ومنحها بعداً رمزياً لتصبح اكثر تاتياً او اكثر احياء واكثر جمالية وفناً . وليس الرمز في القصيدة الجاهلية محصوراً في المجرى الادائي التفصيلي ، بل هو ممتد الى مقاطع كاملة حتى اننا نستطيع القول ، برمزية الطلل والمرأة والناقة وثور الوحش والفرس وما الى ذلك من موضوعات وظفها الشاعر الجاهلي توظيفاً رمزياً للتعبير عما كان يجول في خاطره وما يشغله من قضايا كانت تواجهه وقد يعجز عن حلها .

ونحن نذهب هذا المذهب في تفسير موضوعات القصيدة الجاهلية لإيماننا بان الشاعر الجاهلي لم يقصد ذوات الاشياء التي كان يتحدث عنها ويصفها وانما كان يريد ما يخفى وراءها من معاني ورؤى وأفكار .

وسنحاول من خلال استعراضنا لتلك الموضوعات التي تؤلف جسد القصيدة ، الكشف عن معانيها ودلالاتها وايحاءاتها التي تقودنا الى القناعة التامة برمزيتها ، ذلك من خلال اضاءتها للتجربة او الوحدة الفكرية والفنية في النص ، على اننا لا نستطيع تعميم الظاهرة كما اننا لا ننكر المدلولات الواقعية والموضوعية الخالصة لتلك الموضوعات في كثير من النماذج .

### رمزية الطلل

أما الاطلال : فهي حجارة صماء ونوبي وأثافي سفح وأوتاد لا تعني شيئاً بذاتها ولكنها تعني كل شيء بالنسبة للشاعر الجاهلي ، تغني وجوده وتعني ذاته وتعني ماضيه وملاعب صباه وتعني وطنه<sup>(٢)</sup>

ان اللحظة الطللية هي النقطة التي تلتقي فيها ثلاث من

علائق الانسان : علاقة الانسان بالمجتمع في لحظاته السكونية وعلاقة الانسان بالمجتمع في لحظته التاريخية ( بالماضي ) وعلاقة الانسان بالطبيعة التي تشترط وجوده كله<sup>(٣)</sup>

ان وقوف الشاعر الجاهلي على الاطلال لم يكن محض تعلق بتلك النوبي والأتاد والأثافي قدر ما هو تعبير عن توترات كانت تقوم في نفسه بين الماضي والحاضر بين التألف الجمعي والتفريق بين الاستقرار او الرحيل بين المكان واللامكان بين الوجود الانساني واللاوجود<sup>(٤)</sup>

وعلى هذا فالاطلال ليست وحدة اعتباطية ، وهي ليست محض تقليد فني فرضته التقاليد التراثية ، فهي وان كانت - قبل امرئ القيس - استجابة موضوعية لمعاناة بيئية خاضها الشعراء وافردوا لها قصائد ذات موضوع واحد لم يصل اليها اكثرها ، الا أنها أصبحت - فيما بعد - صيغة مفرغة من مدلولها الموضوعي على الرغم من قدرتها على استقبال الزخم النفسي الذي تتطلبه التجربة الانية التي ... ضمنها المحور الموضوعي من القصيدة نفسها<sup>(٥)</sup>

انها اكثر من رمز شعري ، انها الرموز المتجددة في ذهن الشاعر والتي تعبر عن ارتباطات شتى ومكونات عديدة وتصورات مختلفة ذهنية وعقلية ونفسية واجتماعية تتردد جميعها الى عالم الذكريات ، وهي باختصار رمز اضر كل ما تتطوي عليه الاغراض وتتجه اليه المقاصد<sup>(٦)</sup>

اما نقادنا القدامى فلم ينظروا الى الاطلال هذه النظرة ، ولم يقدموا لنا تعليلاً كافياً ومقنناً عن مدلول الاطلال في مقدمة القصيدة الجاهلية سوى ذلك التفسير الموضوعي المفرغ من محتواه ودلالته النفسية والفنية .

ونحن هنا لا نريد استعراض آراء النقاد القدامى والمحدثين ، فهم مجمعون على أن الاطلال صيغة من صيغ التعبير التي اعتمدها الشعراء الجاهليون ليعبروا عن خلالها عما تكن نفوسهم وتجيئ به عواطفهم ومشاعرهم ازاء الاحداث التي كانت تواجههم ، وهي لم تكن بأي حال من الاحوال مقصودة لذاتها<sup>(٧)</sup> سيما في المرحلة المتأخرة او في الأقل عند الشعراء الفحول الذين اكتملت عندهم القصيدة ونضجت .

إن الذي يبعث الشاعر الجاهلي على القول هو المحور المركزي للقصيدة الذي اصطلحنا على تسميته بالغرض الرئيس او التجربة الموضوعية ، على ان الشاعر الجاهلي قد يقع تحت سطوة التقليد الشعري الذي تقتضيه ان يفتتح قصيدته بموضوعات لا تنتمي في ظاهرها الى غرض القصيدة كالطلل والظمن ... فهو في هذا النمط من القصيدة المتعددة الموضوعات ينطلق الى الموضوعات التقليدية من مناخ التجربة الرئيسية ( الغرض ) لانه لا يستطيع ان ينتزع نفسه من أجوائها وهو يتحدث عن الطلل او الحبيبة الراحلة او الناقة ... ولكن ذلك



لا يعني ان الامر اقتصر على هذا وانما نشأت حالة فنية جديدة ، وهي ان الفحول من الشعراء عمدوا الى هذه المقاطع التقليدية فشكلوا تفاصيلها تشكيلاً يهيء منها منافذ ينسحب المتلقي من خلالها الى الموضوع الشعري الذي سيواجهه في القصيدة . وهنا تكمن دلالتها ( الاطلاق ) الرمزية حيث تكون العلاقة بين الطلل وموضوع القصيدة علاقة الدال بالمدلول . يقول الدكتور محمود الجادر ( لقد آن لنا ان نتحرر من ايلة النظرية الموضوعية ونمط فهمها للرسم التقليدية فليس المعقول ان يكون كل شاعر صاحب طلل لا يمل من الوقوف . . . ويكأنه في كل قصيدة من قصائده أو أكثرها )<sup>(٨)</sup>

ان استقراءنا لعشرات القصائد المكتملة التي يفتتحها اصحابها بالطلل يقرر حقيقة كونه منفذاً رمزياً مهيئاً لتوفير المناخ النفسي الملائم للتجربة الشعرية من خلال انفتاح تفاصيله على المحور الموضوعي ( الفرق الرئيس ) ، وذلك من خلال رموزه من وشم واثافي ورماد ونؤي ومطر ونبات . وانطلاقاً من هذا الفهم للوحدة الطللية نستطيع القول إن الاطلاق وغيرها من الكيانات الموضوعية التي يبتها الشاعر في افتتاحياته اشبه بالارضية الخام التي لا تشكل باعث تأثير بذاتها قدر ما تستمد قوتها التأثيرية من مدلولاتها الرمزية التي تهيء للغرض الرئيس وترتبط معه .

ومن اكثر النماذج وضوحاً وتأكيداً لما ذهبنا اليه طللية امرىء القيس في معلقته المشهورة حيث لم يكن بكاؤه على طلل حبيبية راحلة وانما كان بكاء على طلل مملكة كندة المتهارة وذكرى الحبيب انما هي ذكرى ملك ابيه وعزته وسيادته ، وهو الحبيب المستقر في وجدانه ، انه لم يبك منزلاً واحداً وانما بكى منازل كثيرة . انه يبكي على مملكته ويدعو قبيلتي كندة وحمير لتبكي معه كي يكون الدمع حافز الثار وذلك ما تحقق على الصعيد التاريخي<sup>(٩)</sup>

إن هذا التفسير - كما نرى - لم يكن بعيداً عن الصواب ولم يكن ضريباً من الخيال ، فامرؤ القيس أنشأ معلقته بعد مقتل ابيه وتفرق كندة وذهاب سلطانها ، فهو يتذكر اباً واهلاً مزقتهم أيوف الاعداء كما يتذكر منازل كانت وملكاً ونعيماً ، فلم يجد أفضل من الطلل منفذاً رمزياً يطل من خلاله على ماضيه وأمه وجسراً يعبر عليه ليصل الى موضوعه الرئيس الذي يدور حول قضية مأساته وهمومه ومحاولته الأخذ بالثار واعادة مجد كندة .

واما طلل زهير بن أبي سلمى ، فيبدو أكثر التصاقاً بالتجربة الموضوعية ، فالحرب التي دامت اربعين عاماً هي التي أحدثت هذا التغيير الذي طرأ على الديار ، فالدمع لم تتكلم والاثافي سود ، ووجه الأرض مغير يخيم عليها سكوت كان ذلك نتيجة للحرب وما تلحقه من دمار يأتي على الحرث والنسل ...

يقف زهير على تلك الديار وهو الخبير بها فلم يكذب يتبين معالم وجهها إلا بعد لاي ، ولما عرفها حياها تحية السلام وماذا بعد السلام غير انبعاث الحياة من جديد . بها العين والارام يمشين خلفاً واطلاؤها ينهضن من كل مجثم

صور رائعة لانبعاث الحياة وتجدها ، صورة حركة الحياة وديمومتها ، يقيم زهير - من خلال الوحدة الطللية - علاقة تضاد بين سكوت الحياة وخرابها وبين انبعاث الحياة وتجدها ، وهو بهذا يرمز الى الحرب والسلام ، الى حياة القبائل في ظل الحرب وحالتها في أفياء السلام ، يقيم هذه الموازنة لينفذ من خلالها الى معالجة المحور الموضوعي الرئيس الذي قامت عليه القصيدة كلها .

يقول الدكتور محمود الجادر : لقد ذهب زهير مذهباً مختلفاً تماماً في تشكيل تفاصيل لوحته فهي ام أوى ترحل ، وها هي ديارها تحتضن رموز الحياة الثرة فتنبعث بها العين والارام مطمئنة ، واطلاؤها ينهضن من المجاثم ليرمز الى تجدد الحياة وانبعاثها في أفياء السلام التي حققها جهد السيدين العظيمين<sup>(١٠)</sup>

ونرحل بجهدنا الى لبيد بن ربيعة والى معلقته التي اعجب بها النقاد قدامى ومحدثون ، اعجبوا بها من حيث بناؤها وترابط اجزائها ووحدتها الفنية او المعنوية كما يسميها الدكتور طه حسين ، فانك تحس منذ مطلعها الطللي ان الشاعر يريد ان يعبر عن هذا الصراع الحاد بين الذات والمجموع بين الفردية والانتماء القبلي ، بين الماضي والحاضر ، فأثار الخطوب وأحداث الجو تأتي على البلاد فتغيرها :

عفت الديار محلها فمقامها بمنى تأبد غولها فرجامها  
فمدافع الريان عري رسمها خلقاً كما ضمن الوحي سلامها  
بمن تجرم بعد عهد اتيسها حجج خلون حلالها وحرامها

ولكن هذه الاحداث وتلك الخطوب قد تغير الوجه الخارجي للأرض بيد أنها لا تقطع الجذور ولن تأتي على الأصول ، فسرعان ما تعود الحياة فتحتضن العين اطلأها وتجلو السيول وجه الطلول فتصبح وكأنها زبر تجدد متونها أقلامها .

والعين ساكنة على اطلالها عوداً تاجل بالقضاء بهامها  
وجلا السيول عن الطلول كانها زبر تجد متونها أقلامها

ويبقى السؤال قائماً عن مدى علاقة الوحدة الطللية بالموضوع الرئيس الذي تدور حوله القصيدة كلها ، والجواب سهل ، فابو عقيل يريد أن يحدثنا عن انتمائه القبلي من غير أن ينسى ذاته ، فهو الشجاع وهو الذائد عن حمى العشيرة وعشيرته هي القوية المتماسكة التي لا تخضع ولا تلتين امام



او ميثولوجية في تعامل الشاعر الجاهلي مع صورة المرأة في  
مراحل تنامي الحدث الفني المختلفة « (١١٢)

ونحن هنا لا نريد ان ننفي هذا ولا ذاك ولا نريد ان ننكر  
ما قد توحى به وظيفة صورة المرأة في مقدمة القصيدة الجاهلية  
من اثر الارث الحضاري او الاجتماعي او اثر الواقع الذي كانت  
المرأة تحتل فيه مكانتها المعروفة ، لا نريد ان ننكر ذلك كله .  
ولكننا نحاول ان نقرر ان حضورها الدائم في المستلزمات  
التقليدية للنموذج الشعري قد لا يتجاوز المنفذ الرمزي الذي  
حدده النمط المتداول ولا يهمنا بعد ذلك ان تكون المرأة حقيقة  
امر رمزاً ، على ان هذا الفهم لا يمنع من القول بان بعض  
الحالات قد تنبثق من معاناة حقيقية .

فمن بعيد قال ابن قتيبة بان مقصد القصيد إنما أتى  
بالنسيب في مقدمة القصيدة لان النسيب قريب من النفوس لانه  
بالقلوب يأتي به ليميل نحوه القلوب ويصرف اليه الوجوه  
وليستدعي به اصفاء الاسماع... (١١٣)

وتابعه ابن رشيقي وزاد عليه بان قال بان أكثر تلك  
الاسماء ليست حقيقية « وللشعراء أسماء تخف على السنتهم  
وتخلو في أفواههم فهم كثيراً ما يأتون بها زوراً نحو .. ليلي ، وهذا  
وسلمى ... وربما أتى الشعراء بالاسماء الكثيرة في القصيدة  
اقامة للوزن وتحلية للنسيب » (١١٤)

وهم يرون ان عمر بن الخطاب استدعى احد الشعراء  
لتغزله بليلي في احدى قصائده فيؤتى بالشاعر ويكاد يقيم عليه  
الحد ، ولكن الشاعر يقسم للخليفة بان « ليلي » هذه التي  
يتغزل بها ؛ إنما هي قوسه ، فيطلق سراحه ويعفو عنه . (١١٥)  
ويذهب الدكتور البهيتي الى ان الافتتاحية الغزلية صورة  
رمزية ويقول « وهذا الوجه من وجوه التعبير الرمزي في الشعر  
الجاهلي لم يقف عند القصة ولكنها تعدها الى ذلك الغزل الذي  
يقدم به الشاعر لقصيدته ، فهو كذلك لا يقصد به الشاعر الى  
موضوعه وإنما يقصد به الى غير ذلك مما يهم الشاعر امره  
وياخذ عليه نفسه ، ومن هنا يأخذ ذلك الاستفتاح الغزلي  
للقصيدة الجو الذي يعيش فيه الشاعر والذي يمل عليه  
شعره ، فالمرأة في ذلك رمز واسماء النساء تقليدية تجري في  
الشعر عند الشعراء دون وقوع على صاحباتها » (١١٦)

ونحن بعد ذلك نقول ان النسيب الذي في افتتاحية  
القصيدة لا يعدو أن يكون منفذاً يهيئ الشاعرية الأرضية  
النفسية التي تنفتح على آفاق القول ليصل الى معالجة الموضوع  
الرئيس من مدح او نم او رثاء او فخر ... وعلى هذا يكون النسيب  
ممزوجاً بما بعده ، متصلاً غير منفصل عنه ، يمهّد الى الغرض  
ويقود اليه .

وربما غالى الدكتور البهيتي اذ عدّ قصص الحب والغرام  
التي نجدها في أخبار العصر الجاهلي من باب الرمز ، مثل قصة  
البراق وقصة المرقش الاكبر وقصص غرام أمريء القيس ولهوه

ضربات الاعداء وامام الاحداث والخطوب ، فهذا هي تظل  
شامخة تتحدى الاحداث وتتحدى الاعداء . وكذلك حال طلله  
تتحده عوامل الفناء البيئية ويكر عليه الزمان ولكن العوامل  
كلها لا تستطيع أن تطمس معالمه او تمحوه ، فيظل شامخاً  
يحمل في طياته رموز الخلود .

فطلل لبديد أنن هو رمز لعشيرته ، رمز لماضيها وحاضرها ،  
رمز تألفها ووحدتها ومواقفها اما الاعداء حيث يقول في البيت  
الآخر :

وهم العشيبة إن ينطى حاسد أو أن يلوم مع العدى لوامها (١١٧)  
وثمة نموذج آخر لعبيد بن الابرص ، حيث يبدو انشداد  
اللوحه الطللية الى الغرض الرئيس اكثر وضوحاً ، فعبيد يحدثنا  
عن انتمائه القبلي وتعلقه بقومه من بني اسد بعد ان تشتتوا لما  
واجهوا تقمة كعدة وحميز ، فيعمد الى الطلل ليضمّر فيه كل  
ما تنطوي عليه تجربته الموضوعية ، فالديار بعد أن كانت  
عامرة بقومه وهم فيها جمع اصبحت بسابس قفراء خالية الا  
من الوحوش ، فالمنزل عاف والاطلال رسوم توشك على الاندثار  
والفناء يقول (١١٨)

أمن منزل عاف ومن رسم اطلال بكيت وهل يبكي من الشوق أمثالي  
ديارهم إذ هم جميع فاصبحت بسابس الا الوحش في البلد الخالي

فمنزل عبيد - إذن - عاف ولم يبق من الاطلال الا رسومها  
كما لم يبق من قومه الا اثارهم .

ليس من حقنا بعد ذلك ان نمنح الطلل فرصة تهيئة  
الأجواء الرئيسية لموضوع اية قصيدة قبل ان يتجاوز لوحه  
افتتاحها الطللي إنه بلا شك - عندنا - أن وظيفة الطلل هذه  
وظيفة ادائية رمزية أفرغت اللوحه الطللية من مدلولها  
الموضوعي وذلك ما يطرّد في عشرات القصائد المكتملة التي  
افتتحت بالطلل .

### المدلول الرمزي للمرأة

اختلفت وجهات النظر الى المرأة في القصيدة الجاهلية ،  
فمنهم من نظر اليها نظرة موضوعية ، فتحدث عنها باعتبارها  
أماً أو اختاً أو زوجة ، وعد الاسماء التي تأتي في افتتاحيات  
القصائد أو انشاءها اسماء لنساء حقيقيات زوجات  
او معشوقات وقالوا انها اسماء بأعيانها ، ومنهم من قال بانها  
اسماء وهمية وهي رموز ، وليست حقيقية ، عمد اليها الشعراء  
ليعبروا من خلالها عما في نفوسهم من احداث وقضايا .

يقول الدكتور محمود الجادر « ولكننا قد نستطيع ان نميز  
منهجين رئيسين في النظر ، يتمثل اولهما في محاولة رصد  
الظاهرة ومنحها مدلولاتها الواقعية والموضوعية الخالصة ،  
ويتمثل الثاني في الجنوح الى تشخيص مدلولات رمزية



وقصة غرام غنترية ، وهذه - على ما يرى - كلها لا يقصد بها الى التصوير الغرامي واحداث وقعت لهؤلاء وانما هي لون من ألوان التصوير الرمزي لوقائع تاريخية تتصل بحياة كل منهم وتبين مواقعهم من تاريخ امتهم وتتعلق بمطامع لهم كانوا يجرون وراء تحقيقها فخابوا فيها وأصابوا (١٨).

ونحن لا نوافق الدكتور البهيتي ، مع اننا نعتز بان تلك القصص الغرامية هي من صنع الخيال وقد لا ترتبط بالواقع ولكن ليس بالضرورة ان تكون تعبيراً رمزياً لوقائع تاريخية تتصل بحياتهم او تتعلق بمطامع لهم كانوا يجرون وراء تحقيقها ، وإن كانت كذلك ، فلا يمكن تعميم الظاهرة وسحبها على جميع قصص الحب والغرام ، فهي - في الغالب - تعبير عن عواطف انسانية سواء اكانت حقيقية أم خيالية .

في حين يرى الدكتور ابراهيم عبد الرحمن ان كثيراً من القصائد الجاهلية التي يرد فيها ذكر المرأة يحاول الشعراء ان يخلقوا منها امرأة « مثلاً » ويضيفون اليها القداسة وكان الشاعر حين يتحدث لا يتحدث عن امرأة مثل غيرها من النساء ولكنه يتحدث عن معبودة ، فمرموزون للشمس بالمرأة تلك الإلهة التي كان يتعبد لها اكثر الجاهليين كما كانوا يرمزون للشمس بالغزالة والمهابة حيث يرد في الديانة السومرية في العراق على نحو ما تقص ( ملحمة كلكامش ) وصف عشتروت الالهة الخصب والحب والجمال (١٩) .

ويدعم الدكتور ابراهيم رأيه هذا بنماذج نذكر منها على سبيل المثال قول قيس بن الخطيم :

لعمرة اذ قبه معجب فاني بممرة أنى بها  
ليال لنا ودها منصب اذ الشول لطلت بأذناها  
كان القرنفل والزنجبيل وزاكي العجم بجلبابها  
نمتها اليهود الى قبة دوين السماء بمحرابها

فالشاعر في هذه القصيدة لا يكتفي بالربط بين مقامها وبين خصب الديار أو بين رحيلها وما أصابها من المحل والجفاف ، بل يمنحها هذه القداسة او تلك القوة الإلهية التي يضيفها عليها بقوله :

نمتها اليهود الى قبة دوين السماء بمحرابها  
وعلى هذا النحو نجد امرئ القيس يخلق من حبيبته المرأة المثال ويضيف عليها القداسة ، فيقول :

تضي الظلام في العشاء كأنها منارة ممسي راهب متبتل  
الى مثلها يرنو الحليم صباة إذا ما اسبكرت بين درج ومجول

وشمة نماذج أخرى كثيرة كفيلة بان تقرر رمزية المرأة في اغلب موضوعات القصيدة الجاهلية ، فمن الرمزية الموضوعية ،

قول عمرو ابن بن قميئة في شعره مع امرئ القيس في رحلته الى قيصر الروم حيث يقول :

قد سالتني بنت عمرو عن الـ أرضين اذ نذكر اعلامها  
لما رأت ساتيد ما استعبرت لله بر اليوم من لامها  
تذكرت أرضاً بها اهلها احوالها فيها واعمامها

قال سبب بكائها انها لما فارقت بلاد قومها ووقعت بلاد الروم ندمت على ذلك وانما عمرو بن قميئة بهذه الابيات نفسه لا أبنته فكنى عن نفسه (٢٠) ويؤكد ذلك قول امرئ القيس :

بكى صاحبي لما رأى الدرب دونه وأيقن اننا لاحقان بقيصر  
فقلت له لا تبك عينك انما نحاول ملكاً او نموت فنموت

ومن النماذج الرمزية ، قصيدة المنقذ العبدى التي تتصل فيها لوحة النسب بالفرض الرئيس اتصالاً وثيقاً ، مما يرسخ لدينا القناعة انه انما أتى بالنسب في مقدمة قصيدته ليمهد لفرضه الرئيس ويقود اليه ، لذا نراه يعمد الى تطويع تفاصيل لوحة المرأة لاستيعاب آثار المعاناة الموضوعية من خلال أسلوبه التصويري الذي يعلو على التعبير المباشر ليدخل في باب الرمزية .

فالقصيدية يخاطب فيها الشاعر عمرو بن هند وقد أعرض عنه فيخبره بين العودة عن مسلكه والمحافظة على الصلة والود او الايذان بالقطيعه ، فيبدأ قصيدته بقوله :

أناطم قبل بينك متعيني ومنمك ما سالت كان تبيني  
فلا تعدي مواعد كائنات تمر بها رياح الصيف بوني  
فاني لو تخالفني شمالي خلافاً ما وصلت بها يميني  
اذن لقطعتها ولقلت بيني كذلك اجتوي من يجتويني

تقرأ هذه المقدمة فتحس لأول وهلة بان الشاعر يعبر عن معاناة حب ويشكو غراماً وصباة ، وربما هجراً ولكنك حين تنتهي الى المحور الموضوعي المتمثل بقوله :

الى عمرو ومن عمرو اتتني اخي النجدات والحلم الرصين  
فاما أن تكون اخي بحق فاعرف منك غثي من سميني  
والا فاطرحني واتخذني عدواً فلتقنيك وتتقيني

حين تقرأ هذه الابيات لا تشك في أن فاطمة هي رمز لعمرو بن هند وذلك من خلال المفردات التي اودعها الشاعر لوحة النسب التي أضمر فيها كل ما ينطوي عليه غرض القصيدة الرئيس الذي يتمحور حول الوفاء (٢١)

وعلى هذا النحو من الرمزية الموضوعية قصيدة المرقش الأصغر التي قالها في الوفاء وللوفاء أيضاً فهم يروون أن صديقاً له اسمه ( عمرو بن جناب ) قد سولت له نفسه الاتصال بحبيبة صديقه فاطم ولكنه ندم على فعلته وبلغ من وفائه أن قطع أصبعه خشية لوم المرقش له .  
من أجل هذا نرى الشاعر يفتتح قصيدته بالدعاء لفاطم ، ذلك الدعاء الذي ينم عن الوفاء وتجديد العهد ويكشف عن عمق الصلة بينهما ، فيقول :

ألا يا أسلمي لأضرم لي اليوم فاطمًا ولا أبداً ما دام وصلك دائماً  
رمك ابنة البكري عن فرع ضالة وهن بنا خوص يخلن نعائمنا

ومن خلال هذه المقدمة التي اودع فيها كل تفاصيل التجربة الموضوعية يتفد الى غرضه الرئيس حيث يقول :

إلى جناب حلفة فاطمتي فنفسك واللوم ان كنت لاتما  
كان عليه تاج ال محرق بان ضر مولاه واصبح سالماً  
فمن يلقي خيراً يحمد الناس امره ومن يغو لا يقدم على الفتي لانما  
الم تر أن المرء يجنم كفه ويجشم من لوم الصديق المجاشما  
أمن حلم أصبحت تنكث وأجما وقد تعترى الأحلام من كان ثائماً

ولاشك أن الصلة بين النسب الذي في الافتتاحية وبين الموضوع الرئيس متينة وأن الشاعر استطاع أن يربط بينهما ربطاً محكماً ، كان ذلك من خلال الاداء الرمزي والدلالة المعنوية ونمو المعاني بعضها من بعض (١٢٢) .  
ومن ذلك أيضاً « أسماء » التي في افتتاحية معلقة الحارث بن حلزة الميشكري التي يقول فيها :  
أنتننا بينها أسماء ربنا ويلم منه التسواء ومنها :

ويعينيك أوقدت هند النار أصيلاً تلوى بها العلياء  
يقول الدكتور البهبيتي : « فظاهر الشعر أن الحارث ينسب بأسماء ويهند وحقيقة الأمر ليست كذلك وإنما « أسماء » هذه شخصية خيالية تذكر أيضاً في قصة حب المرقش الأكبر الذي خرج على ملوك المناذرة وثار على قومه من بكر ممن أخذ صف أولئك الملوك ، وهند لقب جرى على بنات ملوك المناذرة وهذه النار التي يتحدث عنها الشاعر هي نار أوقدت في وقعة خزازي (١٢٣) .

والراجع أيضاً أن هريرة في لوحة نسيب الأعشى هي رمز وليست حقيقة وقد قيل : أن الأعشى سئل عن هريرة ، فقال : لا أعرفها ولكنه اسم القبي على لساني من حيث لا أدري (١٢٤) .  
وعلى هذا فكل الأوصاف التي وصف بها هريرة والتي اودعها لوحة الافتتاح لا تدخل في بيت النسيب الخالص وإنما

هو لون من ألوان التعبير الرمزي الذي اقل ما يقال فيه أنه تعبيري عن التجربة الموضوعية التي تتأرجح بين الذات والمجموع .  
ومن الأمثلة الأخرى على رمزية المرأة في لوحة الافتتاح قصيدة أوس ابن حجر التي يفتتحها بذكرى أم عمر ، فيقول :  
صحا قلبه عن سكره فتأملاً وكان بذكرى أم عمر موكلاتاً  
ونحن لو وقفنا على محور القصيدة الموضوعية لاستطعنا أن نكتشف الدلالة الرمزية لأم عمر ومدى نجاح الشاعر في توظيفها لخدمة غرضه الرئيس الذي يدور حول الصراع بين الذات وبين أبناء عمومته الذين ظلموه فهو أمام اختيارين لا ثالث لهما . أما قبول ظلم أبناء العم وأما الاعتماد على الذات في التحول عن مواقف الظل ويبدو أنه اختار التهديد بالطريق الثانية (١٢٥) .

وهكذا كان على أم عمرو أن تغدو رمزاً لأبناء العم الذين ظلموه وتخلوا عنه ، فلم لا يصحو قلبه عنها ولم لا يهجرها كما هجرته ، وهذا ما تكشفه الأبيات الأخيرة التي يقول فيها :

ألا اعتب ابن العم أن كان ظالماً والغفر عنه الجهل أن كان أجهلاً  
وإن قال لي ماذا ترى يستشعني يجديني ابن عم مخطئ الأمر مزبلاً  
أقيم بدار الحزم ما دام حزمها وأحرى إذا حالت بان أتحولاً  
واستبدل الأمر القوي بغيره إذا عقد مأفون الرجال تحللاً

وعلى هذا النحو تكون حبيبة المتلمس رمزاً أو معادلاً موضوعياً للعراق البلد الذي أحبه فكان هواه ، ولكن الأعداء من المناذرة قد حالوا بينهما ، فلم يبق أمامه إلا هذا الحنين وهذا الشوق (١٢٦) . حيث يقول :

إن الحبيبة حبها لم ينفد والياس يسلي لو سلوت أخاديد  
قد طال ما أحببتها وودتها لو كان يفني عنك طول تودد

ومن هي ؟ إنها العراق :

ان العراق وأمله كانوا الهوى فإذا نأى بي حبيهم فليمد  
أما صورة اللائمة في شعر الفرسان والأجواد ، فهي لا شك منفذ رمزي وليست حقيقة بأي حال من الأحوال ، وهي لا تعدو أن تكون صيغة من صيغ التعبير غير المباشر عن قيم البطولة والكرم التي أمن بها الإنسان العربي وأراد لها الانتشار والخلود ولهذا عمد الشعراء الفرسان والأجواد الى صورة اللائمة ليمروا من خلالها كل الأفكار التي من شأنها أن تقنع المقابل بضرورة تلك القيم وبضرورة الالتزام بها .

واللائمة - عادة - تمثل الصوت النقيض ، وربما ينبع من نفس الشاعر فهو لا يجد سبيلاً للبرح عما في نفسه فيعمد الى إسقاطها على رمز العاذلة ويحاول الرد عليها من موقع القيم العربية الموروثة ، ونسمع حاتم الطائي يحاور لائمته ويرد



عليها ، فيقول : (٢٧)

مهلاً نوار أجلي اللوم والمذلا ولا تقولي لشيء فأت ما فعلا  
ولا تقولي لمال كنت مهلكه مهلاً وإن كنت اعطي الجن والخبلا  
يرى البخيل سبيل المال واحدة أن الجواد يرى في ماله سبلا  
لا تمنليني على مال وصلت به رحماً وخير سبيل المال ما وصل  
وهذا عنقرة يقول : (٢٨)

لتسألن أسماء وهي حفية نصحاءها أطردت أم لم أطرد  
يا اسم أخت بني فزارة أنني غاز وإن المراء غرر مخلد  
وأنا ابن حرب لا زال أشبهها سرر وأوقدها إذا لم توقد  
ويبقى التراث الشعري معينا تقرر نماذج الكثرة أن  
صورة المرأة « اللائمة » في لوحة المحاوره تبقى رمزاً يحقق  
حضوره الفني الصرف ليفتح المنفذ المقبول للفخر الشخصي  
بوجه رئيس : (٢٩)

### المدلول الرمزي للناقة

الناقة رمز للقوة ، والصبر والاناة أو كما يقول الدكتور  
مصطفى ناصف : إنها رمز معقد على الانسان الفاني والدهر  
الباقى معاً ، كما إنها في الوقت نفسه رمز على الانسان القوي  
الذي يتعرض لنوازل الغيب : (٣٠)

ومن الناحية الفنية ، هي جسر الشاعر الذي يعبر من  
خلاله الى الضفة الجدية في الحياة ليشرح معاناته ويحقق  
أغراضه ، فهو حينما يشبهها بثور الوحش وهو يخوض معركة  
مع كلاب الصيد ينتصر فيها الثور إنما يعبر عن ذاته وعن سترك  
صراعه الدائر مع الحياة .

ولعلك تتفق معي بأن حديث الشاعر الجاهلي عن تلك  
الحيوانات بما فيها الناقة وثور الوحش وحمار الوحش وأتته  
وكلاب الصيد والقطاة ... وما يدور بينها من صراعات يلتقطها  
الشاعر من واقعه ومشاهداته ليعبر عن مضامين نفسية وقضايا  
موضوعية وأحداث تواجهه يحاول أن يخلق منها صوراً فنية  
جديدة بالتأمل والكشف عما وراءها من دلالات فنية ونفسية  
وموضوعية .

ومن الرمزية الموضوعية ناقة كعب بن زهير التي لا نواها  
إلا رمزاً للمرأة التي يطمح أن تكون سكناً لنفسه ، فهو حين  
افتقد الاستقرار النفسي والأسري وافتقد الأطمئنان الى صدر  
يشعره برجولته عمد الى ناقة فجعلها سكن نفسه ورفيق  
حياته ، فكان حقها عليه أن يصونها كما يصون الرجل زوجته  
فيحميها ، بل أنه ليستكثر على عيتيه أن تناما فتغفلا حراسة  
ناقته في صحراء موحشة ، فيقول : (٣١)

أنخت قلوحي واكتلات بعينها وأمرت نفسي أي أمرى أفعل  
أكلؤها خوف الحواث إنها تريب على الانسان أم اتوكل  
أو كما يقول : (٣٢)

وتدير للخرق البعيد نياطه بعد الكلال وبعد نوم الساري  
عيناً كمرأة الصنّاع نديرها بانامل الكفين كل مدار  
بجمال محجرها وتعلم ما الذي تُبدي لنظرة زوجها وتواري

ولا تعدو ناقة المثقب العبدى أن تكون ذاته ونفسه  
الحزينة التي أتعبها الحل والترحال ، فتأوهت آهة الرجل  
الحزين ، إذ يقول : (٣٣)

إذا ما قمت أرحلها بليل تأوه آهة الرجل الحزين  
تقول وقد برأت لها وضيئي أهذا دينه أبداً وديني  
أكل الدهر حل وارتحال أما يبقى على ولا يقيني

على إن عشرات النماذج الجاهلية تكشف عن أن صورة  
الناقة ظلت تشكل معادلاً لاداة الصراع الانساني في مواجهة  
تحديات الحياة ، ولهذا فهي تبقى مهياة لقبول السمات التي  
يفترضها الشاعر في عدته لخوض قدره المفروض .

### الناقة وثور الوحش

وقد تبدو الرمزية الموضوعية أكثر خوفاً حينما يشبه  
الشاعر الناقة بثور وحش أو حمار وحش أو نعامة أو ظليم ،  
حيث يمنحها ابعاداً ادائية أكثر قبولاً للتجارب الشعرية  
المتباينة ، كما تفتح امامه منافذ اضافية أخرى يستطيع من  
خلالها منح صورة الناقة بعداً ادائياً قابلاً للتباين التائري  
وقادراً على الكشف عن عوالم نفسية وموضوعية مختلفة .  
وعلى هذا فان تشبيه الناقة بثور الوحش أو ما يتبعها من  
قصص اسطورية تدور حولها إنما هي تعبيرات رمزية للمعضلات  
والصراع داخل مجموعة ما : (٣٤)

ويرى الأستاذ محمد صادق حسن ان الشاعر في الرحلة  
لا يحدثنا مباشرة عن داخله وإنما يقص علينا حكايات من  
خارجة فيخرج الى وصف ناقة وسياحتها في مشاهد الصحراء  
فيشبهها بحيوانه من ثور وبقرة ونعامة او يضع ناقة بين  
مواقف صعبة فيدير معركة بين الثور الوحشي والكلاب والصيد  
ليترجم من خلالها عن موقف ناقة فيعكس صورته هو : (٣٥)  
ويبقى الجاحظ أقدم من تنبه الى رمزية قصة ثور الوحش  
وعلاقتها بالفرض الرئيس ، فقد قرر ان قصة الثور تنتهي بمقتل  
الثور اذا كانت القصيدة رثاء وتنتهي بنجاة في سائر  
الأغراض : (٣٦)

امرىء القيس هو امرىء القيس نفسه ، والذي حاول ان يسقط نفسه عليه ، فهو قوي متين كان مثته مذاك عروس او صراية حنظل ، وأن الغلام الخف لا يستطيع الثبات على ظهره والقوي العنيف يلطم بأثوابه ويحذر من السقوط ، سريع وسرعته غير اعتيادية ، سريع في الفر وسريع في الكر ، لا تدركه الوحوش ويستطيع ان يدركها ويلحق بالهاريات منها فيقتلها وتلغخ جبهة فرسه الدماء فتصبح وكأنها عصارة حناء بشيب مرجل ...

إنك حين تقرأ هذه الابيات لا تتصور الحديث الا عن امرىء القيس نفسه ، انه امرىء القيس الذي يخوض صراعاً ويسعى من اجل تحقيق النصر ، فلم لا يكون فرسه حلم الانتقام من بني اسد قتلة ابيه ولم لا تكون أوصاف الفرس هي اوصاف امرىء القيس ، كل ذلك يمكن ان تخلقه صورة فرس امرىء القيس في ذهن المتلقي ، بعد التعمق في فهم النص واختراق الجدار الخارجي للابيات للكشف عما تخفيه من معانٍ لا شك أن نفس امرىء القيس كانت من ورائها .

اما نماذج الشعراء الذين عرفوا بوصف الخيل من امثال ابي ذؤاد الايادي والطفيل الغنوي والناطقة الجعدي ، فلا تدخل في هذا الاطار ، لانهم اتجهوا الى الوصف الموضوعي للفرس بدوافع خاصة ولاغراض خاصة ، وهي تبقى اقرب الى الدراسة الموضوعية منها الى الرمزية .

وهناك بعض النماذج التي يمزج فيها الشاعر بين صورة الناقة وصورة الفرس ولاسيما في القصائد التي تحتاج الى اناة وصبر كما تحتاج الى حسم وقوة وتهديد ووعيد ، فيتخذ من الناقة رمزاً للناة والصبر ويتخذ من الفرس رمزاً للإقدام والحسم .

ويبدو هذا المزج بين الناقة والفرس واضحاً في كافية زهير بن ابي سلمى التي قالها في بني الصياد الذين انتهبوا ابله وعبيده ، فكانه يقول : إن شلتم الصبر والناة فدونكم رمزهما بالناقة المشبهة بالنعامة ( وقصة النعامة التقليدية مفعمة بمعاني الرقة والانسانية ) أما إن ابيتم فإن الامر سيؤول الى مواجهة حاسمة تتمثل في رمز الفرس الذي ينطلق انطلاقاً قطاة يطاردها صقر ، حيث يقول :<sup>(٢٧)</sup>

هل تُلحقني واصحابي بهم قُلص  
مثل النعام اذا هيجتها اندفعت  
وقد أراني امام الحي تحملني  
مرأ كفاتاً اذا ما الماء اسهلها  
كانها من قطا الاجباب حان لها  
إلى أن يقول :

حتى اذا ما هوت كف الغلام لها  
ثم استمرت الى الوادي فالحجاها  
طارت وفي كف من ريشها بتك  
منه وقد طمع الاظفار والحنك

ولعل تشبيه الناقة بالثور وهو يخوض صراعاً دامياً مع كلاب الصيد من اكثر المشاهد تعبيراً عن معاناة الشاعر وهو يخوض معترك الحياة حيث يسقط ما في نفسه على تلك المشاهد فيخلق من خلال الاوصاف التي يطرحها ستاراً فنياً ومركباً نفسياً ليعبر عما يساوره وما يشغله من توترات وتناقضات الموت والحياة ، التفرق واللقاء ، الحاضر والماضي ، الذات والمجموع او الحديث عن المثال الذي يدور في خلده ويطمح الى تحقيقه .

ولعل قصيدة الناقبة الذبياني من أمثل نماذج الرمزية الموضوعية في هذا المجال ، ففي ليلة ظلماء شديدة الريح والمطر والبرد ، في تلك الليلة الليلاء المخيفة تزداد مخاوف الثور حينما يسمع صوت الكلاب التي تريد افتراسه وسرعان ما تهجم عليه الكلاب وتحلق به الاخطار وتحقيق به من كل جانب ، فيواجه الثور القدر المحتوم حيث يقول :<sup>(٢٨)</sup>

اسرت عليه من الجوزاء سارية تزجي الشمال عليه جامد البرد  
فارتاع من صوت كلاب فبات له طوع الشواحت من خوف ومن مرد  
فبشهن عليه واستمر به صمع الكعوب بريات من الحرد  
ولكنه لا يستسلم بل يواجه الموقف بكل ثبات وصلابة ، فيقرر خوض المعركة فيخرج منها بعد ان جرحته كلاب الصيد منتصراً :

وكان ضمران من حيث يوزعه طعن الممارك عند الحجر النجد  
شك الفريضة بالمدي فأنفلها طعن المبطر اذ يشفى من المضد  
كانه خارجاً من جنب صفحته سفود شرب نسوه عند مفتاد  
فظل يعجم أعلى الروق منقبضاً في حالك اللون صدق غير ذي اود  
لما رأى واشق اقماس صاحبه وإن صولاك لم يسلم ولم يصد

لقد كانت ناقته وراه هذه المشاهد التصويرية ( لانها المشبه ) فقرة ثور الوحش وانتصاره هي قوة الناقة وانتصارها . وما الناقة الا نفس الشاعر او الانسان ( المثال ) الذي يراه في شخص المدح .

لقد عبر الشاعر عن خلال قصة الثور وتشبيهه بالناقة في اغلب النماذج عن الصراع الفردي الصرف ، اما قصة حمار الوحش ، فهي تقوم على صراع مماثل من اجل البقاء ولكنها تتميز بمناخها الجماعي المتمثل بمسؤولية الحمار عن مجموعة من الاتن :<sup>(٢٩)</sup>

### في المدلول الرمزي للفرس

وما قلناه عن الناقة يمكن ان نقوله عن الفرس ولا أظن اننا نبتعد عن الصواب إذا قلنا بانه رمز الشباب والقوة والشجاعة والإقدام ، انه رمز للانسان ( المثال ) او رمز للذات وحلم الانتقام والاخذ بالثأر وأظنك توافقني على ان فرس



وهكذا تنتهي المطارة بنجاة القطاة ورجوع الصقر الى وكره خائباً ليمارس زهير حلم يقظة طامح الى عودة ابله وعبداه اليه سالمين (١٠).

وثمة موضوعات اخرى يمكن ان تكون لها مدلولات رمزية ؛ ولعل المطر اكثرها دوراناً في القصيدة الجاهلية حيث يمكننا ان نعه رمزاً لانبعثات الحياة وتفتحها لقيم الخير والعطاء في أغلب القصائد المكتملة .

وبعد ، فالطلل والمرأة والناقة وثور الوحش وحمار الوحش والمطر وغيرها انما هي كيانات تألفت لترصد مضامين القصيدة العربية قبل الاسلام بالعمق والغنى الفني .

ونحن نستطيع بعد هذه الجولة المستقصية لموضوعات القصيدة الجاهلية ان نقرر الخلاصات النهائية التي تتشكل في جملة قناعات قررتها النصوص المدروسة ويلورها التأمل النقدي فأتاحت لنا فرصة القول بأن القصيدة الجاهلية عمل فني يسترشد مادته من واقع يومي متحرك ولكنه حين يسحب التفاصيل الى عالم الابداع الشعري يقع تحت ضغط البنية الشعرية التي تقتضيه توفير رسوم تقليدية فضلاً عن ضغط الاداء الفني الذي يقتضيه نقل الانفعال في اطار فني . ولقد فرضت البنية الشعرية على الشاعر ان تهيب من

مقاطعها التقليدية رموزاً مشحونة بدلالاتها المهيئة لطبيعة التجربة الموضوعية فكان عليه ان يحملها زخم الانفعال ويعيد تشكيل تفاصيلها لتبدو صيغتها النهائية اقدر على استيعاب اجواء التجربة وأدائها .

أما في الاداء الداخلي فقد كانت وسائل البيان من مجاز واستعارة وكناية جسوراً يلتقي عليها المبدع والمتلقي في اطار عرف لغوي مشترك تبلور فيها بعد حتى لحدا جزءاً - او كالجزاء - من صلب اللغة العربية وذلك ما أوقع باحثين معاصرين في الوهم حين ظنوا ان تلك الجسور هي جسور ادائي مباشر لا يحتمل رمزية ولا يوحي بها وتلك جنانية النظر الى النص التراثي بعين معاصرة .

إن واقعية القصيدة الجاهلية أمر مفروغ منه في جانبها الموضوعي ولكنها لم تكن سمتها الفنية الا في حدود النظرة المتعجلة .

لقد كانت لها مدلولاتها الرمزية في البداية والاداء كما قلنا ولكن الكشف عن ابعادها الرمزية تلك رهين بمعايشتها والتعامل مع أدائها الاسلوبي من خلال النظر الى لغتها بمقياس تزامني وليس بمقياس تاريخي .

### الهوامش :

- ٢٠ - الرمزية في الادب العربي/١٦٨ .
- ٢١ - مدخل الى بنية القصيدة/١١-١٢ وخصوية القصيدة الجاهلية/٥٤٦ .
- ٢٢ - خصوية القصيدة الجاهلية/٥٤٢ .
- ٢٣ - تاريخ الشعر العربي/١٠١ .
- ٢٤ - هامش شرح المعلقات/(التبريزي) ٤٨٣ .
- ٢٥ - شعر اوس بن حجر/٤٣٧ .
- ٢٦ - الرحلة في القصيدة الجاهلية/١٧٩ .
- ٢٧ - ديوانه/٢٠٠ .
- ٢٨ - ديوانه/٥٥ .
- ٢٩ - مدخل الى بنية القصيدة/٢٠ .
- ٣٠ - قراءة ثانية لشعرنا القديم/٦٥ .
- ٣١ - ديوانه/٥٥-٥٦ .
- ٣٢ - المصير نفسه/٤٠ .
- ٣٣ - المفضليات/٢٩١-٢٩٢ .
- ٣٤ - مواقف في الادب والنقد/٨٥ .
- ٣٥ - خصوية القصيدة الجاهلية/٢٧٢ .
- ٣٦ - الحيوان ٢/٢٤٢ .
- ٣٧ - ديوانه/١٨-١٩ .
- ٣٨ - مدخل الى بنية القصيدة/٢٥ .
- ٣٩ - ديوانه/١٦٨ .
- ٤٠ - مدخل الى بنية القصيدة/٣٠ .

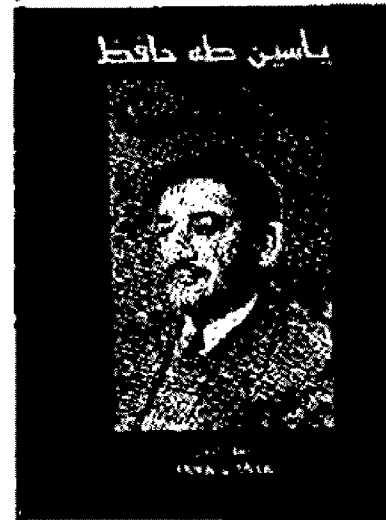
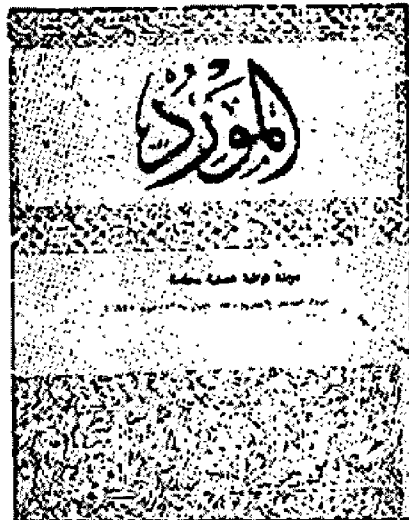
- ١ - ينظر مقدمة القصيدة الجاهلية وشعر اوس بن حجر ورواياته الجاهليين وتاريخ الشعر العربي (البهيتي) .
- ٢ - الشعر الجاهلي (قضاياها الفنية والموضوعية) د. ابراهيم عبد الرحمن ص ١٨٨ .
- ٣ - مقدمة القصيدة الجاهلية/١٧٥ وما بعدها والطبيعة في الشعر الجاهلي/٢٥٤ .
- ٤ - مقالات في الشعر الجاهلي/١٢٣ .
- ٥ - الشعر الجاهلي د. ابراهيم عبد الرحمن/٣٦٦ .
- ٦ - مدخل الى بنية القصيدة العربية قبل الاسلام/بحث/٧ .
- ٧ - خصوية القصيدة الجاهلية/٥٧٩، ٢١٣ .
- ٨ - مدخل الى بنية القصيدة العربية قبل الاسلام/٦ .
- ٩ - خصوية القصيدة الجاهلية/١٥٠ ومدخل الى بنية القصيدة/٨ .
- ١٠ - مدخل الى بنية القصيدة/٨ .
- ١١ - شرح المعلقات (التبريزي) ٣١٥ .
- ١٢ - ديوانه/١١٢ .
- ١٣ - حول مدلولات رموز المرأة .
- ١٤ - الشعر والشعراء ١/٧٥ .
- ١٥ - العمدة ٢/١٢١-١٢٢ .
- ١٦ - الاغاني : ١٥/١٠٥ .
- ١٧ - تاريخ الشعر العربي/١٠٠ .
- ١٨ - تاريخ الشعر العربي/٩٩ .
- ١٩ - الشعر الجاهلي/٢٥٦-٢٦١ .

## المصادر والمراجع

- الكتب ١٩٥٠ م .
- ١٤ - شرح المملكات العشر التبريزي . تحقيق محي الدين عبد الحميد - ط١ ١٩٦٤ .
- ١٥ - شعر أوس بن حجر وزواته الجاهليين د . محمود عبد الله الجادر - بغداد ١٩٧٩ م .
- ١٦ - الشعر الجاهلي (قضاياها الفنية والموضوعية) د . ابراهيم عبد الرحمن محمد - بيروت ١٩٨٠ م .
- ١٧ - الشعر والشعراء . ابن قتيبة - تحقيق : احمد محمد شاكر - مصر ١٩٦٧ م .
- ١٨ - الطبيعة في الشعر الجاهلي د . نوري القيسي - بيروت ١٩٧٠ م .
- ١٩ - العمدة ابن رشيقي - تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد - مصر ١٩٥٦ م .
- ٢٠ - قراءة ثانية لشعرنا القديم د . مصطفى ناصف - دار الاندلس - ط٢ - ١٩٨١ م .
- ٢١ - مدخل الى بنية القصيدة العربية قبل الاسلام ( بحث ) د . محمود عبد الله الجادر .
- ٢٢ - المفضليات تحقيق : احمد محمد شاكر وعبد السلام هارون - ط٤ .
- ٢٣ - مقالات في الشعر الجاهلي يوسف اليوسف - دار الحقائق ١٩٨٣ م .
- ٢٤ - مقدمة القصيدة الجاهلية د . حسين عطوان - دار المعارف - مصر ١٩٧٠ م .
- ١ - الاغانى ابو الفرج الاصلهاني - دار الثقافة .
- ٢ - تاريخ الشعر العربي حتى آخر القرن الثالث الهجري د . نجيب محمد البهبهتي - دار الفكر - ط٤ .
- ٣ - حول مدلولات رموز المرأة في مقدمة القصيدة العربية قبل الاسلام د . محمود عبد الله الجادر - مجلة المجمع العلمي العراقي ١٩٨٠ م .
- ٤ - الحيوان الجاحظ . تحقيق عبد السلام هارون - القاهرة ١٩٣٨ .
- ٥ - خصوصية القصيدة الجاهلية محمد صادق حسن عبد الله - دار الفكر العربي - د . ت .
- ٦ - ديوان شعر حاتم الطائي ولخباره تحقيق : عادل سليمان - القاهرة .
- ٧ - ديوان عبيد بن الابرص تحقيق : حسين نصار - مصر ١٩٥٧ .
- ٨ - ديوان عنقرة تحقيق ودراسة محمد سعيد المولوي - المكتب الاسلامي .
- ٩ - ديوان النابغة الذبياني تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم - دار المعارف .
- ١٠ - الرحلة في القصيدة الجاهلية وهب رومية . ط١ - ١٩٧٥ .
- ١١ - الرمزية في الادب العربي د . درويش الجندي - مصر ١٩٥٨ م .
- ١٢ - شرح ديوان زهير بن ابي سلمى صنعة الامام ابي العباس ثعلب - دار الكتب ١٩٤٤ م .
- ١٣ - شرح ديوان كعب بن زهير صنعة السكري . دار

• • • • •

## صدر حديثاً في دار الشؤون الثقافية العامة





# نظرة في تراث العرب الجغرافي

د. عباس فاضل السعدي

كلية الآداب - جامعة بغداد

من أبناء الشمال أي الفينيقيين هم الوسطاء أم العملاء في التجارة بين بلاد البحار الجنوبية والعالم فكانوا يقومون بتمثيل (ضباط الارتباط) في ميادين التجارة العالمية<sup>(١)</sup>.

وما أكثر ما ادخره الشعر الجاهلي من معلومات عن البيئة الجغرافية لجزيرة العرب، حيث حفظ لنا الكثير من أسماء الاعلام الجغرافية من أودية وجبال وآبار وتلال ومعالم ورسوم. ولم يقتصر الأمر على سكان البادية، فسكان الحضر كاهل مكة ويثرب (المدينة) والطائف تجاوز علمهم البلدان الى ما وراء الجزيرة كالحبشة والشام والعراق. والاعلام الجغرافية التي أوردها الشعراء تمثل مادة لا تقدر بثمن كما يقول (فستغلد) - فقد استقى منهم البكري وياقوت وغيرهما مادة جغرافية في غاية الدقة والأهمية. لذلك لم يكن غريباً ان نجد الجغرافية من بين الفنون التي اهتم بها اللغويون. فقد كان الاصمعي (٢٢٣ هـ / ٨٢٨ م)، وهو من علماء اللغة، من «العارفين بجغرافية بلاد العرب معرفة المدقق الخبير، وظلت هذه الصلة بين الجغرافية واللغة قائمة حتى عصر متأخر، نجدها في معجم البلدان لياقوت الحموي، وهو من كتب الجغرافية، ونجدها في تاج العروس للزبيدي، وهو من معاجم اللغة»<sup>(٢)</sup>.

وفي القرن السابع الميلادي اعتبر القرآن الكريم أقدم وثيقة اسلامية احتوت بعض المعلومات الجغرافية على الرغم من قلتها، كما هي قليلة في الحديث الشريف. وما جرت تسميته «بالتراث الاسطوري في الجغرافية» قليل جداً بينها. وتتأكد في القرآن بشكل خاص أهمية النجوم كهاج في ظلمات الليل. وذكر بعض الباحثين ان القرآن اقتصر على ايراد عشرة أسماء لمواضع جغرافية جميعها داخل حدود جزيرة العرب (مكة، المدينة، بدر، حنين، الصفا، المروة، عرفات، طريقا)<sup>(٣)</sup> سيناء، ووادي طوى القريب منها (كما أورد بعض من مساكن الامم البائدة - وخارج حدود الجزيرة العربية ورد ذكر (الارض المقدسة) فلسطين ومصر وبابل)<sup>(٤)</sup> (شكل رقم ٢).

وتطلب الحج، وهو ركن أساسي من أركان الاسلام، معرفة كاملة بطرق القوافل الى مكة والمدينة، وكان الحجاج المهتمون بتقديم البلدان يجمعون وهم في طريقهم الى الديار المقدسة كثيراً من المعلومات عن الاراضي التي يمرون بها. فضلاً عن تدوين

انبثقت عناية العرب بالجغرافية من واقع بيئتهم، ذلك أن نشأتهم الاولى كانت في محيط حتم عليهم أن يلصوا بالمعلومات الجغرافية المختلفة، إذ لم يكن في استطاعتهم اداء الطقوس الدينية، وانجاز معاملات البيع والشراء وتسديد الديون إلا إذا ضبطوا مواعييدها<sup>(٥)</sup>. وما كان لهم أن ينتقلوا بإبلهم وضأنهم، وهي أثمن ما يمتلكون، إلا إذا عرفوا موارد الماء، ومنابت العشب، ونوع الحيوان السارج في الصحراء. ولم يكن في استطاعتهم أن يقوموا برحلاتهم السلمية والحربية، ولا سيما التجارية منها، في فجاج الصحراء إلا إذا عرفوا الشيء الكثير عن تغيرات الطقس، ومعلومات عن النجوم وتحركات الكواكب، يهتدون بها ويتخذون منها أدلة<sup>(٦)</sup>. لهذا اهتموا بعلم الفلك وتقدموا في ميادينه، مما جعلهم يتمتعون بمعين لا ينضب من التجارب المباشرة في مجال الجغرافية الفلكية. فقد استطاعوا توقيت ساعات الليل، وتحديد منازل القمر بـ (٢٨) منزلاً، والتنبؤ بحالة الطقس، وتحديد فصول السنة الملائمة للزراعة. وهو ما عُرف عند العرب باسم «النوء» - جمع أنواء - الذي ارتبط بالظواهر الجوية ارتباطاً وثيقاً، والفوا فيه كتباً عديدة، ويرجع احدها الى واحد من أوائل الجغرافيين العرب وهو ابن خرداذبة<sup>(٧)</sup> (شكل ١).

وخبرة العرب الفلكية والبحرية ويطرق الصحراء ومسالكتها مكنتهم من اداء دورهم - في فترة ما قبل الاسلام - كوسيط في التبادل التجاري بين الهند وافريقيا الشرقية من ناحية، وبلاد دجلة والفرات والامبراطورية الرومانية من ناحية اخرى<sup>(٨)</sup>. فقد عرفوا قبل غيرهم سر الملاحة الموسمية منذ اقدم العصور، وقاموا بنقل التجارة بين جنوب الجزيرة العربية وشمالها (الى سوريا وفلسطين) في رحلتي الشتاء والصيف.

وقد حلّ سكان سواحل الجزيرة العربية محل الفينيقيين في ممارسة النشاط التجاري الذي كان يمارسه الفينيقيون في المنطقة. وفي ذلك يقول الدكتور (فيليب حتي) عنهم وعن أبناء عمومتهم الفينيقيين: «وكان سكانها كآقاريهم القدماء

ما يسموه من الحجاج الآخرين عن بلادهم . وخير من يمثل هذا اللون من الادب الجغرافي « رحلة ابن جبير » .

وبالإضافة الى عامل الحج ، لعبت التجارة والرحلة ( لطلب العلم أو لأي غرض كان ) دوراً بارزاً في ازدياد حركة الاتصال بينهم وبين البلدان المعروفة لهم آنئذ . وقد تعاضمت التجارة بعد ظهور الاسلام كثيراً حيث رأينا التجار المسلمين ينهضون الى أطراف الارض ، ينقلون البضائع ويشتررون السلع . وقد شملت تجارتهم رقعة الدولة الاسلامية برمتها من الاندلس غرباً الى وادي السند وما وراء النهر شرقاً ، براً وبحراً . مما ساعد على إتساع المعلومات الجغرافية لدى العرب فشحهم على تدوين اخبار أسفارهم وما شاهدوه في ترحالهم فوصفوا البلدان وحياة سكانها في المناطق التي مروا بها . ومن هنا ظهرت كتب الرحلات المعروفة مثل رحلة المسعودي والمقدسي والادريسي . أما رحلة البحر فاشهرهم سلمان التاجر وابن ماجد وسليمان المهري . ومن شأن التوسع السياسي وانتشار رقعة الدولة نتيجة الفتوحات التي حملت العرب بعيداً عن حدود جزييرتهم الى مختلف الاقطار ان يحدث تغييراً شاملاً في تصورهم للعالم ، ويؤدي بلا ريب الى اتساع افقهم الجغرافي نتيجة التجربة المباشرة . وقد ساعدت المعلومات الجغرافية تلك الدولة الاسلامية في ادارة شؤونها وضبط خراجها ومعرفة طرقها وتحديد مسالكها وأبعادها وتنظيم تجارتها وبالتالي حفظ حقوق بيت المال وتنظيم طرق البريد ، فظهرت مصنفات لتلك الميادين . ومن بين هذه المصنفات ظهر لما يصح أن يسمى (بـ) الجغرافية الادارية والسياسية (٨) عن الفتوح والمغازي واخبارها . وهي تبدو واضحة في كتاب « المسالك والممالك » لابن خردادبة في اواسط القرن الثالث الهجري ( القرن التاسع الميلادي ) ، وفي كتاب « الخراج وصناعة الكتابة » لابن قدامة . وقد خضع البريد الى تنظيم جيد في العهد الاموي مما استرعى اعداد رسوم تخطيطية لمختلف الطرق ، وقد وجد مثل هذه الرسوم في دواوين الحكومة واستغلها بعض مؤلفي العصر العباسي في وضع مؤلفات في هذا الميدان . أما طرق البريد فقد نصبت جانبها حجارة لتوضيح المسافات وكانت تبدأ من مركز الخلافة . وعثر على بعض هذه الحجارة بفلسطين ، واماكن اخرى ، ترجع الى عهد عبد الملك بن مردان قبل عام ٨٦ هـ ( ٧٠٥ م ) (٩)

وجهاز البريد وما يتطلبه من شبكة للطرق والمواصلات كان دافعاً لتأليف عدة مصنفات تعالج هذه الناحية ، وهي كتب ( المسالك والممالك ) . وبين هذه المجموعة مؤلفات جغرافية شهيرة تحمل هذا العنوان : لابن خردادبة والاصطخري ، وابن حوقل وغيرهم .

ويمثل العصر الذي يمتد الى منتصف القرن الثامن ميلاد

بعض الانماط والصور التي بدأت تتشكل فيها بالتالي مصنفات جغرافية قائمة بذاتها وضمها علماء لغويون كانت تدور حول تصورات عرب الجاهلية عن الانواء واهتمامهم بالاماكن . كما ان هؤلاء العلماء مسؤولون عن ادخال نمط « الفضائل » في المؤلفات الجغرافية والتاريخية الذي يكاد يكون أطرف محاولة لصياغة التصورات الجغرافية في قالب أدبي . والى هذا العصر بالذات ترجع أولى اشارات عن ظهور مصورات جغرافية (١٠) ( خرائط ) وجغرافية وصفية في المجالين الاداري والاقتصادي لاسيما في الاندلس عام ١٠٠ هـ / ٧١٩ م ، أي في عهد عمر بن عبد العزيز (١١)

ورغم ان العرب وغيرهم من الامم قد عرفوا الشيء الكثير من المعلومات الجغرافية ، الا ان مفهوم كلمة ( جغرافيا ) لم يتبلور عندهم . ولم تتضح معالمه أو تتحدد أبعاده . فهذه الكلمة وكما جاءت على لسان ( مارينوس الصوري ) ثم على لسان ( بطليموس ) لم تكن في بداية استعمالها اكثر من رسم خارطة للارض تستند الى خطوط الطول ودوائر العرض توضع عليها المواضع الجغرافية الطبيعية والبشرية . وهي تدخل ضمن اختصاص الرياضيات ، بنظر بطليموس ، لذلك اتجه الى علم الفلك لانجازها (١٢) في حين يرى ( سترابو ) ان مهمة الجغرافي الاساسية هي في وصف البلدان وطبائعها ومناخها وغلاتها ومسالكها واقتصادياتها ومعتقداتها ، متجهاً بذلك نحو تحقيق المقاصد التي ينطوي عليها « الكوزموغرافيا » ، أي علم وصف الكون .

والجغرافية العربية بدأت بعد ظهور الاسلام تحمل طابعاً فلكياً نتيجة تعرف العرب على العلوم الهندية والفارسية أولاً ، ثم ، الاغريقية بعد ذلك حيث طغت شخصية بطليموس بمصنفاته الفلكية والجغرافية . ومن هنا ظهر الاتجاه الرياضي في الجغرافية . ومنذ ذلك الوقت سار تطور الجغرافية العربية من غير توقف الى آخر القرون الوسطى .

### الجغرافية الرياضية

ان للمنهج الكمي المطبق في الدراسات الجغرافية الحديثة جذور قديمة في التراث الجغرافي العربي . فقد نشأت الجغرافية نشأة رياضية ، وكان عدد كبير من الجغرافيين العرب القدامى لهم الملم رياضي واسع . فقد طبقه بعضهم بأرقامه ومعادلاته امثال الهمداني وابي الريحان البيروني والمراكشي ، وبعضهم بمنهجه واسلوبه مثل المقدسي وقدامة بن جعفر (١٣) والجغرافية الرياضية عند العرب وإن تأثرت بالفكر اليوناني الفلكي ، الا ان تأثير هؤلاء لم يكن هو السابق من الناحية الزمنية . فقد تقدمه الهندي . واذا كان التأثير اليوناني أخذت كفته في الرجحان منذ بداية القرن التاسع الا ان المذهبين الاولين



ظلا مع ذلك محتفظين ببعض اهميتهما مدة لا تقل عن القرنين حتى في المناطق البعيدة كالاندلس .

ففي أوائل ظهور الدولة العباسية ، قسم الجغرافيون العرب العالم الى ( كشاور ) تتكون من دوائر هندسية احداها في الوسط ، وتحيطها الدوائر الست الاخرى ، وظل هذا النظام معمولاً به عند الجغرافيين العرب الى أن تحولوا عنه وذلك باقتباسهم التقسيم الذي وضعه محمد بن موسى الخوارزمي ( ٢٢٢ هـ / ٨٤٧ م ) واضع اسس الجغرافية العربية ، ويقوم على أساس الاقاليم السبعة وفق الاحداثيات الجغرافية على شكل مستطيلات متوازية ، ومن أخذ بهذا النظام الفرغاني ( ٢٤٧ هـ / ٨٦١ م ) والبيروني ( ٤٤٢ هـ / ١٠٥٠ م ) وسهراب . ويمثل الخوارزمي ومن سار على منواله مدرسة جغرافية عربية بحتة لا صلة لها بالفرس او الهنود او اليونانيين<sup>(١٧)</sup>

وقد وضع بعض الجغرافيين العرب اسساً جديدة لتقسيمات اقليمية عربية أصيلة لا تقوم على اسس رياضية ، كما فعل الاقدمون ، وانما وفقاً لمشاعرهم القومية كما فعل الهمداني عندما وضع كتابه ( صفة جزيرة العرب ) وقسمها الى خمسة أقسام متخذاً من ظواهر سطحها اسساً لذلك ، أو وفقاً لحاجة الدولة الادارية مثلما قسم المقدسي الدولة العربية الاسلامية الى ( ١٤ ) اقليماً ادارياً<sup>(١٨)</sup>

أما التأثير الهندي فيتمثل بصورة خاصة بادخال نظام « السندهند »<sup>(١٩)</sup> في الفلك العربي على اساس عدد من الرسائل الهندية في عهد المنصور متضمنة جداول رياضية نتيت على الحسابات الفلكية وقوانين عملها وكيفية استعمالها ، وهي تدور حول تحركات الاجرام السماوية وطلوع ومغيب البروج . وقد حفظ لنا الفزاري ( ١٨٨ هـ / ٨٠٣ م ) هذا النظام بعد أن أجرى عليه تعديلات وازافات جوهرية ، حيث قام بتحويل حساب التوقيت الهندي الى سنين قمرية كما هي مستعملة لدى العرب . أما اضافات فقد بدت في الاتساع الملحوظ في المادة المتعلقة باراضي الخلافة . ونشاط « الفزاري » يمثل فاتحة عهد جديد في تطور الفلك والجغرافية الرياضية عند العرب . إذ كان هو و ( ما شاء الله ) أول من وضع الاسطرلاب بين العرب<sup>(٢٠)</sup> وفيما بعد ظهر عدد آخر من أشهر فلكيي العرب مثل المنجم يحيى بن أبي المنصور ( ٢٣٠ هـ / ٨٤٤ م ) والفرغاني والمروزي ( ٢٧٤ هـ / ٨٨٧ م ) وغيرهم .

وبقي نظام « السندهند » سائداً حوالي نصف قرن أي الى عصر المأمون حين بدأ يزحمة المذهب اليوناني الا أنه لم يختلف مرة واحدة . فأكبر رياضي عصر المأمون وهو ( الخوارزمي ) قد وضع جداوله الفلكية « السندهند الصغير » اعتماداً على النظام الهندي . واستمر متداولاً الى آخر القرن

الحادي عشر الميلادي . وفي أراضي الخلافة الغربية استمر الاهتمام به زمناً أطول . واحدى القواعد الجوهرية لهذا النظام ظلت حدة ما مرتبطة بالمصنفات العربية على الدوام وامتد تأثيرها في بعض المجالات الى أيام كولومبس . اعني بذلك مسألة حساب خط الزوال أي خط منتصف النهار الذي كانت منه تقاس الاطوال عند العرب قبل مجيء النظام اليوناني وذلك من عند الارين Arine أو « قبة الارض » الموجودة في مكان ما من الشرق . وهي النقطة التي يتقاطع فيها خط الاستواء مع خط منتصف النهار حيث تقع على أبعاد متساوية من الغرب والشرق والشمال والجنوب<sup>(٢١)</sup>

ونظرية الارين هي المسؤولة عن ظهور الشكل الكمثري للارض عند كولومبس حيث يوجد مركز اخر للارض في نصف الكرة الغربي . وهكذا فإن النظرية الجغرافية العربية قد لعبت دوراً ما في كشف العالم الجديد . ومما يجدر ذكره ان كروية الارض كانت معروفة لدى العرب منذ عهد مبكر وقبل كوبر نيكوس بزمان بعيد . فقد ساق « الفرغاني » بعض البراهين المتداولة في الوقت الحاضر لاثبات استدارة الارض<sup>(٢٢)</sup> كما يتضح من رواية ابن رسته ( بين ٢٩٠ و ٣٠٠ هـ / ٩٠٣ و ٩١٣ م )<sup>(٢٣)</sup> ولم تجد النظريات الفلكية والجغرافية الهندية طريقها الى العرب مباشرة فحسب بل وصلتهم احياناً في ثوب آخر . مثل دخول مصطلح ( الزيج ) في الاستعمال العربي للجداول الفلكية ، ولعل زيج الشاه ( زيج الملك ) كان أكثر مصنفات المذهب الفلكي هذا ، انتشاراً في اللغة العربية . وقد أخذ المذهب اليوناني يضيق الخناق على المذهبين الآخرين في الجغرافية الرياضية العربية منذ بداية القرن التاسع ، واصبح هو السائد منذ منتصف القرن المذكور<sup>(٢٤)</sup>

ومنذ عهدي الرشيد والمأمون نشطت حركة الترجمة في بيت الحكمة ، فانتشرت المؤلفات اليونانية واحتلت مكانة مرموقة بينها مؤلفات بطليموس الذي بدأ به عهد جديد في تاريخ الفلك والجغرافية عند العرب لا سيما مصنفيه الكبيرين وهما رسالة الفلك ( الجامع ) و ( المدخل الى الجغرافيا ) والمعروف باسم « جغرافيا » . والاول منها أخذ شكله العربي باسم « المجسطي » وقد ترك أثراً محموداً في تقدم الفلك والرياضيات لا بين العرب وحدهم بل وفي اوربا الوسيطة أيضاً .

وقد بلغت جهود الاغريق والرومان الجغرافية ذروتها في مؤلفي بطليموس ، المشار اليهما ، الا انه يمكن اعتبارهما أيضاً ختام الكشف الجغرافية القديمة . إذ لم تعد تحوي الكتب الاغريقية والرومانية معلومات جديدة ، فاخذت الاعمال الجغرافية والكارتوغرافية تتقهقر في عصر الرومان بحيث ساد الجمود والخمول قروناً حتى ظهر العرب على مسرح الاحداث ، الذين اعتبروا ورثة الثقافة الهيلينية التي مهدت لها السبيل

فتوح الاسكندر في أول الامر ثم انتشرت فيما بعد في أرجاء الاقاليم الشرقية من الامبراطورية الرومانية<sup>(١١٠)</sup> لهذا أخذ العرب على عاتقهم بعد مرور ستة قرون من الزمن احياء دراسات بطليموس ومناقشتها من جديد ثم بقاء النهضة العلمية العربية الجديدة .

وأبرز عمل قام به الجغرافيون العرب في هذا المجال هو قيام الخوارزمي ، اكبر رياضي النصف الاول من القرن التاسع الميلادي ، بترجمة مصلحة معدلة لرسالة بطليموس في الجغرافية<sup>(١١١)</sup> ولعلها تعد من أقدم الترجمات . ويمكن اعتبارها في الوقت ذاته أول رسالة أصيلة في الجغرافية الرياضية عند العرب وشاملة لجميع العالم المعروف لهم انذاك .

ومع ان مصنفات بطليموس لعبت دوراً رئيساً في تطوير الادب الجغرافي العربي لكن العرب في هذا العصر بدأوا يجمعون بين الاستيعاب النظري للعلوم اليونانية والتطبيق العملي لنظرياتهما في ابحاثهم المستقلة . فقد وضعوا جداولهم الفلكية المستقلة على اساس المراجعة النقدية لنتائج السابقين لهم في هذا المضمار . ورسموا خرائط لا تقل جودة عن النماذج اليونانية .

فمن ابتكاراتهم أنهم أجروا تجربة لحساب خط منتصف النهار وقياس محيط الارض سنة ٨٢٧ م في زمن المأمون تحت اشراف ابناء موسى بن شاكر ( محمد ، احمد ، حسن ) . وتقوم حساباتهم على اساس قياس درجة واحدة على خط الزوال ثم ضرب الناتج في ٢٦٠ . وقد بلغت الدرجة بموجب التجربة العربية المأمونية ٥٦ ميلاً وتلثي الميل<sup>(١١٢)</sup> وهو طول لا يختلف عن النتائج التي أسفرت عنها أحدث الدراسات بحيث ان الخطأ في هذا المقياس يقل عن الكيلومتر الواحد<sup>(١١٣)</sup> مما يمكن أن نعزو الى نقص الاجهزة المستعملة في القرن التاسع . وتعتبر التجربة العربية المذكورة محاولة جريئة اعتبرها العلماء « من أجل آثار العرب في ميدان الفلكيات »<sup>(١١٤)</sup> وهي تقف في حد ذاتها دليلاً على ما بلغته الحضارة العربية من تقدم علمي كبير وسريع الخطى . مما جعلها تحتل مكانة في تاريخ الجغرافية والرياضيات كما يقول كراتشكوفسكي<sup>(١١٥)</sup>

ومما يجدر ذكره أن أبا الريحان البيروني قد ابتكر طريقة جديدة لاستخراج محيط الارض ، وقد جاءت هذه الطريقة في آخر كتاب « الاسطرلاب » . ويعترف « نيلينو » بأن قياساته تلك تعد من الاعمال العلمية الماثورة للعرب . هذا وقد ألف أبو الريحان عشرة مؤلفات في الجغرافية الرياضية وأربعة في هيئة الارض وقام برسم خرائط فلكية بطريقة تشبه ما نشره ( باترنو ) فيما بعد . وقد استفاد ياقوت الحموي من كتاب أبي الريحان « التفهيم لاوائل صناعة التنجيم » كثيراً حيث احتوى هذا الكتاب على مواضيع فلكية وجغرافية عديدة<sup>(١١٦)</sup> وفي عهد المأمون تم انشاء مرصدين احدهما في حي

الشماسية ببغداد سنة ٢١٤ هـ / ٨٢٩ م ، والاخر على جبل قاسيون بدمشق سنة ٢١٧ هـ / ٨٢٢ م . ويفضل هذين المرصدين تم تحديد الموقع الجغرافي لجميع النقاط المهمة من جديد . أي ضبط عرضها وأطوالها . وهو ما عُرف باسم « الزيج المأموني الممتحن » . كما قام الفلكيون أبناء موسى بن شاكر بقياس عرض محله باب الطاق ببغداد فبلغ ٣٢ درجة و ٢٠ دقيقة شمالاً . وهو ما ينطبق تماماً على واقع الحال بعد اضافة عشر ثوانٍ تقريباً<sup>(١١٧)</sup> وبواسطة المرصدين المذكورين عُيِّن انحراف سمت الشمس فبلغ ٢٣ درجة و ٣٢ دقيقة و ٥٢ ثانية . أي ما يعادل الرقم الحاضر . كما نشأ عن رصدهم للاعتدال الشمس تعيينهم مدة السنة بالضبط . ومن أشهر علماء الفلك في تلك الفترة « البتاني » ( ٣١٧ هـ / ٩٢٩ م ) حيث كان له من الشأن ما لبطليموس عند الاغريق<sup>(١١٨)</sup>

وقد اخذ الغرب فكرة مبكرة عن « الزيج المأموني » بفضل ترجمة رسالة الفرغاني مرتين الى اللغة اللاتينية في القرن الثاني عشر ، كما ترجمت في القرن الثالث عشر الى لغات اوربية اخرى .

وبالاضافة الى ما سبق يقدم لنا هذا العصر أترا جغرافياً ممتازاً هو ما يسمى بـ ( الصورة المأمونية ) ولم تصلنا منها آثار مباشرة . وقد رآها المسعودي في القرن العاشر حينما قال : « ورأيت ... الصورة المأمونية ... وهي أحسن مما تقدمها من جغرافيا بطليموس وجغرافيا مارينوس وغيرهما »<sup>(١١٩)</sup>

ولا يزال الإشكال قائماً حول كتاب يُعزى دون مبرر الى بطليموس ، إذ نشأ في محيط لا علاقاً له البتة ببطليموس ، وهو « كتاب الملحمة » ويقصد به هنا ( التنبؤات ) وذلك لعلاقته بالتنجيم . وهذا الكتاب هو المصدر الأساس لياقوت الحموي في معجمه الجغرافي دون جميع الزيجات الاخرى ، وعليه ينشأ تحديده لأطوال وعروض المدن واستخرج منه وقائع تنجيمية مختلفة . وقد بلغت استشهادات ياقوت به السبعين تقريباً<sup>(١٢٠)</sup>

### الجغرافية الوصفية

بعد ظهور الجغرافية الرياضية عند العرب في القرن التاسع ، بدأت تتشكل منذ منتصف ذلك القرن الجغرافية الوصفية ببطء ملحوظ في بداية الامر ، حيث اهتم بها اللغويون أو طبقة اهل الادب كما يسميهم ياقوت ، وقد أخضع هؤلاء المادة لمطالبهم . إذ أن التخصص في الجغرافية لم يعرف الا في عصر متأخر للغاية ، وان كثيراً ممن كتب عن جغرافية ديار الاسلام لم يكن جغرافياً بالحرفة . أما المواضيع التي تناولتها الجغرافية الوصفية فكانت تشمل وصف البلدان والمدن والآثار والجبال والسكان وما اليها لغرض تسهيل تحصيل ضريبة



الجزية والخراج وتمشية أمور الدولة الأخرى .

وفي الفترة المبكرة لظهور الجغرافية الوصفية ، لم يكن التسلسل التاريخي لتأليف المصنفات المختلفة لبعض أنماطها واضحاً على الدوام . إلا أنه ومنذ النصف الثاني من القرن التاسع أخذت الجغرافية الوصفية تتخذ أنماطاً ثابتة حيث انفسح المجال للغويين بصورة خاصة ليؤلفوا فيها . ويمكن عموماً تصنيف المؤلفات التي تناولتها الجغرافية الوصفية بما يلي :

- ١ - كتب الأنواء والفضائل والمجانب .
- ٢ - المؤلفات الخاصة بالمسالك والبلدان .
- ٣ - المصنفات الطبوغرافية .
- ٤ - الجغرافية الإقليمية .
- ٥ - كتب الرحلات ( البرية والبحرية ) .

#### ١ - كتب الأنواء والفضائل والمجانب :

عنى العرب بعلم الأنواء الذي يبحث في صنوف الطقس وفي الظواهر الطبيعية الأخرى كالرياح والأمطار والسحاب وما يتصل بذلك من معرفة حركات النجوم والكواكب وربطها بالمواسم وبالحيوان وبالنبات<sup>(١٢)</sup> واستمرت سلسلة رسائل الأنواء في الصدور طيلة القرنين التاسع والعاشر ، ويعتبر مصنف الدينوري ( ٢٨٢ هـ / ٨٩٥ م ) أبعداً صيتاً . وفي أوائل القرن التاسع وضع « النضر بن شميل » ( ٢٠٣ هـ / ٨١٨ م ) ، وهو من أصحاب كتب الأنواء ، موسوعة في الحياة البدوية سماها « كتاب الصفات » ومن بين ما تحويه مادة متنوعة من الجغرافية الطبيعية والاثنوغرافيا ( الانثروبولوجيا الوصفية ) والجغرافية الحيوية<sup>(١٣)</sup> ومن كتب الأنواء الأخرى مصنف « مؤرج السدوسي » ( ١٩٥ هـ / ٨١٠ م ) ، وكتاب ابن قتيبة ( ٢٧٦ هـ / ٨٨٩ م ) . وقد عدد ابن النديم في الفهرست ١٥ كتاباً في الأنواء<sup>(١٤)</sup> .

والف اللغويون أيضاً كتباً في الفضائل أو الخصائص التي ازدهرت في العصر الأموي ، حيث تتناول صفات ومحاسن الحواضر الكبرى ( مثل دمشق والبصرة ) ، وقد ساهم الجاحظ فيما كتبه بهذا النمط من المصنفات ، وتمت تأثير الموضوعات الأسطورية والرغبة في الامتاع والتشويق تحولت بعض مواضيع الجغرافية الوصفية الى كتب المجانب ، مثل « كتاب المجانب الأربعة » لهشام بن محمد بن السائب بن بشير الذي يعتبر أول كتاب في الموضوعات الجغرافية العامة في الإسلام .

#### ٢ - المؤلفات الخاصة بالمسالك والبلدان :

أصبح للجغرافية الوصفية ضرورة عملية بعد اتساع رقعة

الدولة الإسلامية ، مما يتطلب معرفة الطرق التي تربط بين اصقاع هذه الدولة الفسيحة . وكان لابد من معرفة السكك والمسافات بين الأماكن ، فأدى الى ظهور « كتب المسالك » مثل كتاب « المسالك والممالك » للمروزي . ويعد من أقدم مصنفات المسالك إن لم يكن أقدمها ، ذكره ابن النديم في الفهرست وياقوت في المعجم . ومن المؤلفات القديمة أيضاً في هذا المجال كتاب ابن خرداذبة الذي يحمل نفس العنوان . وقد كان مؤلفه من متولي البريد والخبر في الجبل بفارس ، وهو أول كتاب يصل إلينا في هذا الاختصاص . ويبحث في طرق المواصلات بين جميع المدن الإسلامية المعروفة في عصره . وفيه ذكر للانتاج الزراعي والضرائب والخراج ، وهو وليد الحاجة الإدارية . وتروى المؤلف يشرح مضمون كتابه فيقول أنه يتناول « مسالك الأرض وممالكها وصفتها وبعدها وقربها وعامرها وغامرها والمسير بين ذلك منها ... ورسوم طرقها وطسوقها ... »<sup>(١٥)</sup>

وظهرت عدة مصنفات تحمل نفس العنوان ( المسالك والممالك ) للرخسي ( ٢٨٦ هـ / ٨٩٩ م ) ، وآخر للاصطخري ( ٣٤٦ هـ / ٩٥٧ م ) ، وغيره لقدامة بن جعفر ( بين ٣١٠ و ٣٢٠ هـ / ٩٣٢ م ) بعنوان « كتاب الخراج وصناعة الكتابة » ، حيث يبين الطرق والمسافات وديوان البريد فضلاً عن قيمة جباية الدولة ، وقد ألفه في عهد المكتفي بالله في أواخر القرن الثالث الهجري عندما قلده منصب صاحب البريد . وقد وصل إلينا القسم الخاص بالخراج ، لهذا ألحق بكتاب ابن خرداذبة . كما ألف الوراق ( ٣٦٢ هـ / ٩٧٣ م ) كتاباً في المسالك والممالك ، وكذلك البكري ( ٤٨٧ هـ / ١٠٩٤ م ) والجهاني وغيرهم . وتطلبت السياسة والإدارة والتجارة وما إليها وصفاً دقيقاً للامكنة والبقاع ، فانتسج وبصورة تدريجية وصف المدن والاقطار من طراز الفضائل ليتحول الى « كتب البلدان » ، وأقدمها مصنف هشام الكلبي ( حوالي ٢٠٦ هـ / ٨٢٠ م ) « البلدان الكبير والبلدان الصغير » ، وهي أول الكتب التي ظهرت في أخبار البلدان . وظهر بعدها « كتاب البلدان » لليعقوبي ( ٢٨٤ هـ / ٨٩٧ م ) الذي وضعه سنة ٢٧٨ هـ . ويعود اليه الفضل في تسمية علم الجغرافية ( بعلم أخبار البلدان ) وفي ظهور « جغرافية المدن » . إذ أن من بين ما يتميز به اليعقوبي ولعه بالاحصائيات والوصف الطبوغرافي في للمدن لا سيما بغداد وسامراء<sup>(١٦)</sup> .

ومن المؤلفات البلدانية ، الأخرى مصنف البلاذري ( ٢٧٩ هـ / ٨٩٢ م ) « فتوح البلدان » ، ومصنف ابن الفقيه الهمداني ( حوالي ٢٩٠ هـ / ٩٠٣ م ) « مختصر كتاب البلدان » وابن رسته « الاعلاق النفيسة » .

### ٣- المصنفات الطوبوغرافية

اهتمت الجغرافية الوصفية ، زيادة على ما تقدم ، بنوع من المؤلفات التاريخية الجغرافية انصبت الدراسة فيها على مدن مفردة في نواحي شتى من العالم الاسلامي وتمدنا بالمعلومات الجغرافية عنها ، أطلق عليها اسم « المصنفات الطوبوغرافية » وهي خاصة بالمدن والخطط ، ومن اشهر تلك المؤلفات ما كتبه الخطيب البغدادي ( ٤٦٣ هـ / ١٠٧١ م ) عن مدينة بغداد ، ووصف ابن جامع لاسكندرية ، وعبد اللطيف عن مصر ، وهذه تعتبر من أهم الكتب الطوبوغرافية في العصور الوسطى .

وقد اكتسب الادب الجغرافي الطوبوغرافي انتشاراً واسعاً في مصر بصورة خاصة حيث يمكننا أن نتتبع منذ النصف الثاني للقرن التاسع ميلاد نوع فريد مستقل من المصنفات من الطراز المعروف باسم الخطط ، أي وصف الاحياء والنواحي ، وقد ظل مزدهراً بمصر الى القرن التاسع عشر . وأول مؤلف يصل اليها من هذا النوع « فتوح مصر » لابن عبد الحكم ( ٢٥٧ هـ / ٨٧١ م ) وعلى غرارها جاءت مصنفات المقريزي ( ٨٤٥ هـ / ١٤٤٢ م ) الذي اهتم بالجانب الاجتماعي والديموغرافي للتاريخ ، وكذلك السيوطي ، كما اهتم به ياقوت في معجمه .

### ٤- الجغرافية الاقليمية :

تناولت الجغرافية الوصفية بين ما تناولته من فروع الجغرافية ، فرع أطلق عليه اسم « الجغرافية الاقليمية » . وقد تناولها اللغويون الذين انصرفوا انصرافاً تاماً الى الجزيرة العربية . وقد لاحظ ياقوت الحموي بالكثير من الدقة ، وذلك عند تحليله لمصادر معجمه ، ان الكتب التي صنفت في اسماء الاماكن صنفان : (٢٢) أحدهما قصد به ذكر الاماكن العربية والمنازل البدوية حيث ينسبهم ياقوت الى « طبقة أهل الادب » أي اللغويون - ويدخل الصنف الآخر تحت باب كتب البلدان والمسالك - وجُل قصدهم شرح الالفاظ وتحديد الاماكن ، وقد شذ بعضهم عن ذلك كهشام الكلبي حيث انفرد بالتأليف الجغرافي الصرف زيادة على مؤلفاته في اللغة والادب والتاريخ . (٢٣) الا ان الكلبي يجب أن يحتل مكانة اولى في التراث الجغرافي اللغوي ، فهو خبير بالجاهلية وصاحب كتاب الاصنام ، وجمهرة الانساب ، والاعتراف به كحجة يؤكد ياقوت ، فقد أورد اسمه ( ٢٥٠ ) مرة . ويعتبره المصدر الاساس عن جزيرة العرب ، على الرغم من أنه أول مؤلف بالنسبة لعصره يكتب في موضوعات جغرافية عامة تتجاوز نطاق جزيرة العرب الى خارجها مثل الكوفة والرها والنهروان والمخزوم قرب بغداد ، كما ظهر من الاقتباسات التي ينقلها عنه ياقوت .

ومن مصنفات الجغرافية الاقليمية الاخرى نذكر كتاب « مكة

والحرم » لابي عبيدة ( ٢١٠ هـ / ٨٢٥ م ) ، وكتاب « الجبال والودية » لابن حمدويه ( ٢٥٥ هـ / ٨٦٨ م ) ، وكتاب « المناهل والقرى » لابي سعيد السكري ( ٢٧٥ هـ / ٨٨٨ م ) ، و « كتاب جزيرة العرب » للاصمعي وتلميذه سعدان بن المبارك ( ٢٢٠ هـ / ٨٢٥ م ) صاحب كتاب « الارضين والمياه والجبال والبحار » وينحصر بحثه ضمن نطاق جزيرة العرب أيضاً . كما ألف أبو زيد الانصاري ( ٢١٥ هـ / ٨٢٠ م ) كتاب « المياه » (٢٤) الا ان اعظم مصنفات الجغرافية الاقليمية هو « صفة جزيرة العرب » للهمداني ( ٢٢٤ هـ / ٩٤٥ م ) الذي يمتاز على جميع مصنفات القرنين التاسع والعاشر ولا يبيزه في القرن العاشر الا مصنف البيروني « الهند » .

وكان مفهوم الاقليم يقوم على أساس تقسيم الارض حسب درجات العرض على صفة مناطق تمتد موازية لخط الاستواء ، وبهذا قُسمت الارض الى سبعة اقاليم . في حين ان للاقليم مفهوم جديد عند الهمداني كما سبق القول ، كذلك عند الاصطخري ويقوم على أساس تقسيم العالم الاسلامي الى عشرين اقليماً ، وخص كل واحد منها بخريطة ( صورة ) حدها بما كانت عليه في أواسط القرن العاشر الميلادي . لهذا يُعد الاصطخري على رأس مدرسة جغرافية جديدة تختلف عما سبقتها من مدارس (٢٥)

والاصطخري في مؤلفه « المسالك والممالك » قد حدد نفسه بمنهج واضح حينما تحدث عن اقاليم الارض في بلاد الاسلام بقوله : « ... ولم أقصد الاقاليم السبعة التي عليها قسمة الارض ، بل جعلت كل قطعة أفردتها مفردة مصورة ، تحكي موضع ذلك الاقليم ، ثم ذكرت ما يحيط به من الاماكن ... فاكثفت ببيان موقع كل اقليم ليعرف مكانه ، ثم افردت لكل اقليم من بلاد الاسلام صورة على حدة ، بينت فيها شكل ذلك الاقليم وما يقع فيه من المدن وسائر ما يحتاج الى علمه ... » (٢٦)

وبهذا حدد الاصطخري نفسه بأن كتابه في الجغرافية الاقليمية وليس في الجغرافية العامة التي كتب فيها معظم من تقدمه . ومفهوم الاقليم الجغرافي واضح في ذهنه ، فهو لا يعني تلك الاقاليم السبعة التي اصطلح عليها القدماء ، وليس الاقليم منطقة من الارض تحكمها دولة بعينها (٢٧) وانما هو منطقة جغرافية ذات مظاهر طبيعية تكسبها شخصية مستقلة متميزة . ولذلك فهو يميز بين خراسان وما وراء النهر مع انهما تحت حكم السامانيين ، ويجعل كلا منهما اقليماً قائماً بذاته . ويعلل بين أونة واخرى السبب في أنه ضم جزء الى هذا الاقليم أو ذاك ، فيقول مثلاً : « فاما الري فإنا ضمناها الى الديلم وإن كانت قائمة بنفسها ، لان اتصالها بها اتصال واحد وليس بينهما حاجز يستحق به الانفرد عنها ... » (٢٨) ومن قوله أيضاً



في ما وراء النهر : « وقد كان في التقدير ان تصور خوارزم في صورة خراسان ونصفها في صورة ما وراء النهر ، غير ان الغرض في هذا الكتاب معرفة هذه الاقاليم ومدنها ، فاخترت ان تكون خوارزم مجموعة في الصورة وجعلتها في صورة ما وراء النهر فابلى بذلك غرضي من غير تكرار في الصورتين » (١٠).

ويجمل الاصطخري كلاً من بلاد العرب ، ومصر ، والمغرب ، وبحر الروم ، وبحر الخزر أقاليم قائمة بذاتها ، وذلك لان لكل منها ظروفاً طبيعية تميزها عن غيرها وبهذا فإن الاصطخري لا يقبل التقسيم الإداري الذي دعت اليه ظروف غير جغرافية ، وانما يجعل المنطقة وحدة ولا يجزئها إلا اذا جزأتها الطبيعة ، وجاء المقدسي بعد الاصطخري فلم ينس مفهوم الاقليم عندما تحدث عن بلده فلسطين ، وقسم المقدسي مملكة الاسلام الى اربعة عشر اقليماً ، وفي هذا يقول : « وأفردنا اقاليم المعجم عن اقاليم العرب ثم فصلنا كور كل اقليم ونصبنا أمصارها وذكرنا قصباتها ورتبنا مدنها وأجنادها بعدما مثلناها ورسمنا حدودها وخططها وحررنا طرقها المعروفة ... » (١١) بعد ان وضع في خرائطه لكل ظاهرة لونها ليسهل ادراكها وفهمها .

واذا كانت الجغرافية الاقليمية قد اهتم بها اللغويون ( اهل الادب ) ، فإن كبار العلماء لم يحصروا نشاطهم في حدود ضيقة كاللغويين . فمال كالجاحظ ( ٢٥٥ هـ / ٨٦٩ م ) صنف كتاب « الحيوان » ، وهو كتاب جامع يحفل بالكثير من المعلومات ( جغرافية حيوية ، اثنوغرافيا ، انثروبولوجيا ) (١٢) على الرغم من غلبة الموضوعات الادبية عليه . وسار على منواله ابن الفقيه الهمداني الذي اعتمد على ابن خرداذبه ونقل حرفياً على ما كتبه حول صفة الارض والاقاليم السبعة (١٣).

وتم الكشف في الآونة الاخيرة عن مصنف للجاحظ يقف دليلاً على اهتمامه الواسع بالجغرافية . ويمكن اعتباره أول محاولة للعرب في الجغرافية الاقتصادية ، أو على وجه الدقة « جغرافية التجارة » ، أعني بذلك الرسالة الصغيرة المعروفة باسم « التبصر بالتجارة » . وهي تعالج السلع التجارية وأسعارها والمستورد منها (١٤).

#### ٥ - كتب الرحلات :

ان ميول العرب للرحلة في طلب العلم وتقصى الاخبار ومغامراتهم البحرية بقصد التجارة أو غيرها كانت تحتل حيزاً مهماً في التراث الثقافي العربي . وكثيراً ما كانت هذه الرحلات تلاقي تشجيعاً رسمياً ودعمًا مالياً في سبيل تحقيق اغراضها في الاطلاع على شؤون البلاد النائية وتوثيق الصلات التجارية معها (١٥) وتدل الشواهد بان العرب قد أسسوا مركزاً لهم في ميناء كانتون الصيني منذ أوائل القرن الثاني الهجري ( الثامن الميلادي ) . واستمرار الصلات التجارية معها مهدت السبيل لرحلة التجار العرب الآخرين الى الهند والصين فيما

بعد .

وقد ثبتت الصورة النهائية لقصى الرحلات في القرن التاسع الميلادي . واقدم رحلات هذا القرن تلك الحكايات والاخبار التي رواها ابن خرداذبه عن سلام الترحمان ، ومحمد بن موسى المذجم ، وأبو زيد السيماني عن سليمان التاجر ، وابن وهب . وما رواه اليعقوبي وخبر به عن رحلاته التي أورد فيها وصفاً مفصلاً عن البلدان التي زارها ومظاهرها الطبيعية ونواحيها البشرية . مما ساعد على ظهور كتب الرحلات في القرن التاسع التي استمرت طيلة القرون الخمسة التالية (١٦).

ويعتبر القرن العاشر الميلادي من أحفل القرون باخبار الرحالة العرب ، إذ يمكن الاستنتاج انهم وصلوا شواطئ أمريكا من خلال رواية الادريسي . وتوغلوا في بلاد الروس ، وتنقلوا في العالم الاسلامي من شرقه الى غربه . وتحدثوا عما صادفوه من التجارب والمشاهدات خلال رحلاتهم في مؤلفاتهم . ولم يزل بعضها يعتبر حتى اليوم دليل المؤرخ والجغرافي والباحث ، ومرجعاً مهماً عن البلدان التي زاروها (١٧) . وتعتبر رحلة ابن جبير ( ٥٤٣ هـ / ١١٤٨ م ) من الناحية الفنية نروة ما بلغه نمط الرحلة في الادب العربي . وقد اختتم ابن بطوطة ( ٧٧٠ هـ / ١٣٦٨ م ) سلسلة الرحلات العربية ذات الاهمية العالمية بعد أن أمضى ٢٨ عاماً في رحلته وقطع خلالها ما يعادل ( ١٢٠ ) ألف كيلومتر (١٨).

أما دوافع تلك الرحلات فيمكن ايجازها فيما يأتي :  
أ - في سبيل الكشف والمغامرة كرحلة الفتية المغرورين ( أي المخاطرين ) حيث قام ثمانية شبان أبناء عمومة برحلة من لشبونة في بحر الظلمات ( المحيط الاطلسي ) كما رواها الادريسي . وعرب الاندلس رغم تخوفهم من البحر المذكور ، قاموا بعدة محاولات للكشف فيه خلال القرن التاسع كما أشار الى ذلك المسعودي (١٩) . وأقدم « محمد بن قو » سلطان مالي خلال القرن الرابع عشر الميلادي على رحلة جريئة في المحيط الاطلسي حاول خلالها أن يصل الى الشاطئ الغربي لبحر اللجي أي بحر الظلمات ، كما رواها القلقشندي في صبح الاعشى (٢٠).

ب - في سبيل الرزق والمعرفة وحب الاستطلاع كرحلة ابن حوقل والمسعودي والمقدسي . فقد أتحننا المسعودي ( ٣٤٦ هـ / ٩٥٧ م ) ، الذي قضى ٢٥ سنة من حياته في التطواف ، بمشاهداته عن بدائع الامم وخواص الاقاليم وتفسير بعض ظواهرات الجغرافية الطبيعية مثل كروية الارض وغلافها الغازي والرياح الموسمية والمواقيت الصالحة للملاحة . ومن الغريب أن توجد لديه فكرة وحدة الشعوب السامية قبل عهد طويل من ظهورها كنظرية علمية في اوربا . الا ان المسعودي شأن الغالبية من مؤلفي عصره يعمل بالتسجيل اكثر مما يعني بتحقيق ما يسجل .

ولرحلة المقدسي ( حوالي ٢٩٠ هـ / ١٠٠٠ م ) قيمة جغرافية عالية تجعلها وثيقة يستند عليها الجغرافي الذي يبغي معلومات عن البلدان التي وصلها المقدسي البشاري فيما يخص فروع الجغرافية الطبيعية والبشرية والاقتصادية والعمرائية . واقترب في كثير من ملاحظاته لفهم الجغرافية على الطريقة الحديثة واستخدامها كأداة للتحقيق العام .

أما ابن حوقل ( ٢٦٧ هـ / ٩٧٨ م ) فقد ذكر كل ما شاهده من ظواهر في كتابه « صورة الارض » الذي يعد موسوعة جغرافية ، لأن ابن حوقل لم يدع صغيرة ولا كبيرة الا وقد تطرق اليها . فهو يقول : « ... وقد جعلت لكل قطعة أفردتها تصويراً وشكلاً يحكي موضوع ذلك الاقليم ... واعانني عليه تواصل السفر وانزعاجي عن وطني ... » (١١٠)

ج - الاطلاع بمهمة رسمية كانت الدولة تكلفهم بها فيسافرون كوسل للخليفة أو كسفراء له فوق العادة بلغة عصرنا . فساعدت على توسيع المعلومات الجغرافية عن البلاد الأجنبية . وأقدم بعثة اسلامية أرسلت الى الصين كانت في زمن الخليفة عثمان ( ر ) سنة ٣١١ هـ / ٦٥١ م . وارسلت بعثات اخرى الى الصين ، منها اثنتان : الاولى أوفدها الخليفة ابو جعفر المنصور ( ١٤٥ - ١٥٨ هـ / ٧٦٢ - ٧٧٥ م ) ، والثانية أرسلها الخليفة هارون الرشيد ( ١٧٠ - ١٩٣ هـ / ٧٨٦ - ٨٠٩ م ) (١١١)

ولعبت بعض الشخصيات العربية دور الدبلوماسي الناجح مثل « يحيى بن الحكم البكري » الملقب بالفزال ( ٢٥٠ هـ / ٨٦٤ م ) ، حيث لعب دور الدبلوماسي مرتين ، وهو على معرفة بعدد من اللغات . وكان أمير قرطبة عبد الرحمن الثاني ( ٢٠٦ - ٢٢٨ هـ / ٨٢١ - ٨٥٢ م ) قد وجهه الى بلاد الشمال لمفاوضة النورمان سنة ٢٣٠ هـ / ٨٤٤ م والذين سبق وان اغاروا على الاندلس . ويبدو أنه قد زار قبل هذا القسطنطينية ضمن سفارة أوفدت لعقد معاهدة صلح مع الامبراطور ( تيوفيل ) (١١٢)

ولعب دور الدبلوماسي أيضاً رسول الخليفة المقتدر الى بلاد البلغار وبلاد الخزر ( احمد بن فضلان ) سنة ٣٠٩ هـ / ٩٢١ م مع وفد لتفقيه البلغار امور الدين الاسلامي بعد دخولهم فيه ، فصنف رسالة في وصف رحلته عُرفت باسمه ذكر فيها ما شاهده في بلاد البلغار موضحاً فيها حياة السكان وعاداتهم وحضارتهم وتجاريتهم . وتضم هذه الرحلة أقدم المعلومات وأوثقها عن البلغار والروس وأهل الخزر (١١٣) وأعقب تلك الرحلة زيارة التجار العرب لتلك الاصقاع وبسط نطاق نشاطهم على أرجائها وبخاصة في جنوب روسيا وبولندا ، ولم تغلت الدول الاسكندنافية من ملاحظاتهم (١١٤)

كما لعب دور الدبلوماسي « أبو دلف مسعر بن مهلهل

الخرزجي » رسول الامير الساماني نصر بن احمد الى الصين في القرن الرابع الهجري ( العاشر الميلادي ) ، و« ابن سليم الاسواني » مبعوث الخليفة الممزر لدين الله الفاطمي الى ملك النوبة في السودان (١١٥)

وبالاضافة الى المعلومات الجغرافية التي وصلتتنا عن طريق الدبلوماسيين ، فإن الاسرى قد لعبوا دورهم أيضاً في توسيع مدارك العرب عن أمصار الغرب حيث أثروا الجغرافية العربية بمعلومات مفصلة ودقيقة عن المناطق التي بقوا فيها . ومن أشهر هؤلاء « مسلم الخزجي » الذي أطلق سراحه من أسر البيزنطيين ( ربما سنة ٢٣١ هـ / ٨٤٥ م ) . وتعد مصنفاته مصدراً مهماً للغاية في معرفة العرب بشؤون الدولة البيزنطية ، وقدمت فيه معلومات مفصلة عن الصقالية وجيرانهم . وبعد نصف قرن ( ٢٨٨ هـ / ٩٠٠ م ) قدم لنا اسير آخر من أسرى البيزنطيين هو « هارون بن يحيى » معلومات مهمة لا سيما وصفه الجيد للقسطنطينية (١١٦)

#### د - الرحلة في سبيل التجارة :

لقد نشطت الرحلة في سبيل التجارة بالطريق البحري مع الهند والصين حيث وصل العرب من طائفة الاباضية الى الصين ويمكن اعتبارهم ممهدين للطريق للتاجر سليمان ولابن وهب . وإلى نفس العهد المبكر الذي يسبق القرن التاسع ترجع اول معرفة للعرب بالطريق البري الذي يخترق آسيا الوسطى الى الصين اعتماداً على الوصف الذي يقدمه تميم بن بحر المطوعي ، ويعتبر ابن خرداذبة اول جغرافي عربي يحفظ لنا وصف الطريق البري الى الصين (١١٧)

وترجع قصص رحلات التاجر سليمان الى عام ٢٢٧ هـ / ٨٥١ م ، وقد سافر مراراً بقصد التجارة الى الهند والصين ، ويصف لنا الطريق بدرجة من الدقة مكنت ( فيمان ) من تتبعه على الخرائط الحديثة . كما ترك لنا سليمان وصفاً للسواحل والجزر والموانئ والمدن وسكانها والمحاصيل وبيع التجارة . وتعد رحلته مستند مهم لفهم المعارف البحرية في القرون الوسطى ، وعن طريقها دخلت اقاليم الهند والصين في معارف الجغرافية العربية . كما أنه أول مؤلف غير صيني يوصي الى الشاي .

#### الجغرافية الطبيعية

على الرغم من اهتمام الفكر الجغرافي بالجغرافية الرياضية والوصفية بمختلف فروعها ، الا ان الجغرافيين العرب لم ينسوا ظواهر الجغرافية الطبيعية فيما كتبوه وان لم يصنفوا فيها بصورة مستقلة الا قليلاً كابي زيد الانصاري صاحب كتاب المطر . وقد تناولوا بعض المظاهر الطبيعية ضمن الجغرافية الفلكية وبعضها الآخر ضمن الجغرافية الوصفية .

فمن بين ما تضمنته مؤلفاتهم من ظواهر طبيعية ما أشار إليه البيروني من تفسير لتكوين سهل هندستان فذكر ان مكانه كان قاع بحر ملأته الترسيبات الطموية ، وهو تفسير قريب من الفكرة الحديثة . وورد في كتابه « تحديد نهايات الاماكن لتصحيح مسافات المساكن » آراء في كيفية تكوين القشرة الارضية . وله آراء في المصور الجيولوجية ، وصنف عدة مؤلفات على قدم الارض وما اعترأها من ثورات بركانية وزلازل وتعرية .<sup>(٩٨)</sup>

والاصطخري هو الآخر لم يغفل الناحية الطبيعية من الجغرافية فيما كتبه فالعالم عنده قسمان . شمالي وجنوبي والحد الفاصل بينهما هو ما يقرب من خط عرض ٢٥ شمالا . والاقاليم التي تقع الى شمال هذا الخط أميل الى البرودة . وسكانها بيض البشرة وتزداد البشرة بياضاً كلما أوغلنا نحو الشمال . أما الى جنوبه فبلاد حارة ، أهلها سود البشرة ، ويزدادون سواداً كلما ابتعدوا الى الجنوب . وتقسم الاصطخري هذا فيه من الصحة الشيء الكثير .<sup>(٩٩)</sup>

كما وردت آراء طريفة في ( رسائل اخوان الصفا ) في مجال الجغرافية الطبيعية . فقد لاحظوا ارتفاع حرارة الفلاف الجوي نتيجة لانعكاس أشعة الشمس على سطح الارض . كما لاحظوا وجود التغير التدريجي في موضع كل من اليايس والماء ، وتنبؤوا أيضاً من أصل المناخ والانهيار .<sup>(١٠٠)</sup>

واحتوى كتاب ابو الفدا « تقويم البلدان » بين ما احتواء معلومات في الجغرافية الطبيعية ، وقل نفس الشيء عن « مروج الذهب » للمسعودي ، وربط المقدسي بين الظروف الطبيعية والانتاج الزراعي . كما ان للقلقشندي اهتمامات بالجغرافية الطبيعية ولكنه يقتصر على الجانب الوصفي منها دون الجانب التحليلي . وسيشار الى ما كتبه ياقوت الحموي في معجمه عن ظواهر الجغرافية الطبيعية في مكان آخر .

#### اصالة الجغرافية العربية

ذكر أبو الفدا أسماء ( ٦٠ ) عالماً جغرافياً من الذين ظهوروا قبله .<sup>(١٠١)</sup> وتضم المكتبة الجغرافية العربية انتاج ما يقرب من الثلاثين من كبار المؤلفين العرب الذين وصلت اليها آثارهم .<sup>(١٠٢)</sup> وهذا يدل على ما تزخر به الجغرافية العربية من مصنفات في مجال اختصاصها وما للعرب من فضل على علم الجغرافية وتطوره .

والجغرافيون العرب بعد أن نقلوا عن اليونان وغيرهم ، زادوا عليها ما شاهدوه اثناء خوضهم البحار وارتياهم الاخطار وتميزوا على الرومان شاهدوه اثناء خوضهم البحار ، وارتياهم الاخطار . وتميزوا على الرومان بكونهم عرفوا الصين وافريقيا واجتيازهم الصحراء الى أن وصلوا الى السودان ورغم

اعتقادهم بأن جهود الاغريق بلغت ذروتها فيما كتبه بطليموس الا انهم لم يتقبلوا كل ما جاءت في كتاباته . فقد حرصوا في بداية الامر على تفهم ما انتهى اليه غيرهم ، ثم انتهجوا نهجاً خاصاً بهم حيث اخذوا يحللون ويناقشون الآراء الواردة في تلك الكتابات نتيجة لدراساتهم وتحقيقاتهم الخاصة . فأعادوا حساب طول الدرجة وتوصلوا الى نتائج في غاية الدقة .

وقد فلد العرب بعض الآراء التي جاء بها بطليموس وصححوها كثيراً من اخطائه ، إذ ان عدداً ليس بالقليل من مواقع المدن التي عينها بطليموس كانت غير مطابقة للواقع . ويكفي أن تقابل بين الامكنة التي عينها الاغريق وتلك التي عينها العرب ليظهر مدى التقدم الذي احرزه العرب الذين توصلوا الى معارف فلكية مضبوطة ساعدتهم على تصحيح الخرائط اليونانية ورسم غيرها مضبوطة .<sup>(١٠٣)</sup>

فمن الاخطاء التي وقع فيها بطليموس وصححها الجغرافيون العرب تقديره لطول البحر المتوسط بـ ( ٦٢ ) درجة ، اختزلها الخوارزمي الى ( ٥٢ ) درجة ، وتلاه أبو اسحاق الزرقالي ( ٤٨٠ هـ / ١٠٨٧ م ) فاختره الى ( ٤٢ ) درجة ، أي ما يعادل طوله الحقيقي .<sup>(١٠٤)</sup> اي ان مقدار غلظه بلغ نحو ٤٠٠ فرسخ .<sup>(١٠٥)</sup>

واخطأ بطليموس في تقدير طول البحر الهندي الذي اعتبره بحيرة مغلقة فقدر طوله بـ ( ٨٠ ) درجة ، في حين لم يتجاوز طوله الحقيقي ٤٢ درجة .<sup>(١٠٦)</sup> ومن اخطاء بطليموس أيضاً جعله ساحل افريقيا الشرقي ممتداً نحو الشرق الى ما يقابل ساحل الصين . وقد انتبه البتاني والمسعودي الى ذلك فجعلوا ساحل افريقيا محاطاً بالبحر من جميع الاطراف ، كما جعلوا البحر الهندي بحراً مفتوحاً كما هو عليه الحال .<sup>(١٠٧)</sup> وبالإضافة الى ما تقدم فقد أخطأ بطليموس في قياس محيط الدائرة العظمى للارض وبلغ الفرق بين قياساته وما توصل اليه العلم الحديث بنحو ١٧٣٠ كم بالنقصان . في حين بلغ الفرق المذكور عند الخوارزمي ورفاقه بنحو ١٧٨ كم فقط بالزيادة على ما يظنه ( سوتر ) .<sup>(١٠٨)</sup>

وصلت الجغرافية العربية ذروتها في القرن الرابع الهجري ( العاشر الميلادي ) الذي يمثل دور النضج والابداع والابتكار في الجغرافية ، حيث ظهرت فيه سلسلة مصنفات جغرافية شقت طريقها نحو تكوين نهج عربي خاص يتصل اتصالاً وثيقاً بـ « اطلس الاسلام » . وقد بلغت جهود العرب الجغرافية ذروتها فيما كتبه المسعودي ، واكتملت معرفتهم عن العالم فيما كتبه البيروني عن الشرق . والادريسي في القرن الذي يليه عن الغرب .

وأهم ما اتصفت به الجغرافية العربية انها كانت تقوم على أساس المشاهدة العملية والتحقيق . فشلف الجغرافيون العرب



بالاسفار والجولان في مختلف انحاء العالم لجمع معلوماتهم عن شاهد عيان ، مما يزيد في قيمة صحة المعلومات .

فاليقوي يقول عن نفسه انه سافر وحدث وسأل : « ... فكنت متى لقيت رجلاً من تلك البلدان سألته عن وطنه ومصره ... مسافة ذلك البلد ... وبلغ خواجه ... » (٧١) وابن حوقل يقول : « ... واعانني عليه تواصل السفروانزعاجي عن وطني ... » (٧٢) وأما المقدسي فقد جال في البلدان وساح في البراري وتاه في الصحاري وأشرف على الفرق . وقد انتقد في كتابه « احسن التقاسيم » من سبقه من الجغرافيين الذين لم يعتمدوا فيما كتبوه على المشاهدة والمعاينة والتحقيق والتحليل . فقد انتقد ( الجيهاني ) الذي جمع « القرى » وسألهم عن الممالك « ولم يعتمد على مشاهداته . وانتقد أبا ( زيد البلخي ) الذي اختصر « ولم يذكر الاسباب المفيدة ولا أوضح البلدان ولا وطىء الاعمال ... » . وأما ( ابن الفقيه الهمداني ) فقد أدخل « في كتابه ما لا يليق به من العلوم » . وأما ( الجاحظ ، وابن خرداذبة ) فإن كتابيهما « مختصران جداً لا يحصل منهما كثير فائدة » . ويقول مؤكداً فضل كتابه على كتب الآخرين : « ... لا يعرف فضل كتابنا هذا إلا من نظر في كتبهم أو يؤرخ البلدان وكان من أهل العلم والفطنة » . ويقول مفتخراً : « أعلم اني أسست هذا الكتاب على قواعد محكمة واسندته بدعائم قوية وتحريك جهدي الصواب ... » . فقد « ذكرنا ما رأيناه وحكيما ما سمعناه ، فما صح عقولنا بالمعاينة وأخبار التواتر أرسلنا به القول وما شككنا فيه ، وكان من طريق الاحاد أسندناه الى الذي منه سمعناه ... » (٧٣)

أما هدف المقدسي من وراء ذلك فهو وكما يقول « أن أقصد علماً قد اغفلوه ، وانفردت به لم يذكره ... » (٧٤) ولم يتوصل الى هذا العلم الا بعد جولات ومشاهداته الميدانية أو على حد قوله « وما تم لي جمعه الا بعد جولاني في البلدان وبخولي اقاليم الاسلام ولقاءي العلماء وخدمتي الملوك ومجلستي القضاة ودرسي على الفقهاء واختلائي الى الارباء والقراء وكتبه الحديث ... مع لزوم التجارة في كل بلد والمعاينة مع كل أحد ، والتفطن في هذه الاسباب بفهم قوي حتى عرفتها ومساحة الاقاليم بالفراخ حتى اتقنتها ودراني على التخوم حتى حررتها ، وتنقلني الى الاجناد حتى عرفتها ... » (٧٥)

أما ابو الفدا ( ٧٢٢ هـ / ١٣٢١ م ) فقد تناول في كتابه « فتوح البلدان » من تقدمه من الجغرافيين باللقب فذكر ان ابن خرداذبة وابن حوقل والابريسي لم يحققوا الاطوال والعروض ، ومؤلفو الزيجات وغيرهم لم يحققوا في الاسماء ، أما هو فقد جمع بين التحقيق في الاسماء والاطوال والعروض (٧٦) ومما أمتازت به الجغرافية العربية أيضاً عدم ترك الظاهرة الجغرافية دون تحليل أو تحليل في كثير من الحالات .

فذكر البيهوني يفسر امتناع الهنود عن اكل لحوم البقر بأسباب اقتصادية ، ويربطه حركة المد والجزر بأوجه القمر ، أي كما يقول العلم الحديث تماماً . ويحاول الاصطخري أن يربط العملة بالمعلول كما يتضح من مقدمته حول مفهوم الاقليم . وابن خلدون هو الآخر يعزل كثيراً من الظواهر البشرية والاقتصادية بعوامل مناخية . وهكذا قل بالنسبة لبقيّة الجغرافيين .

أما الانتقاد الذي يوجه الى الجغرافية العربية فهو خلوها من بيانات تتعلق بعدد السكان وتوزيعهم . وكذلك احصاء الانتاج الزراعي والصناعي والنشاط التجاري باستثناء الاحصاءات المتعلقة بالخراج وبخل الدولة ، وارقام اخرى متناثرة هنا وهناك . والارقام التي يوردها قدامة بن جعفر عن ارتفاع السواد مأخوذة من القيود الرسمية للسنة ٢٠٤ هـ / ٨١٩ م ، وهو يذكرها بالحنطة والشمير والدرهم .

### المدارس الجغرافية العربية

يمكن تمييز أربع مدارس جغرافية عربية من حيث مدى اصلاتها وتأثيرها بمعارف الاقوام الاخرى (٧٧)

١ - مدرسة العصر العباسي : وهي المدرسة المتأثرة في أول نشأتها بالفكر الهندي ( مثل اعتمادها تقسيم العالم على اساس نظام ( الكشاور ) على شكل دوائر ، وكذلك تأثرها بنظام الفلك الهندي المسمى ( السندهند ) . وفي عصر الترجمة ازداد تأثير اليونان وأصبح هو السائد فآخذ الجغرافيون العرب بنظريات بطليموس القائلة بكروية الارض وثبوتها ودوران الكرة السماوية حولها ، وقد قبلها الجغرافيون العرب باستثناء البيهوني . كما اخذوا بتقسيم الارض الى سبعة اقاليم ، أو بالأطوال والعروض التي جاء بها بطليموس ، وغير ذلك ، وقد اتضح التأثير المذكور في مجال الجغرافية الكمية الرياضية والفلكية ) ، وسبق توضيحها فيما تقدم .

ومع أن العرب قد تأثروا بما ذكر الا انهم وجدوا اخطاء عديدة عند بطليموس فابتكروا وسائل جديدة للقياس وقاموا بتصحيح كثيراً من الاماكن والنظريات المخلوطة عند بطليموس .

### ٢ - مدرسة الخوارزمي العربية ،

وهي من ابتكار الجغرافيين العرب ولا صلة لها بغيرهم . ابتدأت في القرن الثالث الهجري ( التاسع الميلادي ) على يد محمد بن موسى الخوارزمي الذي قسم العالم على أساس الاقاليم السبعة وفق الاحداثيات الجغرافية على شكل مستطيلات متوازية مستقيماً مما حصل من تقدم فلكي عربي واجهزة قياس في عصر الترجمة ، وسار على ملوالات الخوارزمي فيما بعد عدة علماء اشهرهم الفرغاني والبيهوني وسهراب . وكان اتجاه هذه المدرسة كمياً أساسه الرياضيات والفلك .

يمثل القرن الرابع الهجري ( العاشر الميلادي ) عصر ازدهار الحضارة العربية الإسلامية ، وفيه بلغت الجغرافية العربية مرحلة النضج من حيث اعتماد بحوثها على الرؤية والمشاهدة وجمع المعلومات من الحقل من خلال الرحلات والزيارات أو عن طريق السؤال . فضلاً عن اعتمادها على المصادر السابقة بعد النقد والتمحيص والتدقيق .

وانطلاقاً من المنهج المذكور ظهرت المدرسة العربية الإسلامية ، وقد حذت مصنفاتها حذو كتب المسالك والممالك بعد ان كان اتجاه مدرسة الخوارزمي كيمياً . ويعود الفضل بهذا الاتجاه الى ابي زيد البليخي ( ٣٢٢ هـ / ٩٣٤ م ) مؤسس هذه المدرسة ، وأول من استقل عن بطليموس في كتابه « صورة الاقاليم » حيث يقول عنه المقدسي أنه قسم الارض الى عشرين جزءاً (٣٦) وهنا يبدو الانفصال عن بطليموس . وقد ركز البليخي اهتمامه بوصف العالم الاسلامي ، ثم ( اخذ عنه وأضاف اليه الجغرافي المشهور ( الاصطخري ) وعلى هذا الأخير اعتمد ابن حوقل (٣٧) وهو رحالة أصله من بغداد ولكنه عاش طويلاً في شمال افريقيا فصححه واستدرك عليه . وتعالج هذه المدرسة كل بلد ومن حدوده السياسية مع خارطة توضح هذه الحدود وتبين مواقع المدن والجبال والانهار والبحار معتمدة على الاحداثيات الجغرافية . وتقتصر هذه المدرسة في مادتها على جغرافية بلاد الاسلام ، وتهمل الاقطار الواقعة خارجها ، وبون اهتمام كبير بخطوط الطول ونوائر العرض .

وبتدرج في هذه المدرسة عدد من المصنفات الماثلة ، كما انها منفصل عن سلسلة الخرائط المرتبطة بها والمعروفة باسم ( اطلس الاسلام ) التي ليس لها علاقة بالنماذج البطليموسية . وسار على منوال هذه المدرسة بعض الجغرافيين أمثال ( ابن خرداذبة ، اليعقوبي ، ابن الفقيه الهمداني ، ابن رسته ، المسعودي ) الا انهم لم يقتصروا على وصف العالم الاسلامي ، بل شملت مصنفاتهم البلدان غير الاسلامية ، كما أولوا نفس القدر من الاهتمام بقصص العجائب .

ويضم أطلس الاسلام ، ٢١ خارطة تتابع بالصورة الآتية : يبدأ بخارطة العالم المستديرة ، يليها خارطة جزيرة العرب ، ثم بحر فارس والمغرب ومصر والشام وبحر الروم ، وأربع عشرة خارطة أخرى تمثل الأجزاء الوسطى والشرقية للعالم الاسلامي (٣٨) وقد أحصى ( ميللر ) ٢٧٥ خارطة وصلت إلينا من ذلك العصر للعالم الاسلامي . وكانت تمثل إنتاجاً عربياً خالصاً كما يقول ( ميللر ) ، اطلق عليها اسم ( أطلس الاسلام ) باستثناء خرائط الإدريسي (٣٩)

والمقدسي هو آخر الممثلين الكبار للمدرسة العربية الإسلامية أو كما يسميها البعض باسم ( المدرسة

الكلاسيكية ) ، حيث تنعكس صلته بهذه المدرسة في الخرائط أكثر مما في المتن . ويلاحظ في خرائطه تقدم المعلومات الجغرافية . كما ان تقسيم الاقاليم عنده يختلف بعض الشيء عما هو عليه في أطلس الاسلام . وهو يقصر وصفه على العالم الاسلامي . ويعتبره ( اشبرنجر ) اكبر « جغرافي عرفته البشرية قاطبة » ، أو هو وكما يقول عنه كراتشكوفسكي « جغرافياً عظيماً وواحداً من كبار الكتاب العرب قاطبة » (٤٠)

#### ٤- المدرسة الجغرافية التاريخية الاندلسية المغربية :

نُرسث الجغرافية في المغرب والاندلس على انها متممة للتاريخ ، وكان الرازي ( ٣٤٤ هـ / ٩٥٥ م ) أول من أدخل الجغرافية الاقليمية الى الاندلس بهذا المفهوم وفي وحذا حذوه الوراق ( ٣٦٣ هـ / ٩٧٣ م ) ثم الطوطوشي والعذري والبكري . وكان الإدريسي ( ٥٦٠ هـ / ١١٧٣ م ) أول جغرافي مغربي يعتبر الجغرافية علماً مستقلاً ويقدم دراسته على هذا الاساس .

وتعتبر خرائط الإدريسي الأوج الذي بلغه فن رسم الخرائط الجغرافية عند العرب ، وخرائطه تمثل مدرسة جغرافية قائمة بذاتها سماها ( ميللر ) بـ ( المدرسة العربية النورماندية ) . ويضم أطلس الإدريسي ( ٧٠ ) خارطة تمتاز بدقة الرسم وتقوم على أساس الخطوط المستقيمة والدوائر الهندسية (٤١) مراعية في ذلك خطوط الطول ودوائر العرض ومطابقتها للواقع . وكانت لخرائطه اثر كبير في تصوير العالم للأوربيت مدة طويلة بعد عصره .

ويعد كتابه « نزهة المشتاق في اختراق الافاق » نقطة تحول في النشاط الجغرافي والكارتوغرافي في العالم ، إذ انتقلت حركة الدراسات الجغرافية والكارتوغرافية من المشرق العربي الى المغرب العربي على ساحل البحر المتوسط . مما جعل بعض الباحثين ان يطلقوا اسم ( عصر الإدريسي ) على فترة الانتقال هذه ، باعتباره يمثل جغرافي المغرب (٤٢)

والغريب ان معرفة الناس بالإدريسي لم تكن واسعة في المشرق الاسلامي . ولا يخلو من مغزى في هذا الصدد أن خبيراً كبيراً بالادب الجغرافي مثل ياقوت الحموي لا يعلم عنه شيئاً على الاطلاق .

وقد توقف الابتكار العربي في الجغرافية بعد الإدريسي واستنفذ طاقته الخلاقة بشكل نهائي خلال القرن الخامس عشر . الا ان الادب الجغرافي الملاحي ظل يحتل المكانة الاولى في الادب الجغرافي العربي طيلة القرنين الخامس عشر والسادس عشر ، ويمثل آخر تيار أصيل في هذا المجال حتى فترة متأخرة . ويبرز في هذا الميدان ابن ماجد [ ٩٠٠ هـ / ١٤٩٤ م ] الذي أوجد أنق خارطة بحرية وتكاد تكون الاثر الوحيد الذي استعان بها [ فاسكو دي غاما ]

وتبعاً لما تقم يمكن تلمس ثلاثة اتجاهات في مصنفات الجغرافية العربية :

- أ- الاتجاه الاول وتتمثل فيه عناية مركزية بأقاليم العالم الاسلامي والاقطار المجاورة له ، ويتمثل هذا الاتجاه في [ مدرسة اطلس الاسلام ] والكتابات الذين ساروا على منوالها .
- ب- يتمثل الاتجاه الثاني بنوع من التخصص في قطر واحد أو منطقة معينة ، وهي تدخل ضمن موضوعات الجغرافية الاقليمية مثل تناول الهمداني لجزيرة العرب ، والبيروني فيما كتبه عن الهند ، ووصف ابن فضلان عن بلغاري الفولغا ، ويتمثل الاتجاه الثاني أيضاً في التخصص بمدينة معينة ودراساتها من حيث جغرافيتها التاريخية وخططها وخصائصها الطبوغرافية ، ويأتي اليعقوبي على رأس هذا الاتجاه .
- ج- الاتجاه الثالث وفيه تم التأكيد على المعاجم الجغرافية والموسوعات العامة ، حيث تميزت الفترة التي أعقبت القرن الخامس الهجري بظهور القواميس أو المعاجم الجغرافية مما عزز المكتبة الجغرافية العربية بمعلومات منسقة على النحو المتبع في عصرنا هذا . وأشهرها معجم ما استعجم للبكري ، ومعجم البلدان لياقوت الحموي الذي بلغ الاوج في نمط المعاجم .

#### الهوامش

- ( ١ ) عدي يوسف مخلص ، المقدسي البشاري : حياته ومنهجه ، ط ١ ، مطبعة النعمان ، النجف ، ١٩٧٣ ، ص ٩٨ .
- ( ٢ ) محمد محمود الصياد ، من الوجهة الجغرافية : دراسة في التراث العربي ، دار الاحد البحري ، بيروت ، ١٩٧١ ، ص ١١-٢١ ، ونظير احمد ، جهود المسلمين في الجغرافية ، ترجمة فتحي عثمان ، سلسلة الالف كتاب ( رقم ٢٧٢ ) ، دار القلم ، القاهرة ، ص ٢٥ .
- ( ٣ ) كراتشكوفسكي ، تاريخ الادب الجغرافي العربي ، القسم الاول ، نقله الى العربية صلاح الدين عثمان ، جامعة الدول العربية ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٦٣ ، ص ٤١-٤٢ .
- ( ٤ ) نفس المرجع ، القسم الاول ، ص ٤٠ .
- ( ٥ ) فيليب متي وآخرون ، تاريخ العرب ( مطول ) ، ج ١ ، دار الكشاف ، بيروت ، ١٩٥٢ ، ص ٥٦ .
- ( ٦ ) محمد محمود الصياد ، مرجع سابق ، ص ١٢ .
- ( ٧ ) طريفا : فيه كان مصير الجودي الذي رعى عنده فلك نوح .
- ( ٨ ) كراتشكوفسكي ، مرجع سابق ، ص ٤٩/١ .
- ( ٩ ) عن هذا الفرع من الجغرافية راجع : نقولا زيادة ، الجغرافية والرحلات عند العرب ، مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٦٢ ، ص ١١-١٢ .
- ( ٩ ) كراتشكوفسكي ، مرجع سابق ، ص ٦٠/١-٦١ .
- ( ١٠ ) يقترن باسم الحجاج اول ذكر معروف لدينا عن الخرائط عند العرب حيث رُسمت خريطة ( الديلم ) بأمر من الحجاج لغرض فرض الجزية عليها . وجاء ذكر ( الصورة ) في مناسبة اخرى حينما استتبها الحجاج حصار قائدة لبخاري فارسل اليه صورة المنطقة سنة ٨٩ هـ / ٧٠٨ م ثم بعث بتعليماته حول الخطط العسكرية الواجب اتباعها اعتماداً على تلك الصورة . كما وضعت خريطة اخرى لغرض الارواء في عهد المنصور ، أي في اوائل العصر العباسي ( ابن الفقيه الهمداني ، مختصر كتاب البلدان ، ص ٢٨٣ ، والبلاذري ، فتوح البلدان ، الطبعة الاوربية ، ص ٣٧ ) .
- ( ١٠ ) كراتشكوفسكي ، مرجع سابق ، ص ٦٠/١-٦١ .
- ( ١١ ) احمد سوسة ، الشريف الادريسي ، في الجغرافية العربية ، الباب الاول ، نقابة المهندسين العراقية ، طبع مكتب صبري ، بغداد ، ١٩٧٤ ، ص ٩٤ .
- ( ١٢ ) عباس فاضل السعدي ، « التوزيع الجغرافي لزراعة الخضراوات في العراق » ، مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية ، العدد ٥٤ ، السنة ١٤ ، ابريل ١٩٨٨ ، ص ١٢٤ .
- ( ١٣ ) احمد سوسة ، مرجع سابق ، ص ١/ج ج ، د .
- ( ١٤ ) علي محمد المياح ، « مناهج الجغرافيا الاقليمية عند العرب في التراث والمعاصرة » مجلة المجمع العلمي العراقي ، ج ١ ، مجلد ٤٠ ، ١٩٨٩ ، ص ٢٣١ ، ٢٤٢-٢٤٣ .
- ( ١٥ ) هو كتاب ألفه الفلكي والرياضي الهندي ( ابراهيم كبت ) سنة ٦٢٨ م بعنوان « سدهانت » ترجم في عهد الخليفة المنصور باسم « السندهند » .

- ( ١ ) عدي يوسف مخلص ، المقدسي البشاري : حياته ومنهجه ، ط ١ ، مطبعة النعمان ، النجف ، ١٩٧٣ ، ص ٩٨ .
- ( ٢ ) محمد محمود الصياد ، من الوجهة الجغرافية : دراسة في التراث العربي ، دار الاحد البحري ، بيروت ، ١٩٧١ ، ص ١١-٢١ ، ونظير احمد ، جهود المسلمين في الجغرافية ، ترجمة فتحي عثمان ، سلسلة الالف كتاب ( رقم ٢٧٢ ) ، دار القلم ، القاهرة ، ص ٢٥ .
- ( ٣ ) كراتشكوفسكي ، تاريخ الادب الجغرافي العربي ، القسم الاول ، نقله الى العربية صلاح الدين عثمان ، جامعة الدول العربية ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٦٣ ، ص ٤١-٤٢ .
- ( ٤ ) نفس المرجع ، القسم الاول ، ص ٤٠ .
- ( ٥ ) فيليب متي وآخرون ، تاريخ العرب ( مطول ) ، ج ١ ، دار الكشاف ، بيروت ، ١٩٥٢ ، ص ٥٦ .
- ( ٦ ) محمد محمود الصياد ، مرجع سابق ، ص ١٢ .
- ( ٧ ) طريفا : فيه كان مصير الجودي الذي رعى عنده فلك نوح .
- ( ٨ ) كراتشكوفسكي ، مرجع سابق ، ص ٤٩/١ .
- ( ٩ ) عن هذا الفرع من الجغرافية راجع : نقولا زيادة ، الجغرافية والرحلات عند العرب ، مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٦٢ ، ص ١١-١٢ .
- ( ٩ ) كراتشكوفسكي ، مرجع سابق ، ص ٦٠/١-٦١ .
- ( ١٠ ) يقترن باسم الحجاج اول ذكر معروف لدينا عن الخرائط عند العرب حيث رُسمت خريطة ( الديلم ) بأمر من الحجاج لغرض فرض الجزية عليها . وجاء ذكر ( الصورة ) في مناسبة اخرى حينما استتبها الحجاج حصار قائدة لبخاري فارسل اليه صورة المنطقة سنة ٨٩ هـ / ٧٠٨ م ثم بعث بتعليماته حول الخطط العسكرية الواجب اتباعها اعتماداً على تلك الصورة . كما وضعت خريطة اخرى لغرض الارواء في عهد المنصور ، أي في اوائل العصر العباسي ( ابن الفقيه الهمداني ، مختصر كتاب البلدان ، ص ٢٨٣ ، والبلاذري ، فتوح البلدان ، الطبعة الاوربية ، ص ٣٧ ) .
- ( ١٠ ) كراتشكوفسكي ، مرجع سابق ، ص ٦٠/١-٦١ .
- ( ١١ ) احمد سوسة ، الشريف الادريسي ، في الجغرافية العربية ، الباب الاول ، نقابة المهندسين العراقية ، طبع مكتب صبري ، بغداد ، ١٩٧٤ ، ص ٩٤ .
- ( ١٢ ) عباس فاضل السعدي ، « التوزيع الجغرافي لزراعة الخضراوات في العراق » ، مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية ، العدد ٥٤ ، السنة ١٤ ، ابريل ١٩٨٨ ، ص ١٢٤ .
- ( ١٣ ) احمد سوسة ، مرجع سابق ، ص ١/ج ج ، د .
- ( ١٤ ) علي محمد المياح ، « مناهج الجغرافيا الاقليمية عند العرب في التراث والمعاصرة » مجلة المجمع العلمي العراقي ، ج ١ ، مجلد ٤٠ ، ١٩٨٩ ، ص ٢٣١ ، ٢٤٢-٢٤٣ .
- ( ١٥ ) هو كتاب ألفه الفلكي والرياضي الهندي ( ابراهيم كبت ) سنة ٦٢٨ م بعنوان « سدهانت » ترجم في عهد الخليفة المنصور باسم « السندهند » .



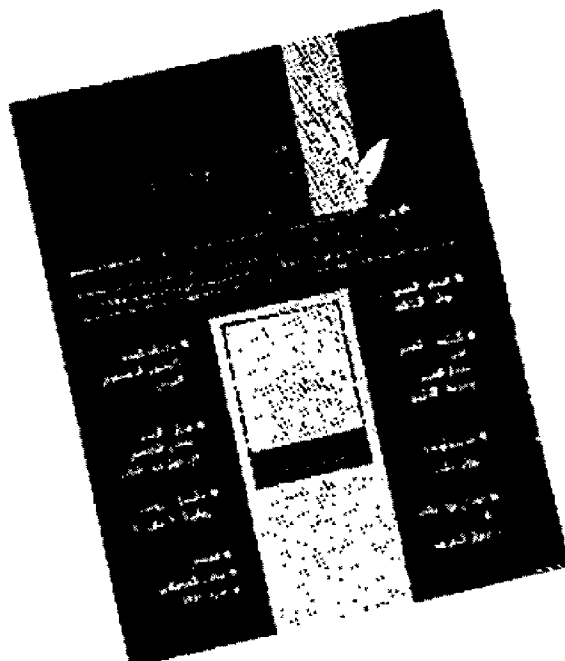
- ( ١٥ ) كراتشكوفسكي، مرجع سابق، ٧٠/١ - ٧٢ .  
 ( ١٦ ) كراتشكوفسكي، مرجع سابق، ٧٢/١ - ٧٣، واحمد سوسة، مرجع سابق، ٢٢٨/١ .  
 ١٧ يخصص كروية الأرض قال ابن رسته : « والأرض مستديرة أيضاً كالكرة مصمتة في جوف الفلك قائمة في الهواء » . أو كما قال ابن خرداذبة ( ٢٨٠ هـ / ٨٩٢ م ) أنها « مدورة كتدوير الكرة موضوعة في جوف الفلك كاللحة في جوف البيضة » . والدليل على ذلك أن « الشمس والقمر وسائر الكواكب لا يوجد طلوعها ولا غروبها على جميع من في نواحي الأرض في وقت واحد ، بل يرى طلوعها على المواضع المشرقية من الأرض قبل طلوعها على المواضع المغربية ، وغيبوبتها عن المشرقية أيضاً قبل غيبوبتها عن المغربية » ( ابن رسته ، الأعلام النفيسة ، المجلد ٧ ، مطبعة بريل ، ليدن ، ١٨٩١ ، ص ٨ - ١٢ ، وابن خرداذبة ، المسالك والممالك ، تحقيق دي غويه ، مطبعة بريل ، ليدن ، ١٨٨٩ ، ص ٤ ) .  
 ( ١٧ ) ابن رسته ، مرجع سابق ، ١٠/٧ .  
 ( ١٨ ) كراتشكوفسكي ، مرجع سابق ، ٧٥/١ - ٧٧ .  
 ( ١٩ ) نفيس احمد ، مرجع سابق ، ص ١٩ - ٢١ .  
 ١٨ يرى المرحوم الدكتور ابراهيم شوكة ان الخوارزمي قد اطلع على كتاب « جغرافيا » لمارينوس ، وليس لبطليموس ، إذ لم يطلع العرب على ترجمة كتاب بطليموس الصحيحة إلا في زمن متأخر بكثير من بعد المأمون . وعليه فان الخوارزمي يكون قد تأثر بتراث أبناء عمومته الفينيقيين وليس اليونانيين ( ابراهيم شوكة ، « تفكير العرب الجغرافي وعلاقة اليونان به » مجلة الاستاذ - تصدرها كلية التربية ببغداد - العدد ٢٩ / ١٩٦١ ، ص ٢٢ ) .  
 ١٩ الميل العربي يساوي ١٩٧٣ م ( أو اقل من الكيلومترين بقليل )  
 ( ٢٠ ) محمد محمود الصياد ، مرجع سابق ، ص ١٣٠ .  
 ( ٢١ ) قدرى حافظ طوقان ، تراث العرب العلمي في الرياضيات والفلك ، ط ٣ ، دار القلم ، القاهرة ، ١٩٦٣ ، ص ١٩ .  
 ( ٢٢ ) كراتشكوفسكي ، مرجع سابق ، ٨٢/١ - ٨٤ .  
 ( ٢٣ ) عباس فاضل السعدي « البيروني : أشهر عباقرة زمانه » ، مجلة العربي ، الكويت ، العدد ١٦٢ ، مايو ( ايار ) ١٩٧٢ ، ص ١٠٢ .  
 ( ٢٤ ) غوستاف نوبون ، حضارة العرب ، ط ٢ ، نقله الى العربية عادل زعيتر ، مطبعة دار احياء الكتب العربية ، القاهرة ، ١٩٤٨ ، ص ٥٥٢ ، وصبري محمد حسن ، الجغرافيون العرب ، ج ١ ، مطبعة القضاء ، النجف ، ١٩٥٨ ، ص ١٥ .  
 ( ٢٥ ) غوستاف نوبون ، مرجع سابق ، ص ٥٥١ - ٥٥٢ .  
 ( ٢٦ ) المسعودي ، التنبيه والاشراف ، روائع التراث العربي ( رقم ٤ ) ، مكتبة خياط ، بيروت ، ١٩٦٥ ، ص ٣٣ .  
 ( ٢٧ ) كراتشكوفسكي ، مرجع سابق ، ٨١/١ .  
 ( ٢٨ ) احمد سوسة ، مرجع سابق ، ٩٥/١ .  
 ( ٢٩ ) كراتشكوفسكي ، مرجع سابق ، ١٢٤/١ - ١٢٥ .  
 ( ٣٠ ) ابن النديم ، الفهرست ، تحقيق رضا تجدد ، طهران ، ١٩٧١ ، ص ١٣٠ .  
 ( ٣١ ) ابن خرداذبة ، مرجع سابق ، ص ٣ .  
 ( ٣٢ ) اليعقوبي ، كتاب البلدان ، ط ٣ ، منشورات المطبعة

- الحيدرية ، النجف ، ١٩٥٧ ، ص ٣ - ٢٣ .  
 ( ٣٣ ) ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، المجلد الاول ، دار صادر دار بيروت ، ١٩٥٥ ، ص ٢٣٠ .  
 ( ٣٤ ) ابراهيم شوكة « كتاب الاقاليم المؤلفة الاصطخري » ، مجلة الاستاذ ( تصدرها كلية التربية ببغداد ) ، المجلد العاشر ، ١٩٦٠ ، ص ٢٣٠ .  
 ( ٣٥ ) احمد سوسة ، مرجع سابق ، ١٠٠/١ - ١٠١ .  
 ( ٣٦ ) ابراهيم شوكة ، كتاب الاقاليم ، مرجع سابق ، ٢٢٨ - ٢٢٩ .  
 ( ٣٧ ) الاصطخري ، المسالك والممالك ، تحقيق د. محمد جابر عبد العال الحسيني ، مراجعة محمد شفيق غربال ، ج ١ ، وزارة الثقافة والارشاد ، القاهرة ، ١٩٦١ ، ص ١٥ .  
 ( ٣٨ ) محمد محمود الصياد ، مرجع سابق ، ص ٢٥ .  
 ( ٣٩ ) الاصطخري ، مرجع سابق ، ص ٩ .  
 ( ٤٠ ) نفس المرجع ، ص ٩ .  
 ( ٤١ ) المقدسي البشاري ، احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ، ط ٢ ، بعناية دي غويه ، مطبعة بريل ، ليدن ، ١٩٠٦ ، ص ٩ .  
 ١٩ الانثروبولوجيا : هو علم الانسان وبحث في أصل الجنس البشري وتطوره واعراقه وعاداته ومعتقداته .  
 ( ٤٢ ) راجع مختصر كتاب البلدان لابن الفقيه الهمداني ، عناية دي غويه ، مطبعة بريل ، ليدن ، ١٣٠٢ هـ ، ص ٤ - ٥ وقارنها مع المسالك والممالك لابن خرداذبة ، ص ٤ .  
 ( ٤٣ ) كراتشكوفسكي ، مرجع سابق ، ١٣٠/١ .  
 ( ٤٤ ) احمد سوسة ، مرجع سابق ، ١٠٢/١ .  
 ( ٤٥ ) احمد أبو سعد ، أدب الرحلات وتطوره في الادب العربي ، ط ١ ، منشورات دار الشرق الجديد ، سلسلة الفنون الادبية عند العرب ( رقم ١٠ ) ، بيروت ، ١٩٦١ ، ص ٢١ . انظر أيضاً : رحلة السرياني ، دار منشورات البصري ، مطبعة دار الحديث ، بغداد ، ١٩٦١ ، ص ٢٩ - ١٠٨ . الفنون الادبية عند العرب ( رقم ١٠ ) ، بيروت ، ١٩٦١ ، ص ٢١ .  
 ( ٤٦ ) نفس المرجع ، ص ٤٨ .  
 ( ٤٧ ) نفس المرجع ، ص ١٧٤ . راجع ابن بطوطة ، المكتبة التجارية الكبرى ، مطبعة مصطفى محمد القاهرة ، ١٩٣٨ .  
 ( ٤٨ ) كراتشكوفسكي ، مرجع سابق ، ١٣٦/١ - ١٣٧ .  
 ( ٤٩ ) احمد أبو سعد ، مرجع سابق ، ص ١٧٤ .  
 ( ٥٠ ) ابن حوقل ، كتاب صورة الأرض ، ط ٢ ، ( القسم الاول ) ، مطبعة بريل ، ليدن ، ١٩٣٨ ، ص ٢ - ٣ .  
 ( ٥١ ) احمد سوسة ، مرجع سابق ، ١٠٢/١ .  
 ( ٥٢ ) كراتشكوفسكي ، مرجع سابق ، ١٣٦/١ .  
 ( ٥٣ ) احمد بن فضلان ، رسالة بن فضلان ، تحقيق سامي الدهان ، مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق ، ١٩٥٩ .  
 ( ٥٤ ) نفيس احمد ، مرجع سابق ، ص ٢٢ - ٢٣ .  
 ( ٥٥ ) احمد سوسة ، مرجع سابق ، ٤٩/١ .  
 ( ٥٦ ) كراتشكوفسكي ، مرجع سابق ، ١٣٤/١ - ١٣٦ .  
 ( ٥٧ ) نفس المرجع ، ١٣٨/١ - ١٣٩ .  
 ( ٥٨ ) عباس فاضل السعدي ، البيروني ، مرجع سابق ، ص ١٠٢ .  
 ( ٥٩ ) محمد محمود الصياد ، مرجع سابق ، ص ٢٨ .

- ( ٧٣ ) نفس المرجع ، ص ٤ .  
 ( ٧٤ ) أبو الفدا ، كتاب تقويم البلدان ، تحقيق رينود وديسلا ، دار الطباعة السلطانية باريس ، ١٨٤٠ ، ص ١ - ٢ .  
 ( ٧٥ ) حول تصنيف هذه المدارس راجع : احمد سوسة ، مرجع سابق ، ١ / دد ، وثقولا زيادة . الحفراغية والرحلات عند العرب ، مرجع سابق ، ص ١٧ . ٣١ - ٣٢ .  
 ( ٧٦ ) المقدسي ، مرجع سابق ، ص ٤ .  
 ( ٧٧ ) قارن بين ما كتبه الاصطخري ( ص ١٤ - ١٩ ) وبين ما كتبه ابن حوقل ( ص ٢ - ٥ ) لنجد التشابه الكبير بل حتى تردد نفس العبارات بينهما .  
 ( ٧٨ ) كراتشكوفسكي ، مرجع سابق ، ١ / ٢٠٦ - ٢٠٧ .  
 ( ٧٩ ) احمد سوسة ، مرجع سابق ، ١ / ٤ .  
 ( ٨٠ ) كراتشكوفسكي ، مرجع سابق ، ١ / ٢١٥ .  
 ( ٨١ ) نفس المرجع ، ١ / ٢٨٩ - ٢٩٢ .  
 ( ٨٢ ) احمد سوسة ، مرجع سابق ، ١ / ب ب .  
 ( ٨٣ ) صبري محمد حسن ، مرجع سابق ، ص ١٠ .

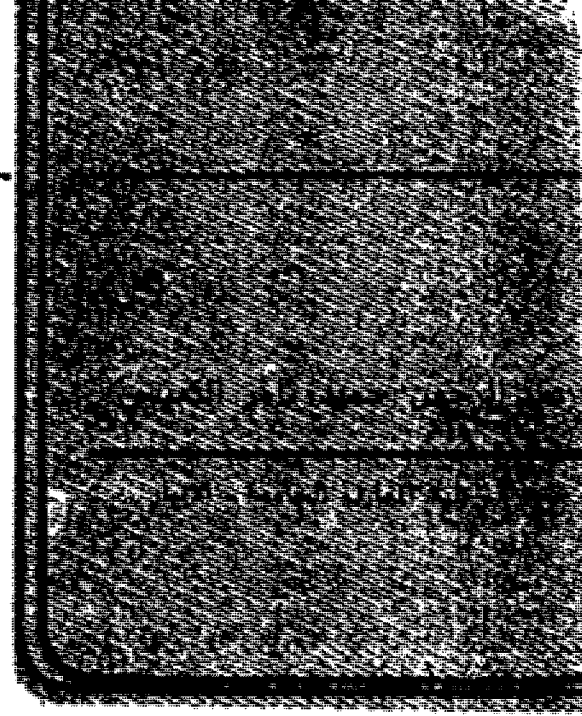
- ( ٦٠ ) كراتشكوفسكي ، مرجع سابق ، ١ / ٢٢٨ .  
 ( ٦١ ) غوستاف لوبون ، مرجع سابق ، ص ٥٦٩ .  
 ( ٦٢ ) ثقولا زيادة ، الرحالة العرب ، سلسلة الالف كتاب ( رقم ٩٧ ) ، دار الهلال ، القاهرة ، ١٩٥٦ ، ص ٣٦ .  
 ( ٦٣ ) غوستاف لوبون ، مرجع سابق ، ص ٥٦٩ .  
 ( ٦٤ ) احمد سوسة ، مرجع سابق ، ١ / ٤ .  
 ( ٦٥ ) غوستاف لوبون ، مرجع سابق ، ص ٥٦٦ .  
 ( ٦٦ ) احمد سوسة ، مرجع سابق ، ١ / ٤ .  
 ( ٦٧ ) نفس المرجع ، ١ / ٤ .  
 ( ٦٨ ) زهير الكتبي ، محمد بن موسى الخوارزمي ، سلسلة علماء العرب ( رقم ١ ) . منشورات وزارة الثقافة والسياحة والارشاد القومي ، دمشق ، ١٩٦٩ ، ص ١٤ .  
 ( ٦٩ ) اليعقوبي ، مرجع سابق ، ص ٢ .  
 ( ٧٠ ) ابن حوقل ، مرجع سابق ، ص ٢ .  
 ( ٧١ ) المقدسي ، مرجع سابق ، ص ١ - ٨ .  
 ( ٧٢ ) نفس المرجع ، ص ١ .

• • • •



صدر حديثاً عن دار الشؤون الثقافية

# الشعر وثورة العشرين



ما في تبديل الحكم الاستعماري المباشر الى حكم وطني»<sup>(١)</sup>. واستمرت روح الثورة فيما بعد في تواصل المشاعر الوطنية التي ظلت متدفقة حتى عندما توقفت المقاومة المسلحة فاستمر المناضلون في مواجهة الاحتلال البريطاني بطرق اضعف ايماننا ولعل من ابرزها سياسة الادب والثقافة ومنها الخطب الحماسية والاحتجاجات الكلامية والجمعيات والتظاهرات والصحافة وغير ذلك فضلا عن الصوت المميز وهو صوت الشعر الوطني العراقي . فكان مؤازرا وهاديا وموجعا لمقاومة الانكليز . وكان للشعراء صولات وجولات اسهمت في زيادة حماس الجماهير في الوقت الذي « كان الوعي الوطني في العراق يسير سيرا وثيدا نحو نهاية غير واضحة في نفوس الجماهير »<sup>(٢)</sup> . وسواء كان ذلك قبيل او اثناء او بعد الثورة حيث كان له الدور الواضح في تاجيح الرغبة للانتقام من الانكليز وتصعيد الشعور الشعبي والوطني المعادي لهم . الامر الذي ساهم في انتشار هذه الثورة كما تنتشر النار في الهشيم « الى كافة انحاء العراق المختلفة بعد ان بدأت من الرميثة - بين الديوانية والسماوة »<sup>(٣)</sup> فكان للشعر اثره الواضح .

واذا كان من متطلبات البحث العلمي ضرورة استقصاء الشعر في هذه المناسبة غير العادية . فليس من المفيد لنا ان ننكر صعوبة ذلك ومن اجل ان لا نبعد عن الحقيقة فنعمد الى اختيارات تشكل نموذجا لهذا الشعر وهي لا تمثل مجمل الشعر الذي قيل في هذه الثورة التي انفجرت تحديدا يوم ٣٠ / ٦ / ١٩٢٠ عندما تعرض الانكليز للشيخ شعلان ابو الجون و « قد خلقت جوا من التفاؤل والاستماتة في سبيل تحقيق هدفها في تحرير العراق وقيامه بدور فعال في العمل على تحقيق الاماني القومية »<sup>(٤)</sup> وكان فيمن ساهم عدد من الشعراء واكبوا الثورة من خلال قصائدهم<sup>(٥)</sup> التي نددوا بها بالانكليز والتحريض على مقاومتهم لاسباب مصرية ووطنية ودينية وكانت امتدادا لما كان قبل الثورة من خلال مقاومة الانتداب والدعوة الى اقامة حكومة عراقية .

ونجد في مقدمة الذين واكبوا الثورة الشاعر الكبير محمد مهدي البصير رحمه الله وكانت قصائده تلقى على مسامع

مما لا شك فيه ان ثورة العشرين تعد نقطة تحول في تاريخ العراق الحديث . واستطاعت ان تقلب الموازين فيما بعد وتسهم بشكل فاعل في ايقاظ الشعور الوطني ومن ثم تأسيس الدولة العراقية . وهو الهدف الذي كان يسعى اليه الثوار في اقامة حكومة وطنية فضلا عن اثارة الرغبة في نفوس الشعب لكي تتوق الى الحرية والاستقلال .

لذلك ستظل هذه الثورة منقوشة في ذاكرة الاجيال . وقد حظيت بكثير من الاهتمام من قبل المخلصين والمفكرين لابرار الدور الوطني للشعب العراقي الغيور وتحسين تاريخ هذه الثورة العظيمة من اية مفاهيم تحاول التقليل من اهميتها التاريخية . والثورة تقدمتها ظروف وطنية مهدت لاندلاعها وكانت الفترة السابقة للثورة تعد ضمن الفعل الثوري « لان الحركات الثورية لا تحدد من خلال فوهة البندقية وكان الرصاص واراقة الدماء هي الامور الوحيدة التي تحدد بداية الثورة فالثورة ابعد واعمق من ذلك . فهناك ثورات لا تراق فيها قطرة دم ولكن التغيير فيها كبير جداً »<sup>(٦)</sup>

واذا كانت الثورة قد انتهت الى « غير ما كان يطمح العراقيون ويبتغون فليس بمستغرب ان يخسروا معركتهم الرهيبة هذه ضد دولة كبيبة تملك قوة وباساً ولكن يكفي العراقيين فخراً انهم خاضوا غمار القتال واقتحموا استار القتال ضد هذه الدولة القوية وهم على علم بقوتها وبطشها . على ان هذه الثورة كانت ثورة كرامة وشرف وليست فقط نزالا متكافئا بحال من الاحوال »<sup>(٧)</sup> .

ولعل تتويج الملك فيصل في ٢٣ / ٨ / ١٩٢١ بتنصيبه ملكا على العراق ياتي ارضاء لمطالب الثوار . لذلك نحن مخمرون القول ان التتويج من نتائج هذه الثورة حيث « لم تجد بريطانيا بدا من تنفيذ ذلك »<sup>(٨)</sup> واذا لم يخرج الانكليز « نهائيا من البلاد او القضاء على نفوذهم قضاء مبرما الا انها نجحت الى حد



المتظاهرين فتزيدهم حماسا حيث الشعور الوطني الصالح .  
ومما تجدر الإشارة اليه ان الشاعر البصير كان صوته مجلجلا  
قبل اندلاع الثورة ففي يوم ٢٥ / ٥ / ١٩٢٠ كانت له  
مقطوعة عندما اطلق الانكليز الرصاص على المتظاهرين (١) :

غضبنا فقمنا نائرين لفاية تهون المنايا دونها والمشائق  
وربدت الاجواء قصف زلزلنا فردت عليه بالدوي البنائق  
فهل تنطلق الزوراء وهي اسمة وتسكت عما تبتغيه المناطق  
اتمنع ابناء العمومة نصرها وهاهي كانت ان تضيق المخائق  
امالهم من حكمة الراي قائد ومالهم من قوة العزم سائق

وكذلك انعكست هذه المعاني بوضوح في قصيدته ( يا علم ) التي  
ثار البصير فيها ثورة عارمة ومنها هذه الابيات :

خطبه تهز الشعب فاتفق به ليهب هبة ناهض سباق  
ويثور شباب العزيمة مملعا والنصر فوق لوائه الخفاق  
متطلعا للمجد مفتديا له ازكى النفوس والنس الاعلاق  
مستبلا والهام تحصرها الظبا حصد الخريف ذوابل الاوراق  
يغني الحياة بثورة في ظلها يلقي الحمام بفرحة المشتاق  
متكاثرا رغم المكابد وانقا بعزيز نصر الواحد الخلاق

وجدير بالذكر ان هذه القصيدة كانت من بين المستندات التي  
ابرزها القاضي البريطاني وحكم عليه بالحبس الشديد لمدة سنتين  
ويدفع غرامة قدرها ثلاثة الاف روبية ائمة خمسة وعشرون ومائتا دينار .  
الا ان المندوب السامي الذي احيل اليه هذا الحكم للمصابقة عليه  
استبدل به الحبس الشديد لمدة سنة واحدة فقط .

وحينما ثار المراقبون على الانكليز وتلاحم السيفان نظم البصير  
عدة قصائد اتسمت بطابع القوة والبأس منها قصيدته  
المشهورة ( واثبك ان الحق غالب ) التي انشدها في حفلة ثورية كبرى  
اقبمت بجوامع الحيدر خانة بعد ان استولى الثوار على الدجف وكرملاء  
وعلى مدن اخرى في اواسط الفرات وعلى دلتاوة ومعقوبة في ديارى وقد  
استهلها بقوله :

بين الاسنة والقواضب شرف المبادئ والعواقب  
وللبصير شعر كثير اودعه كله في ديوان سماه ( البركان ) ويعد  
الدكتور رؤوف الواعظ ( شاعر الثورة العراقية ) فيقول عنه : وضع في  
ابياته والفاظه جمرات متقدة ثم نفخ فيها من روحه فكانت نارا ملتهبة  
تلفح وجوه الانكليز الغادرين .

واستمر البصير في كفاحه الشعري مشاركا في الحفلات  
والمهرجانات يثير همم الثوار ويدال من المحتلين وكاشفا الاعيهم  
ومعيبا على المتخاذلين الذين لم ينالوا شرف المساهمة في هذه الثورة  
وراحوا يغارتون الانكليز وتعدى ذلك الى ان يقترح الاراء التي بالامكان  
التوصل الى حلول تخيم البلاد والمباد . وتحرير الشعب من التبعية  
فقد « كانت الحرية حببية الى قلوب الشعراء المراقبين فانهم بطبيعة  
الحال مقتوا الحكومات التي قيدت الحريات وتحرقوا شوقا الى حيث  
ابناء شعبهم على التخلص من حكم الظلم والاستبداد » (٢) . ومن  
هؤلاء الشعراء الذين كانت لهم مساهمات في الثورة (٣) :

الشاعر كاظم السويدي فيقول في قصيدة منها :

بني العرب خلوا السلم قد حانت الحرب وانتم بها اولى واجدر يا عرب  
دعوا الضيم عنكم واطلبوا بحقوقكم فقد غصبت قسرا وضعها الغصب  
الى الان جيش الظلم وسط بلادكم وما انقاس في انقاله النهب والسلب

والشاعر محمد حبيب العبيدي الموصلني نظم قصيدة في بداية الثورة  
في تموز ١٩٢٠ ومما قاله يخاطب الرسول الاعظم :

سيد الرسل ومن يعتقه كست الكون بهاء ونضارا  
قم الى النور الذي جئت به افترض ان يمد النور نارا  
يقتل الباطل عمدا حقنا رمى الباطل لا نطلب نارا  
نحن احرار لدى فعل الخنا ولدى حرية الفكر اسارى

والشاعر عطا الخطيب قصائد ادخلته السجن ونفي  
بسببها ومن ضمن مجموعة خطية كانت عند الاستاذ ابراهيم  
الوائلي في قصيدة يقول :

الا انهض ونز فيما تحاول يا شعب فما انت من يثنيه سهل ولا صعب  
الام الام الحلم والشرق كلمنا اراد امتطاء المجد عارضه الغرب ؟  
لعمرك ان الحلم يا شعب بعد ذا لذنب عظيم لا يماثل ذنب  
تنشط وثب وازحف واجاهد ولا تدع مجالا بان يرعى شويهاك الذنب  
وللشاعر الشيخ عبد الحسين الحويضي ( ت : ١٩٥٧ ) بعض

القصائد في الثورة

ايطلق شعبنا للزحف ساقا وكم خطب له الحدثان ساقا  
لقد عقد الضالان فيه خصم بخدعته يحتل العراقا  
والشاعر محمد علي البيهقي ( ت : ١٩٦٥ ) شعراوحته اليه  
حوادث الثورة ومن قصيدته ( تحية الثوار ) وكان قد ارسلها الى  
جماعة من المرابطين في جبهة السماوة والرميثة حيث يشتبك الثائرون  
مع جيش الاحتلال ومنها قوله :

احبتنا بساحات الكفاح ثقوا بالنصر فيها والنجاح  
نفرتم للوغى لما دعاكم لها الداعي بشوق وارتياح  
ففرتم بالفخار بها وابت اعاديكم بخزي وافتضاح

والشاعر خليل عزمي له صوت بارز فعندما اجتمع المجلس  
الحري في كربلاء وقرر تعيين المتصرف في المدينة استبشر السكان  
ورفعوا العلم العربي بالوانه الاربعة وقال قصيدة في هذه المناسبة  
منها :

بشراك يا كربلاء قومي انظري العلما على ربوعك خفاقا وميتما  
وكفكفي دممك الهطال وابتهجي فان بند بني قحطان قد حكما  
هذا هو العلم المحبوب فاحتظي عليه يا كربلاء واستنهضي الهما

وللشاعر عباس الخليلي قصيدة في الثورة من جملة قصائده التي  
ساهم فيها ومطلعها :

اما وغمام يشبه الظلم اسودا ورعد حتى قصف المدافع بالصدى  
ومن الشعراء الحاج عبد الحسين الازدي ( ت : ١٩٥٤ ) فقد  
التي قصيدة في حفلة التابين التي اقيمت في رثاء الشيخ الشيرازي  
الذي تولى الثورة ما زالت ناشية فكان لوفاته اثر كبير في نفوس  
الثائرين منها :

منك عز على العراق الدامي وامض يا خاتم الاسلام  
صنع القلوب حديث نيك فدخلت دار حميت نمارها من حمام  
كانت تغننه المسامع خشية من عبته بفوادح الالام  
وللشاعر خيري الهنداوي ( ت : ١٩٥٧ ) قصيدة على نفس  
الوزن في المناسبة وكان منغيا في جزيرة هنجام ضمن مجموعات كبيرة  
من الثوار ومنهم الشعراء توزعوا بين سجن ونفي وبقيت اصواتهم  
امثال الشاعر الشيخ محمد جواد الجزائري والشاعر محمد حسن ابو  
المحسن والشاعر السيد هبة الدين الشهرستاني وغيرهم .

واذا اردنا ان ننصف القول ونوفي الحق فاننا نستطيع ان نذكر  
بان الشعر العراقي الوطني كان تاريخا للاحداث السياسية وكثيرا  
ما يقف الشاعر موقف المعارضة والهجوم من السلطة ويشير الى  
مساوىء الانظمة الحاكمة وكان من الشعراء الكبار الذين تميزوا في  
الشعر السياسي في العراق امثال الرصافي والشبيبي والزهاوي  
والكاظمي وعلي الشرقي لذلك ياتي التساؤل اين هؤلاء الشعراء الكبار  
من ثورة العشرين ؟

ربما لا تتفق الثورة مع منظورهم السياسي او لسفرهم خارج  
القطر او لمصلحة شخصية<sup>(١١)</sup> وتعلق البعض بالانكليز « شأنهم في  
ذلك شأن الملوك والامراء مع شعراء المدح والتكسب وفريق اخر لم  
يتاجر بالنظم ولم يكتسب بالشعر وانما خدعته الوعود ... ومن امن  
بالثورة وعمل في سبيلها ولكن جانبها السياسي شغله عن التخیل  
والتعبير في صورة من صور الشعر »<sup>(١٢)</sup> ولا نريد هنا ان نضع كل شاعر  
في دائرة تقصير معينة فاذا كنا لا نجد لهم شعرا في هذه المناسبة فليس  
من اليسر ان نحكم على وطنيتهم من خلال هذا الموقف فقط فان لهم  
مساهمات اخرى في مواقف لمناسبات وطنية ساهموا بها .<sup>(١٣)</sup>

وانتهت ثورة العشرين من المواجهات الحربية وتوقف الثوار عن  
اطلاق النار يوم ٢٠ / ١١ / ١٩٢٠ فيما استمر الشعر في تخليد  
هذه الذكرى سواء بذكر الخيبة والفشل او رثاء الشهداء او تمجيد  
البطولات او تذكر الذين سجنوا او نفوا عن الوطن وتعقب الاستاذ  
ابراهيم الوائلي الشعراء الذين كانت لهم الاستمرارية في ذكر  
الثورة<sup>(١٤)</sup> وفي مقدمتهم الشاعر المناضل محمد مهدي البصير وقد نظم  
شعرا استوحاه من نهاية الثورة ومنه قوله :

كانحت اعدائي ولست بواثق ان النجاح مقر لكفاحي  
لكنما وطني دعا فاجبته وابيت للباغين خفض جناحي  
ولئن رجعت بغير ما املته ونزعت من يد قاهري سلاحي  
فلقد اقدت من المصائب خيرة ستكون عند المود سر نجاحي

ويعبر الشاعر سعد صالح عن الخراب الذي اصاب القرى وقد  
انتهت الثورة وترك البلاد فارا فيقول :  
سلمت العيش في وطن يضام بئلا ويضطهد  
محتة يد الفضاء فرا ح لا روح ولا جسد

وغيرهم من الشعراء الذين ذكروا الثورة وتاملوا وتاملوا من النهاية او  
وصفهم للمعارك او المطالبة ببعض الحقوق والتعريض بالانكليز  
وسياستهم والاخذ بالثار والحث على مواصلة الكفاح ومن هؤلاء  
الشعراء محمد الباقر ومحمد مهدي الجواهري وكان شابا والشاعر  
عبد الرحمن البناء والشاعر حسن الحاج علي وغيرهم .

واذا تأملنا هذا الشعر الذي قيل في ثورة العشرين لنلمس بصق  
الشعور الديني والمواطف الجياشة والاحساس الوطني ونعمه شاهد  
حق ودليل صدق على مساهمتهم ووقفهم البطولية الرائعة وتعاطفهم  
مع الشعب وقادة الثورة واذا كنا نلمس التكلف احيانا وتضمنه  
النصائح المجردة واقتفاء الشعر التقليدي في احيان اخرى وضعف في

الصياغة فانه ليس من المستساغ في هذه العجاجة ان نضعهم في دائرة النقد الادبي ونقيس اشعارهم على نحو ما نريده هذه الايام من مصطلحات لم يكونوا معنيين بها في تلك الظروف الحرجة وكانت بشكل مفاجيء وكانت الثورة في فترة زمنية قصيرة وزيادة على ذلك وجد الشعراء انفسهم مع الثورة وجها لوجه لا مجال للمفاوض او الصور الخيالية لان الواقع غير مألوف لهم امام عدو غاشم وقوي .  
ولكن ننظر من زاوية المواقف الوطنية حيث كانوا لا يخشون شيئا في اعلاء كلمة الحق والنضال في سبيل الحرية والكرامة

#### الهوامش :

- ( ١ ) الفكر السياسي لثورة العشرين نديم عيسى وزارة الثقافة والاعلام بغداد ١٩٩٢ ص : ٦ .
- ( ٢ ) الاتجاهات الوطنية في الشعر العراقي الحديث - الدكتور رؤوف السواعظ / وزارة الاعلام العراق / دار الحرية ١٩٧٤ ص : ٢٨٥ .
- ( ٣ ) النظام السياسي في العراق / د. محمد عزيز / بغداد / ١٩٥٤ : ٦٥ .
- ( ٤ ) معروف الرصافي - حياته وادبه السياسي - الدكتور رؤوف السواعظ دار الكتاب العربي : ٥ .
- ( ٥ ) الثورة العراقية الكبرى سنة ١٩٢٠ الدكتور عبد الله الفياض مطبعة دار السلام بغداد : ١٠٧ .
- ( ٦ ) العراق - شهادة سياسية ١٩٠٨ - ١٩٣٠ حسين جميل دار اللام لندن : ٥٢ .
- ( ٧ ) الاسرار الخفية في حركة السنة ١٩٤١ التحريرية

#### والاستقلال .

انن ليس من حق هؤلاء الشعراء ممن ذكرنا او لم نذكر ان نترحم عليهم ؟ ونقف باحترام نحني فيهم صولاتهم وجولاتهم ؟ ونذكرهم مواقفهم الوطنية ونسجل بالتقدير والاعتزاز تلك القصائد التي نظموها وساهموا في القائلها ؟ بل لعمري انهم يستحقون تلك ولعل هذه المبادرة في تخصيص عدد خاص عن ثورة العشرين وزاوية ضمن هذا العدد عن الشعر في ثورة العشرين يأتي من مستلزمات الوفاء .

- حـ ١ / السيد عبد الرزاق الحسني - وزارة الثقافة والاعلام دار الشؤون الثقافية العامة بغداد ١٩٩٠ : ١٩ .
- ( ٨ ) تناول هذا الموضوع تفصيلا الاستاذ ابراهيم الوائلي في كتابه الشامل بعنوان ثورة العشرين في الشعر العراقي مطبعة الايمان بغداد ١٩٦٨ الصفحات : ٦٥ وما بعدها .
- ( ٩ ) الاتجاهات الوطنية في الشعر العراقي الحديث : ٩٤ .
- ( ١٠ ) النقد الاجتماعي الساخر في الشعر العراقي الحديث رسالة دكتوراه الدكتور ابتسام عبد القادر : ٢٢٩ .
- ( ١١ ) ثورة العشرين في الشعر العراقي ٧٥ - ١٢٠ .
- ( ١٢ ) تطور الشعر العربي الحديث في العراق الدكتور علي عباس علوان - دار الشؤون الثقافية العامة وزارة الثقافة والاعلام العراق بغداد ١٢٣ - ١٢٩ .
- ( ١٣ ) ثورة العشرين في الشعر العراقي : ٢٢ .
- ( ١٤ ) معروف الرصافي حياته وادبه السياسي : ٥٠ .
- ( ١٥ ) ثورة العشرين في الشعر العراقي : ١٢١ - ١٤٩ .





# المكاتبات الرسمية الاندلسية في عهد الموحدين

بسم الله الرحمن الرحيم

محاولين افراغ كل ما لديهم من قدرات فنية وأدبية وما تحتويه  
جمبتهم من معارف ومعلومات وخبرات ثقافية فيما يكتبونه  
ويصوغونه لان كتاباتهم تصدر من اعلى شخصية في الدولة او  
ترد اليه . فالكثاية في مثل هذا الميدان هي مباراة واطهار  
قدرات وامكانات ، وهي سباق بين فحول ، فالذي يكبو قد  
لا تتاح له فرصة للوقوف واللاحاق بالركب فيخسر كل شيء ،  
حتى حياته في بعض الاحيان .

وكانت للرسائل والكتب الرسمية اصول محددة من حيث  
الابتداء والاختتام وذكر اسم المکتوب عنه او المکتوب اليه ،  
ومن حيث البسطة والدعاء ، ومن حيث البسط والايجاز وفي  
ترتيب السجعات وعددها وطول العبارة ، وقصرها . ومن حيث  
الاستشهاد بالآيات القرآنية والاحاديث النبوية والاقوال  
الماثورة والاشعار السائرة ، وما يقتضيه كل مقام او موضوع من  
مستلزمات وأساسيات الكتابة الرسمية والديوانية منها بشكل  
خاص ، لا يستطيع الكاتب ان يتجاوزها او يغفلها عندما  
يكتب ، ولقد خصص الفلقلشدي كتابه « صبح الانشا في  
صناعة الانشا » لمعالجة النثر العربي ، وتعرض بالتفصيل  
لقواعده وأصوله وكل جزئياته المتعلقة به ، وكان للنثر الديواني  
القسط الاوفى من المؤلف ، والحق ان كاتب الرسائل في كل  
عصر كان يتمتع في الدولة الاسلامية بمكانة رفيعة يغبطه  
عليها أقرانه ونظراؤه فموقعه « في ارفع محل وأشرف قدر ،  
يكاد ان لا يكون عند الملك أخص منه ولا الزم لمجالسته ، ....  
يلقون اليهم أسرارهم ، ويخصونه بخفايا أمورهم ، ويطلعونهم  
على ما لم يطلع عليه أخص الاخصاء من الوزراء والاهل  
والولد » (١) .. ولكونه يحظى بهذه المنزلة ويتمتع بهذه المكانة  
من دست الحكم فانه يمثل اليد اليمنى للسلطان ومستودع

د . محمد محمد السعيد

مدرس نظام التعليم الاساسية

مدخل :

النثر والشعر صنوان متسابقان في حياة الامة العربية  
منذ أيام ما قبل الاسلام ، ثم غدت للكلمة أهمية عظيمة ومنزلة  
كبيرة لدى العرب اجمع وذلك بنزول القرآن الكريم الذي كان  
يمثل تحدياً لهم في ميدان لاجب فرسانه وأبطاله ، يتبارى  
الرجال فيما بينهم بالكلمة المحكمة أو بالعبارة المتقنة أو  
بالبيت الشعري المبدع الذي يثير أعجاباً او يوجد دهشة او  
يخلق انبهاراً . فتتناقل الالسن تلك الحكايات والمقولات ذات  
الافكار والمعاني الطريفة النادرة . واذا كان الشعر - كما  
قيل - ميدان العرب ، فالنثر سجلهم الذي دونت فيه كل  
مآثرهم وأخبارهم ، وكثير من تفاصيل حياتهم ، وبخاصة  
حياتهم السياسية والعسكرية وما يتعلق بالفتوحات ونشر  
الدعوة الاسلامية في اصقاع المعمورة شرقاً وغرباً ، بل ان  
تاريخ الملوك والسلاطين والامراء وما يدور حولهم يمثل  
صفحات واسعة وعريضة من تراث الامة العربية ، واذا كان النثر  
التاريخي لا يدخل ضمن موضوعنا فان المكاتبات الرسمية  
التي صدرت من مركز الحكم الى الامراء والولاة والحكام  
والقضاة وغيرهم من اتباع السلطة الذين يمتلكونها وينفذون  
اوامرها وتوجيهاتها ، وكذلك المكاتبات التي صدرت من هؤلاء  
واولئك لتمثل بالتأكيد جانباً اساسياً في معرفة حركة الدولة  
ومسيرتها وتوجيهاتها ، ولكنها في الوقت نفسه تدخل ضمن  
النثر الفني الابداعي لما تتمتع به من خصائص ومميزات فنية  
وأسلوبية وبلاغية ، وما تحرص عليه من طرائق وقواعد وأسس  
هي بمثابة مراسيم تقليدية متبعة لدى الكتاب ، لا يحيدون  
عنها الا ليسلكوا طرقاً او قواعد اخرى احسن منها وأفضل ،  
ناهيك عما يولون كتاباتهم من عناية وبتة ، وجهد وتنقيف ،

اسراره وشريك ذهنه وفكره ، « وانه اول داخل على الملك وآخر خارج عنه ، ولا غنى له عن مفاوضته في آرائه ، والافضاء اليه بمهمات ، وتقريبه من نفسه في آناء ليله وساعات نهاره وأوقات ظهوره للعامة وخلواته ، وإطلاعه على حوادث دولته ومهمات مملكته ، فهو لذلك لا يثق باحد من خاصته ثقته به ، ولا يركن الى قريب ولا نسيب ركوله اليه ، ومحلّه منه في عائدة خدمته وأثرة دولته محل قلبه الذي يؤامره في مشكل رأيه حتى يتنقح ويراجعه في مهم تدبيره حتى يتضح ، ولسانه الذي يقدر بترغيبه أوليائه على الطاعة والموافقة ، ويستنفر بترهيبه عن المعصية والمشاقة ، ويقرّ بأوامره ونواهيّه أمور سلطانه ، وينزلها منازلها في متمدّد مجالسها ، ويتمكن من سياسة أجناده ، وعمارة بلاده ، ومصلحة رعيته وأجتناب مودتهم ، واستخلاص نياتهم »<sup>(٢٦)</sup>.

ومن هنا تتضح لنا خطورة موقع كاتب الرسائل والصلاحيات المصطاة اليه ، حتى لكانه شريك الملك ، وصنوه ، فباشارة منه او كلمة يرفع أناساً ويحط آخرين ، اما قلّمه فانه « لسان الدولة ، وفارس الجولة ، ولقمان الحكمة ، وترجمان الهمة ، وهو البشير والذير ، والشفيع والسفير ، به تستخلص المصايسي<sup>(٢٧)</sup> ، وتملك النواصي ، ويقتاد العاصي . ويستدلي القاصي ، وصاحبه بريء من التبعات ، أمن كيد السعات<sup>(٢٨)</sup> » . وتأسيساً على ما سبق فقد كانت وظيفة كاتب ديوان الرسائل من ارفع الوظائف وأشرفها وأخطرها ، وكان لابد من ان يتصف من يختار لهذا الموقع ، بعدة صفات خلقية وخلقية ، اضافة الى تمكنه من الكتابة وتفوقه في النثر خاصة ، ولقد تعرض القلقشندي لصفات من يشرح لهذه الوظيفة<sup>(٢٩)</sup> وأهمها « ان يكون صبيح الوجه ، فصيح الالفاظ ، طلق اللسان ، أصيلاً في قومه رفيعاً في حبه ، وقرأ حليماً مؤثراً للجد على الهزل ، كثير الاناة والرفق ، قليل العجلة والخرق<sup>(٣٠)</sup> ، نزر الضحك ، مهيب المجلس ، ساكن الظل ، وقور النادي ، شديد الذكاء ، متوقد الفهم ، حسن الكلام اذا حدث ، حسن الاصغاء اذا حدث ، سريع الرضا ، بطيء الغضب ، رؤوف بأهل الدين ، ساعياً في مصالحهم ، محباً لأهل العلم والادب ، راغباً في نفهمهم ... وان يكون من كتمان السر بالمنزلة التي لا يدانيه فيها أحد ، ولا يقاربه فيها بشر ، حتى يقدر في نفسه امانة كل حديث يعلمه ويتناس كل خبر يسمعه »<sup>(٣١)</sup> ، وعلى كل حال فان ما ذكر عن اهمية الكاتب ونوره في تسيير دفة الدولة والتأثير في حركتها وتوجيهاتها ، وعن خطورة قلّمه وما يكتبه عن سيده

وما اشترط للمؤهلين لهذه المواقع من سمات وخصائص وصفات جسمانية وعقلية وثقافية ، كل ذلك يشير بصراحة الى اهمية الناثر الرسمي ، والن خطورة الكتابة الرسمية والديوانية منها بشكل خاص في حياة الامم والشعوب ، وما قد تاتي به من خير على الدولة او ما قد توقعه من خراب بها . ومن هنا فاننا فتوقع ان يتصف مثل هذا النثر في تراثنا بالدقة في اختيار العبارات والجمل ، وحسن انتقائها ، وبالموضوعية والوضوح وتجلب كل ما من شأنه الابتعاد عن ذلك او الخروج عنه .

واذا عدنا الى موضوع بحثنا فانه يتحدد في السنوات التي حكم الموحدون فيها الاندلس حتى خروجهم منها وقيام دولة بني الاحمر في غرناطة بحدود ما بين سنة ٥٤٢ هـ وسنة ٦٤٦ هـ . كما انه يقتصر على معالجة الموروث الكتابي الذي صدر من امراء المؤمنين الموحدون او من احد أبنائهم الملوك والامراء الى ولاية الاندلس وحكامها وشعبها او بالعكس .

ولم نتعرض لمراسلات نثرية وقعت بين دويلات اندلسية اخرى لم تكن تابعة للعرش الموحيدي وبين تابعين ، لان ذلك سيوسع رقعة البحث ، على رغم ما في الامر من تداخل ، لان النثر في هذه الفترة الزمنية لا يخرج بطبيعته وأساليبه ورسومه عن الاطار العام الذي يحكم نثر العصر . ولان الكتاب هم انفسهم الذين كتبوا لهؤلاء وأولئك ، من امثال ابن البار وابي المطرف بن عميرة وغيرهما .

تميز عصر الموحدون بانه كان عصراً مشحوناً بالأحداث والصراعات والثورات السياسية والأعمال العسكرية ، والانتصارات والانهزامات ومملوءة بالنشاطات الثقافية والأدبية والفكرية ، والدينية ، فهو عصر ثرّ وغني بموروثه في مختلف المجالات والميادين ، واننا نعتقد بان للنثر الرسمي قسطاً وافياً من هذا الموروث ، فلقد كانت الرسالة أسلوباً ناجحاً للتواصل ، بل هي من أهم أساليب توصيل أوامر القيادة الى الآخرين وتوجيهاتها وتصوراتها في تسيير دفة الحكم ، وكيفية التعامل مع فئات الشعب ، وكيفية ربح أعداء الأمة من الطامعين والتأثرين والمتمردين ، ولكن وبمنظرة سريعة الى ما هو متوفر من رسائل ومكاتبات رسمية أبان عصر الموحدون ندرك بان هذا الموروث لا يشكل الا جزءاً يسيراً من التراث الأدبي لهذه الفترة ، ولا يغطي الا زمناً قصيراً من أزمنتهم

الطويلة التي استغرقت بحدود القرن ، وليس من تفسير لذلك سوى ضياع تلك المراسلات وفقدانها من خزائن المسؤولين والحكام ، مع الوباء الموثقات التي فقدت واندثرت من تراثنا الأندلسي أثناء تعرض البلاد للتخريب والتشريد والاضطهاد ، وما عاشته من أيام سود على أيدي الأسبان المتطرفين الذين بذلوا كل جهدهم وامكاناتهم للقضاء على كل ما يمت إلى الإسلام والعروبة بصلة ، ومع ذلك فإن المتوفر من مكاتبات الموحدين الرسمية يسعفنا في رسم ملامح النثر الأندلسي الرسمي للفترة المذكورة والتعرف على خصائصه وأساليبه وأصول بناء الرسالة ، وما أصابها من تطور أو تهقر خلال ذلك القرن من حكم الموحدين .

ولقد عرفت هذه الفترة كتاباً كباراً وأسماء لامعة من الأندلسيين في ميدان الكتابة الرسمية من أبرزهم : أبو جعفر بن عطية وأخوه أبو عقيل ، وأبو عبد الله بن عياش ، وأبو الحسن بن عياش ، وأبو الحكم بن المرخي ، وابن سعيد المغربي : الأب والأبن ، وأبو الحسن الرعيني ، وخلف الفافقي القبتوري ، وأبو المطرف بن عميرة ، وابن الجنان ، وابن الأبار . ويمكن التعرف على تراثهم في المصادر التي نقلت مكاتباتهم ، ومعظم المصادر أوردت تلك النصوص في معرض الحديث عن أحداث سياسية أو أخبار رسمية ، ولكن بعضها الآخر أورد مؤلفاً مستقلاً لتلك النصوص . فمن المصادر التي احتوت شيئاً من رسائل الموحدين الأندلسية لفترتنا ، نظم الجمان ، المن بالامامة ، البيان المغرب ، المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، القدح المعلن ، الذيل والتكملة ، الأنيس المطرب ، الاحاطة في أخبار غرناطة ، نفح الطيب ، أزهار الرياض ، صبح الأعشى ، وغيرها .

أما الكتب التي اندرجت لرسائل موحدية أندلسية فمنها كتاب « مجموع رسائل موحدية من انشاء كتاب الدولة المؤمنية » ، وكتاب رسائل ديوانية من سبته في العهد المرزي من انشاء خلف الفافقي القبتوري ، ومجموع أبي المطرف ابن عميرة .

ومن دراسة النصوص المتوفرة للرسائل الموحدية الأندلسية في عصر الموحدين نستطيع ان نصنفها الى صنفين :

الاول : الرسائل التي وجهها الديوان الرئاسي للدولة الذي كان يملكه امير المؤمنين الموحدي ومقره مراكش الى السادة الموحدين من ملوك البلدان ورؤسائها وأمرائها وحكامها

او توجه الى الناس والطلبة .

الثاني : الرسائل والكتب التي كانت ترفع من القيادات الدنيا او من الشيوخ والطلبة الى امير المؤمنين ، او ترفع من الاتباع الى القيادات الصغرى من ملوك او امراء او قواد او قضاة .

ولاجل تيسير البحث سوف نتناول كل صنف من صنف تلك الرسائل والمكاتبات على افراد ، لنقف عند موضوعاتهما وجوانبهما الشكلية ، من حيث البدايات والنهايات وما بينهما من كلام هو في الواقع صلب الموضوع وجوهره ، ثم نعالج الجوانب الفنية فيهما من حيث اللغة والأسلوب والاقتباس والاطناب والايجاز الى غير ذلك .

### الصنف الاول :

من المؤكد ان « الرقاص » او ساعي البريد كان يتنقل بلا انقطاع بين بلاط امير المؤمنين وبين قصور الملوك والامراء والحكام التابعين للدولة الموحدية المنتشرين في أصقاع البلاد ، لنقل التوجيهات والامام والبشائر ، وغيرها . ومن المؤكد ايضاً ان ما كتب على امتداد عصر الموحدين الذي قارب المائة عام كان كثيراً وكثيراً جداً ، ولا يشكل النثر الذي بين ايدينا ، المنشور منه او المخطوط ، الا سفراً صغيراً من بين تلك الاسفار الكبيرة الكثيرة . وعلى كل حال ، فان الموجود منه يقضي عن المفقود في دراسة النثر الرسمي بعامة والديواني منه بخاصة والتعرف على اساليبه وصيغه وفنيته ، ولكن الجزء المفقود منه افقدنا الشيء الكثير من المعرفة التي نحن بحاجة اليها في الجانب التاريخي والسياسي .

ويمراجعة النصوص الصادرة عن الديوان الموحدي نقف على طبيعة الموضوعات التي كانت تعالجها تلك المكاتبات وتتمحور حولها ، وهي تكاد تدور في موضوعات محددة تقتضيها ادارة الحكم واراادة الحاكم ، مثل الحث على الجهاد ، او الحث على التمسك بالدين والدعوة الى التوحيد والهدى ، او بالرفق بالمباد والعدل بين الناس ، او بشارة بفتح مدينة او استرجاع حصن ، او بناء مدينة او طلب بيعة او عقد هدنة ، او غير ذلك من امور تقتضيها الظروف وتدعو اليها مهمات الحكم وتبعاته ومستلزماته .

واذا كانت طبيعة الموضوع الذي كتب النص من اجله تقتضي صيغة ملائمة وأصولاً متبعة في تكوين الاطار العام الشكلي للرسائل وفي بناء مضمونها وحشوها فانه جعل لكل



رسالة تقريباً اطارها الخاص بها وأفردها عن غيرها ، ولكننا ومن أجل ان نلم اطراف البحث نحاول ان نشخص انواع الصيغ والقوالب التي جرت عليها مكاتباتهم الرسمية او صبت فيها ثم بعض ذلك نتمرض لبنائها الداخلي .

من خلال وقفة متأنية عند الموروث النثري الصادر عن ديوان أمير المؤمنين الموحيدي الى تابعيه في الاندلس ، اتضح لدينا عدد من الصيغ التي سلكتها الرسالة الديوانية الاندلسية آنذاك .. والتي كانت تكوّن اطاراً عاماً يتبع من قبل الكتّابين ويتمسك باصوله وقواعده . وهذه الصيغ هي :

١ . أن تبتديء الرسالة بذكر المكتوب عنه او يلقيه والدعاء له بما يليق ، وبعد ذلك يذكر اسم المكتوب اليه او صفته مع الإشارة الى مكان اقامته ثم يدعى له بما يناسب ، ويؤتى بعد ذلك بتحية الاسلام ، ثم بالبعدية التي تعقبها الصلاة على النبي محمد ، وعلى آله وصحبه ، والترضية عن الامام المهدي المعصوم ، وبعد جمل من الصفات والنعوت للامام المهدي يلج الكاتب صلب الموضوع ، مبتدئاً بفعل الكتابة كان يقول : « كتبناه ، او « كتابنا اليكم » وغير ذلك ، ثم يردفها بجملته دعائية اعتراضية تناسب معنى الكتابة ، قد تقصر وقد تطول ، ويذكر بعدها اسم المكان الذي كتبت به الرسالة مقترناً بالدعاء له بما يناسب ... ثم يؤتى بالموضوع الى آخر الرسالة التي تختم بالسلام .

فمن امثلة تلك رسالة من انشاء الكاتب ابي جعفر بن عطية : « من أمير المؤمنين — ايده الله بنصره ، وامده الله بمعونته — الى الطلبة والموحيدين الذين بغرناطة — اعزهم الله وادام كرامتهم بتقواه — سلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

اما بعد حمد الله الذي على عونه مستند الاعتصام ..... والصلاة على محمد عبده ورسوله موضح سبل السلام والاسلام .....

وعلى آله وصحبه البررة الكرام ، والرضا عن الامام المعصوم ، المهدي المعلوم ، المخصوص بالعلامات الصادقة والاعلام ، المبشر من ظهور امره العلي ، وتعيينه المراد المعنى ، بما فاضت تباشيره وسالت اساريه ، على صفحات الليالي والايام .

فانا كتبناه اليكم — كتب الله لكم تعرفوا الالاء المستجدة ، وبركة المواهب التي هي من بحر عطائه مستمنة — من منزل الموحيدين — أظهرهم الله — بظواهر

المهدية — ( فتحتها الله ) — ووعد الله لاوليائه قد فض الانجاز ختامه ... الخ ... »<sup>(٨)</sup> .

وجاء في آخرها « والله يعرف اليمن في ذلك والخيرة ، ويجمله عنوان الاقبال وفتحة النصر بمنه ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته » .

ولقد ذكر القلقشندي هذا اللون من رسوم المكاتبات السلطانية — فأوجز رسمه بقوله ( « ان تفتتح المكاتبه بلفظ » من فلان الى فلان » ويدعى للمكتوب اليه ثم يقع التخلص الى المقصود بما بعد ، ويؤتى عليه الى آخره ، ويختم بالسلام »<sup>(٩)</sup> . واعتبر ذلك الاسلوب الاول من بين الاساليب الاربعة التي اشار اليها . وان كان في الاصل قد تحدث عن ثلاثة اساليب فقط<sup>(١٠)</sup> .

٢ . وقد تحدو كتاباتهم حذو النموذج السابق من حيث البناء الهيكلي ، ولكنها تزيد عنها بأن تبتديء بالبسملة والصلاة على النبي وبالعلامة المباركة التي دخلت الى الرسائل الديوانية لأول مرة في عهدهم<sup>(١١)</sup> ، ونقصد بالعلامة المباركة عبارة « والحمد لله وحده » ثم يؤتى بآخر الرسالة بتاريخ كتابتها . اما عدا ذلك فانها تجري مجرى النموذج السابق . ومن مكاتباتهم التي تمثل هذا اللون رسالة أمير المؤمنين يوسف الى الشيخ الاجل أخيه السيد ابي سعيد واصحابه الطلبة الذين يقرطبة ، حيث بدأها بما نصه « بسم الله الرحمن الرحيم ، صلى الله على محمد وآله وسلم ، والحمد لله وحده ، من أمير المؤمنين ... الخ »<sup>(١٢)</sup> وتأتي بقية الرسوم تبعاً دون اي تغيير حتى يصل الى الختام وفيه يثبت تاريخ كتابة الرسالة الذي هو في هذه الرسالة الثالث من شهر رمضان المعظم سنة احدى وستين وخمس مائة .

٣ . ومن المكاتبات ما اخذ رسماً آخر يبتديء بمخاطبة المكتوب اليهم مباشرة ويشير الى مدينتهم ثم يؤتى بالدعاء لهم بما يناسب ثم بالبعدية وينتقل بعدها مباشرة الى جوهر الموضوع ويدون اية تجميدات او غيرها من ديباجات ورسوم متبعة في مكاتبات أخرى عرفها العصر . ومن تلك المراسلات ، ما كتبه بخطه أمير المؤمنين ادريس بن يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن الملقب بالمامون الى اهل اندوجر<sup>(١٣)</sup> ، جاء فيها « الى الجماعة والكافة من اهل فلاة ، وقاهم الله عثرات الالسنه وأرشدتهم الى محو السيئة بالحسنة ، اما بعد فانه قد وصل من قبلكم كتابكم الذي جرد لكم اسهم الانتقاد ، وراكم من السهاد ، بالداوية السار ، اتمنذرون من المجال بضعف

الحال ، وقلة الرجال ، اذا نلحقكم بريات الحجال ... الخ «<sup>(١١)</sup>»  
وهكذا يستمر حتى آخر الرسالة

٤ . وفي صيغة اخرى لبناء الرسالة الرسمية تختلف تماماً في مقدمتها عما عرفناه من رسوم وأساليب فهي ان تستهل الرسالة بالبعدية مباشرة دون بسملة او مقدمة او غير ذلك من استهلاكات مستخدمة في مكاتباتهم التي مرت بنا سابقاً ، وقد اشار القلقشندي الى هذا النوع من الرسائل واعتبره على ضربين ، حدهما : بقوله « الضرب الاول تُعقب البعدية بالحمد لله ، ويؤتى على الخطبة الى آخرها ، ثم يتخلص الى المقصود ويختتم بالسلام »<sup>(١٢)</sup> ، اما الضرب الثاني فهو « ان تُعقب البعدية بذكر المقصود من غير خطبة ثم يؤتى على المقصود الى آخره »<sup>(١٣)</sup> ومن النثر الذي جاء على الصنف الاول من هذه الطريقة التي تبتديء بالبعدية دون اية مقدمات اخرى مقرونة بحمد الله وشكره رسالة الكاتب ابي الحسن بن عياش عن الخليفة عبد المؤمن الى طلبة بعض مدن الاندلس يخبرهم فيها بوصول كتابهم في غزواتهم على الروم ، بدأها بقوله « اما بعد حمد الله الذي عمّ بنوالة ... ، والرضا عن الامام المعصوم ، والمهدي المعلوم .. فانا كتبناه اليكم ... كتب الله لكم اعمالاً زاكية نامية ، ... من حضرة مراکش ... حرسها الله ... الخ »<sup>(١٤)</sup> ، ويستمر الكاتب في رسالته والجأ صلب غرضه المقصود ليصل الى خاتمتها التي تؤرخ الرسالة .

٥ . ومن المكاتبات ما تبتديء بالتحميد ثم الصلاة على النبي وآله ثم الترضية عن الامام ، ويعقبها بشارة الى الكتاب ومكان تحريره ليلج بعد ذلك الى جوهر المقصود ، وخير مثال ماكتبه ابو عبد الله محمد بن عبد العزيز بن عياش عن الامير محمد الفاسر الموحدى مُخبراً باستيلاء الموحدين على منورقة ويابسة وميورقة بدأها بقوله « الحمد لله فاتح الاغلاق ، ومانع الاعلاق مُمدّ هذه الدعوة الامامية من السبع اطباق ... الخ »<sup>(١٥)</sup> ، حيث تستمر الرسالة ضمن الرسوم التي اشرنا اليها . ولعل تحليل استفتاحها بالتحميد دون غيره من مستهلات ومقدمات ان الكاتب وهو بغمرة الفرح والابتهاج بتحقيق النصر انصرف أولاً وقبل كل شيء الى تسجيل الحمد والشكر لله تعالى على ما حققه للمسلمين من نصر مبين .  
٦ . ولم تقتصر المكاتبات الديوانية على النثر بل كانت بعض مكاتباتهم الرسمية تعتمد الشعر في جزء منها<sup>(١٦)</sup> او في اجزائها كلها<sup>(١٧)</sup> ، والنوع الاخير يكون عبارة عن قصيدة شعرية متكاملة خالية من اي ديباجة نثرية وهي خارجة عن تقاليد

مكاتباتهم السلطانية وغير ملتزمة بأي رسم من رسومهم ، ومن نماذج هذا اللون من المراسلات : القصيدة الرسالة التي وجهها امير المؤمنين يوسف بن عبد المؤمن الى عرب افريقيا يستدعيهم فيها ويحرضهم على الجهاد وهي من نظم ابن طفيل ، ولما تأخروا عن تلبية الدعوة خاطبهم ثانية بقصيدة اخرى من قول ابن عياش<sup>(١٨)</sup> وكان مطلع الاولى :  
الا فابعثوها همة عربية تحف باطراف القنا والقواضب  
اما مطلع الرسالة الثانية فهو :

قيموا الى العليا عوج الرواحل

وقوبوا الى الهجاء جرد المواهل

الصنف الثاني :

بعد ان اتضحت امامنا صيغ المراسلات الرسمية التي كان يصدرها امير المؤمنين الى أعوانه وتابعيه من ابنائه الامراء ومن الولاة والقضاة وغيرهم . لننتقل الى معرفة رسوم المكاتبات التي كان يرفعها الامراء والوزراء والولاة وغيرهم الى امير المؤمنين او الى ملك البلاد الذي يمثل آنذاك السلطة المركزية العليا . ونقف عند انواع الصيغ واشكالها التي كان الكتاب يحرصون عليها ويعتمدونها أساساً وقواعد لما ينشئون من رسائل . ومن خلال دراسة ما توفر لدينا من نصوص نثرية لفترة الموحدين تمكناً من تشخيص الرسوم التالية لمكاتباتهم الرسمية :

١ . ان تفتتح الرسالة بلفظ « كتابنا » او « هذا كتابنا » او ما شابه ، ثم يذكر مكان تدوين الخطاب ثم يلج الكاتب صلب الموضوع حتى ياتي الى آخرها . فمن ذلك رسالة ابي جعفر ابن عطية عن ابي حفص الموحدي الى الخليفة امير المؤمنين عبد المؤمن بن علي وهي التي « اورثته الرتبة العلمية السنية والوزارة الموحدية المؤمنية »<sup>(١٩)</sup> ، حيث ابتدأها كاتبها بقوله « كتابنا هذا من وادي ماسة بعدما تجدد من أمر الله الكريم ونصر الله تعالى المهود المعلوم ( وما النصر الا من عند الله العزيز الحكيم ) فتح بهر الانوار اشراقاً »<sup>(٢٠)</sup> .

فالبداية جاءت بدون اية ديباجة من بسملة او صلاة على النبي او ترضية عن الامام المعصوم او دعاء لامير المؤمنين الى غير ذلك مما ستجده عند كتاب آخرين كتبوا بعد ابن عطية ، وفي هذا النوع يعالج الكاتب المقصود مباشرة ويجمله محوره الاساس ، ولما كان موضوع الرسالة هو بشارة بفتح ،

فكان الكاتب يستعمل الأمر ويسابق السطور ليؤلف البشرى الى الخليفة فيتجاوز المقدمات والتمهيدات .

٢ . وتأخذ رسائل رسمية أخرى ديباجة مختلفة في بعض رسومها عما سبق من نماذج ، ففي رسالة صدرت من المزيين الى السيد ابي اسحاق الموحدي اخي امير المؤمنين المرتضى ، تتحدث عن رغبة المزيين في ارسال وفد لتقديم البيعة الى المرتضى<sup>(٢١)</sup> تبتدي هذه الرسالة باسم المرسل اليه كاملاً مع الالقاب : السيد الاجل الاعز ابو اسحاق بن سيدنا الامير الطاهر المرحوم ابي ابراهيم ابن سيدنا الخليفين الامامين اميري المؤمنين<sup>(٢٢)</sup> ثم يدعو لمقامهم بالعلم والبقاء . ويعدّها يشير الى المكتوب عنه فينعت بلفظ ( خديمهم ) ويصفه بما يناسب من خصائص الخادم وصفاته ويأتي باسمه « ... خديمهم المتمم من خدمتهم ما حق عليه اتمامه ، الملتزم من تعظيم مقامهم واكباره ما يتمين حق الاخلاص له التزامه ... المستنهض لصالح الدين والدنيا عنايتهم الميسرة كل امل عزّ مرامه ، فلان<sup>(٢٣)</sup> ثم يؤتى بالبعدية والتصلة على النبي وآله ثم الرضا عن الامام المعصوم .. فالدعاء للحضرة الخلفية بما يليق مقتربة باسم الخليفة .. والدعاء لحضرة سيدنا ومولانا الخليفة الامام المرتضى امير المؤمنين ابي حفص ابن سيدنا الامير الطاهر ابي ابراهيم ابن سيدنا الامامين اميري المؤمنين باطراد السعد الكفيل بذل مناوئها ، وعز مواليها ... الخ » ليذلل بعد ذلك الى المقصود بلفظ « كتب مصحوباً بالدعاء المقتبس من معاني الكتابة للمقام الاسمي .. وهكذا يستمر الكاتب حتى ختام الرسالة التي تنتهي بالدعاء مُجَدِّداً لجلالة المكتوب اليه ومقامه العالي .

٣ . ومن مكاتباتهم ما تبتديء بعد البسملة والصلاة على النبي بذكر اسم المكتوب عنه ثم اسم المكتوب اليه والدعاء له بما يليق ثم تحية الاسلام ، وبعد ذلك تأخذ الرسالة مسارات الرسائل الأخرى من حيث البعدية والتحميد بلفظ « اما بعد حمد الله » أو « بعد حمد الله » والصلاة على النبي والقرضية والدعاء لامير المؤمنين او لولي العهد - احياناً - ثم يؤتى بالمقصود ... الى آخر الرسالة التي تختم بالسلام ويذكر تاريخ انشائها .

منه ما كتبه السيد الاعلى ابو حفص عمر عن نفسه ، معروفاً بفتح « غمارة » الى الشيخ الاجل ابي عبد الله بن الشيخ ابي ابراهيم « بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على

محمد وآله وسلم ، من عمر بن امير المؤمنين الى الحافظ ابي عبد الله محمد بن ابراهيم ادام الله كرامته بتقواه ، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد حمد الله والثناء عليه ، والصلاة على محمد رسوله وعلى آله ، والرضا عن الامام المعصوم ... والدعاء لسيدنا امير المؤمنين ولولي عهده الامير الاجل ... »<sup>(٢٤)</sup> وفي مختتمها يقول « والسلام الجزيل عليكم ورحمة الله وبركاته ، كتب في الرابع عشر من شوال سنة ثنتين وستين وخمس مائة » .

٤ . وفي بعض مكاتبات المبايعة يكون الابتداء بعد البسملة بالصلاة على النبي ثم الاشارة الى الامامة وتلتمت بما يليق بها من صفات ، ثم يؤتى بالترضية عن الامام المعصوم ، والدعاء لامير المؤمنين ، ثم ينتقل الى المقصود مبتدئاً بلفظ .. ام بعد .. ويختتمها بذكر التاريخ ، وهذا غالباً ما يكون في رسائل المبايعات ، ويمكن ان نستشهد له بما كتبه أهل اشبيلية بمبايعة أمير المؤمنين أبي يعقوب يوسف بن عبد المؤمن وهي من انشاء أحمد بن محمد<sup>(٢٥)</sup> ، « بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على محمد وآله وسلم . الحمد لله الذي جعل الامامة قواماً للحق ونظاماً للخلق ، وتاماً على الذي احسن برعاية العدل والرفق ، وأوجب الاعتصام بطاعتها والانتظام بجماعتها ، والصلاة على محمد نبيه المنيع بنور الحق الساطع الاضواء ... والرضا عن الامام المعصوم ، المهدي المعلوم ... والدعاء لسيدنا ومولانا أمير المؤمنين الخليفة المرتضى متم انوار الهدى ... وللامام الاعلى الاهدي سيدنا ومولانا امير المؤمنين أبي يعقوب بن امير المؤمنين بدوام النصر والاستيلاء ... اما بعد فانه لما اجتمعت طائفة التوحيد ، وهم الذين تحضرهم من الله حاضرة التوفيق ... على تجديد البيعة المباركة لسيدنا أمير المؤمنين أبي يعقوب ... الخ »<sup>(٢٦)</sup> .

وتتكمال البيعة بقوله في آخرها « ... وعلى مضغن ما نص فوق هذا التزم أهل اشبيلية كافة ، وكتبوا على ذلك شهادتهم في النصف من جمادي الأخيرة سنة ثلاث وستين وخمس مائة » . او أن يؤتى بعد البسملة بقوله من فلان الى فلان ثم يؤتى ببقيّة الخطوات مثل النموذج السابق ، ومنه رسالة من انشاء أبي الحسن عبد الملك بن عياش جاء فيها .. بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على محمد وآله وسلم ، من عمر وعثمان ابني أمير المؤمنين الى الطلبة والاشياخ والاعيان



والكافة باشبيلية أدام الله كرامتهم بتقواه . سلام عليكم ورحمة الله وبركاته » أما بعد فالحمد لله .... الخ<sup>(٢٠)</sup> .

٥ . وقد تأخذ رسائل طلب البيعة شكلاً آخر فتبتديء بلفظ من فلان الى فلان — دون بسملة — ويؤتى بالبعدية وحمد الله وشكره ثم الصلاة على النبي وبعد خطبة قد تطول يلتفت الى الترضية عن الامام المعصوم وعن صاحبه خليفة المسلمين أمير المؤمنين ... ثم الدعاء للمولى الامام أمير المؤمنين ... لينتقل الكاتب بعد ذلك الى جوهر الموضوع الذي هو طلب البيعة مستخدماً لفظ « وهذا كتابنا اليكم » مدخلاً للمقصود ، وغالباً ما يذكر اسم البلد الذي حررت فيه الرسالة مع الدعاء له بما يناسب ، ويمضي الخطاب الى غايته ليختم — بالدعاء ثم بالسلام والتاريخ . ومن نماذجه رسالة أنشأها ابو الفضل بن طاهر بن محشرة<sup>(٢١)</sup> ، عن الامير يعقوب بن أمير المؤمنين من اشبيلية الى الطلبة والموحدين والاشياخ والاعيان بفرنطة .. جاء فيها « من الامير يعقوب بن سيدنا أمير المؤمنين بن سيدنا أمير المؤمنين — أيدهم الله بنصره وأمدهم بمعونته الى الطلبة والموحدين والاشياخ والاعيان والكافة — بفرنطة — أدام الله كرامتهم بتقواه وعرفهم عوارف نعماء ورحمائه — سلام عليكم ورحمة الله وبركاته . اما بعد فانا نحمد اليكم الله الذي لا اله الا هو ، ونشكره على آلائه ونعمه ، ونصلي على محمد نبيه المصطفى ورسوله ..... والرضا عن الامام المعصوم ، المهدي المعلوم .... وعن صاحبه وخليفته سيدنا الامام أمير المؤمنين القائم من الانتهاض بأمر الله مقامه ... والدعاء لسيدنا ومولانا الامام أمير المؤمنين بن سيدنا أمير المؤمنين ... وهذا كتابنا اليكم — أسمعكم الله من بشائر هذا الامر العزيز ما يملأ قلوبكم ارتياحاً ... من حضرة اشبيلية — حرسها الله .... الخ<sup>(٢٢)</sup> ثم يختتمها بالسلام وبالتاريخ .

٦ . أن تبتديء الرسالة بلفظ « الحضرة » مذيلة بعبارات المديح والثناء ، وبآيات الدعاء ، ثم يؤتى باسم كاتبها مقتوراً بصفة الميودية أو الخدمية ، ثم بتحية السلام على الحضرة المعظمة والمقدسة والمفخرة ، ويؤتى بعدها بالتحميد والصلاة على النبي والترضية عن الامام المعصوم ، ثم بالدعاء للمقام العالي بما يناسبه ، ويدها يؤتى بالمقصود ، وخير مثال على ذلك رسالة كتبها ابن سعيد الاب من اشبيلية الى أبي محمد عبدالواحد بن أبي يعقوب بن عبد المؤمن مهنئاً له بالخلافة حين بويج بها بمراكش ، وكان قبل ذلك كاتباً له

ومختصاً به ، جاء فيها « الحضرة العلية ، السامية السنية ، الطاهرة القدسية ، حضرة الامامة ، وجنة دار الاقامة ، مد الله على الاسلام ظلالها ، وأنسى في سماء السعادة تمامها وكمالها ، وهنا المسلمين باستقبال امارتها ، وأدام لهم بركة خلافتها ، عبد أيادها ، وخدم نادياها ، المتوسل بتقديم الخدمة المتوصل بعميم النعمة وكريم الحرمة ، المنشد بلسان المسرة ، حين أطلع الزمان هذه الغمرة :

أنته الخلافة منقادة اليه تجر أذيالها

فلم تك تصلح الاله ولم يك يصلح الا لها

موسى بن محمد بن سعيد لا زال هذا الامر العلي محموداً سعيداً ....

سلام الله كريم يخص حضرة الاجلال والتعظيم والتقدیس والتفخيم ، ورحمته وبركاته ، وبعد حمد الله .... والصلاة والسلام على سيدنا محمد نبيه الكريم .... والرضى عن الامام المهدي المعلوم الذي أفاء الله به على الدين الحنيفي ظلاله ، وأذهب عنه طوائغيته وضلاله ، والدعاء للمقام العالي الكريم بالسعد المتوالي والنصر الجسيم .... الخ<sup>(٢٣)</sup> .

وهكذا يستقص الكاتب ويزيد في اسباغ النعوت والصفات على الحضرة وساداتها ما أسعفته القواميس وفاضت به قريحته اللغوية .

ويبدو لنا ان مثل هذا الاسلوب قد عرف أواخر الحكم الموحدى ، لأننا لم نجد نظيره قبل ذلك .

وقد يأخذ هذا الرسم أسلوباً آخر بان يؤتى باسم المرسل اليه بعد ذكر الحضرة مقتراً بها ، كان يقال « حضرة سيدنا الخليفة الامام العادل أمير المؤمنين ... »<sup>(٢٤)</sup> أو ما يشبه ذلك .

٧ . اذا كانت بعض المكاتبات تبتديء بلفظ « الحضرة » فان بعضها الاخر يستخدم لفظ الحضرة مسبوقه بالبسملة والصلاة على رسول الله محمد — ص — وتُعرف الحضرة باسم صاحبها أو لقبه ويشار الى اسم المكتوب عنه ... ثم يحيي الكاتب الحضرة بما يليق ثم يقتفي بعد ذلك أسلوب الآخرين في الرسوم الاخرى من الرسالة ، فيؤتى بالحمد والصلاة والترضية ثم يلج الموضوع الرئيس بلفظ « كتب » أو فكتب » ويذكر اسم البلد الذي كتبت فيه . ليختم بعد ذلك رسالته بالسلام وذكر تاريخ الكتابة .

منه رسالة وجهها الشيخ الاجل ابو عبدالله بن أبي ابراهيم : الى أمير المؤمنين أبي يعقوب يوسف بن عبد المؤمن :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، صلى الله على محمد وعلى آله وسلم ، الحضرة السامية ، حضرة سيدنا ومولانا الامام الاعلى ، الخليفة الصالح المنصور بالله عز وجل أمير المؤمنين ابن أمير المؤمنين أيدهم الله بنصره وأمدهم بمعونته ، من ملتزم أوامرهم العلية المتبرك بمعاليمهم السنية ... محمد بن أبي ابراهيم : سلام على حضرة سيدنا ومولانا أمير المؤمنين ... الخ »<sup>(٢٧)</sup> .

وهكذا يستمر الكاتب الى آخر الرسالة .

٨ . ومن رسائلهم ما يبتدئ بلفظ « محل » مضافاً الى ما يُقرّفه كان يقال « محل الشيخ الاجل » ويؤتى بوصف يليق به ثم يؤتى باسم المخاطب بالرسالة ... ويختتمها بالسلام وبالتوقيع باسم المرسل . من نماذجه ما كتبه محمد بن ابراهيم المواعيني<sup>(٢٨)</sup> ، أبو القاسم الى السيد محمد بن أبي ابراهيم اسماعيل بن الخليفة أمير المؤمنين مهناً حينما تولى أمر اشبيلية حيث بدأها بقوله « محل الشيخ الاجل ، الحبيب المبارك الافضل ..... محل لا يدانى سموه الاسبق ونموه الاسبق .... وكيف لا وشيخ الموحدين ، وطائفة الحق المهتدين ... أبو ابراهيم أبوه ، أضفى الله عليه ظلاله وأوسع في منازل الزلفى مراتبه وجلاله ، هو قعده الشامخ ، ومستنده الباذخ ... »<sup>(٢٩)</sup> ، ويقول قبل ختامها : « والسلام الاكرم الادوم على حضرة الشيخ الاجل الموقر المعظم أبي عبد الله ورحمة الله وبركاته » وأبو عبد الله هذا هو ابن أبي ابراهيم وأخ محمد ابن اسماعيل ثم يأتي بآخرها باسمه منعوتاً بصفات الطاعة والخضوع « ملتزم أمرهم ومعظم حقهم ، رهين شكرهم محمد بن ابراهيم » .

ومن خلال ما تقدم في الصنفين ، الاول والثاني ، نبذلنا ان لمكاتباتهم الرسمية رسوماً وتقاليده معروفة لا يصح الخيوج عليها ، يلتزمون بها ويقفون آثارها ويحرصون على التمسك بها ، كما غدت لها خصائص ومميزات ذات قيمة ، اعتبرها القلقشندي من الأمور التي انفرد بها الكاتب الاندلسي عن كتاب المشرق والديار المصرية ، ومن تلك الخصائص والسمات « ان المخاطبة تقع للمكتوب اليه بميم الجمع مع الانفراد ، كما تقع الكتابة عن المكتوب عنه بلون الجمع مع الانفراد »<sup>(٣٠)</sup> ومنها « انهم ملتزمون الدعاء بمعنى الكتبة عند قولهم : كتبنا ... وانهم يقرضون عن الخليفة القائمين بدعوته في كتبهم .. وانهم يذكرون اسم المكتوب اليه في أثناء الكتاب ، وباتي مكاتباتهم على نحو مكاتبات أهل المشرق والديار

المصرية ، وكتبهم تختم بالسلام غالباً ، وربما ختمت بالدعاء ونحوه » ويمكن أن نضيف الى تلك الخصائص : انهم يقرضون أيضاً عن الامام المهدي وينعتونه بالعصمة . بحيث أصبح هذا تقليداً درج عليه جميع كتابهم وغدا سمة مميزة لمراسلات الموحدين ومخاطباتهم .

#### الجانب الفني :

في بداية البحث تحدثنا عن منزلة الكتابة الرسمية في هيكل الدولة ، ومكانة القائمين عليها من الكتاب ، وتعرفنا على أهمية شاغل هذا الموقع وما يجب ان يتصف به من سمات وخصائص ، وما يتميز به من خلق وعلم وثقافة ، وما يتمتع به من امتيازات سلطوية ومادية تجعل منه شخصاً مؤثراً ومشاركاً في رسم كثير من القرارات التي توجه دفة الحكم وتسير أمور الدولة وشؤونها الكبرى . ومن هنا يغدو التنافس والتدافع للحصول على هذا الموقع والوصول اليه ، بأساليب ميكانيكية أو غيرها ، أمراً متوقعاً ، كما هو أمر متوقع أن نجد من هؤلاء الكتاب من دفع رأسه أو حريته ثمناً بحق أو غير حق نتيجة وشاية أو حسد أو حقد من الآخرين .

وعلى كل حال فان كتاب الدواوين كانوا حريصين على نوال رضا رؤسائهم وزيادة الحظوة لديهم متوسلين الى ذلك بما يقدمونه من ابداع في مكاتباتهم ، ومن قدرات على فهم ما يدور في خاطر السلطان أو الامير أو المخدم وما يرغب في التعبير عنه وايصاله الى الآخرين ممن تكتب اليهم الرسائل ، ولذا فاننا نقدر ان الرسائل الرسمية قمة في الجودة الفنية ، لان منشئها يوظف كل قدراتهم الفنية والعلمية والثقافية وما يمتلكه من معارف لاجراء رسائله في أبهى رونق وأحسن شكل ، والطف لفظ وأعرق معنى وأوضح دلالة ليثير أولاً دهشة مولاه ولينزعج ، ثانياً ، اعجاب المجلس الثقافي الذي ينصت الى تلك الرسائل ، سواء في الحضرة التي تكتب فيها او الحضرة التي تكتب اليها ، فهي صنعة تحتوي على شيء من المصلحة المتبادلة بين الكاتب والمخدم ، « مصلحة شخصية للكاتب ، وحرص من قبل السلطان على صيانة الدولة وتوطيد دعائمها وإحكام تدبير شؤونها »<sup>(٣١)</sup> .

ولكون كتاب السلطة يعالجون موضوعات مختلفة ومنوعة ويعبرون عن توجهيات الحكام وصاياهم وأرائهم في مختلف القضايا والشؤون ، فان طبيعة عملهم تتطلب منهم بالضرورة

ثقافة موسوعية وخزينا من المعارف والمعلومات التاريخية والدينية والأدبية وغيرها ، ليكون الكاتب قادراً ومتمكناً من تناول تلك الموضوعات والتعبير عنها بوضوح ودقة تحققان هدف المكتوب عنه وغايته ، وتصييان ما في نفسه ، خاصة وان مثل هذه المكاتبات تعالج موضوعات عديدة واغراضاً متنوعة وكثيرة ، كان تعالج وصفاً لمواقع حربية او بشاره بنصر او فتح حصن او عقد سلم او تحريض على الجهاد او طلب المبايعه او تولية الامراء على الاصقاع والاقطار او التوجيه السياسي ، او الحث على التمسك بالدين الحنيف او وصف الاحوال العامة للرعية او التهنئة او التعزية وغيرها من امور لها مساس بالسلطة ويتطلبها الحكم وتقتضيها ظروف الدولة السياسية والدينية والاجتماعية .

ومن هنا نلاحظ ان طبيعة هذه المكاتبات وأساليبها وصيغها ورسومها ليست مثل بقية كتاباتهم النظرية وانما تشمل مختلف مناحي الحياة وشتى ميادينها . وفي وقفة متأنية عند دراسة الجوانب الفنية لهذا اللون اللثري سيتضح لنا مقدار الجهد الذي يبذله الكاتب في بناء تلك الرسائل ، جهد قد يضر أحياناً ، بسبب مبالغته واسرافه في التصنع<sup>(١١)</sup> بقيمة النثر الفنية ويقلل من جودته وجماليته .

وعلى كل حال فان المتابع للنثر الرسمي خلال فترة الموحدين يمكن ان يلمس خصائص وسمات معينة واضحة تطبع فتاجهم بطابعها ، وتوشم ملامحه بوشمها ، فتعطيها معالم وابعاداً تحدد شخصيته ، الى حد ما ، وتميزه عن غيره من النثر الأندلسي في فترات سابقة أو لاحقة ، فمن ابرز الخصائص والسمات التي تميز بها :

١ . ميل الكتاب الى اضاء صبغة دينية على رسائلهم ، وتوشيحها بالآيات القرآنية والاحاديث النبوية وتوشيحها وتعطيرها باخبار السيرة والصحابة ، وتعزيزها باحكام الفقه والشرعية الى غير ذلك مما يشيع جواً دينياً على روح الرسائل ، ويكثر ذلك في المكاتبات التي تعالج موضوعات مثل الحث على الجهاد أو الانتصار على الكفار او دعوة الجمهور الى التمسك بالدين والتقيد باحكام الاسلام او في وصف تساقط المدن والقواعد وراثتها والتصبر على محنتها . وغيرها من اغراض تتطلب طبيعة موضوعاتها الاستشهاد بالقرآن الكريم او بالاحاديث النبوية والاحكام الفقهية لتعزيز الموقف واسناد الرأي بالحجة القاطعة والقول الفصل .

ولعل أسباب طغيان الروح الدينية على النثر الادبي في

هذه الفترة ، اضافة الى مقتضيات طبيعة الموضوع ، تعود الى طبيعة التعليم المعتمدة أساساً في الأندلس التي يتلقاها المتعلم منذ سنواته الاولى والتي تقوم على بناء قاعدة عريضة من الثقافة الاسلامية قوامها القرآن وأحاديث النبي وما يتعلق بهما من علوم ودراسات وأحكام نظمت وقعدت عبر القرون . فكان لكل ذلك تأثير كبير على ذهنية المثقف وطريقة تفكيره ، خلقت آثارها وتركت بصماتها على نتاجه<sup>(١٢)</sup> كما ان ظروف العصر وما صاحبها من مواقف سياسية ومعارك وصراعات دينية ، وما تمخضت عنه ، وبخاصة أواخر أيام الموحدين ، من سقوط بعض المدن الاسلامية الاندلسية بيد الاسبان ، كان لها دورها وأثرها في لزوع المخاطبات الرسمية نزعة دينية ، « فالعصر كان عصر جهاد وصراع بين الاسلام والصليبيين والفرنج في العالم الاسلامي عامة والاندلس خاصة ، وفي ذلك ما يدعو الى اصطباغ الأدب / شعراً / ونثراً ، بصبغة الحماسة الدينية »<sup>(١٣)</sup> .

ينضاف الى ما تقدم سبب آخر يقوي الطابع الديني الذي تتسم به المخاطبات الرسمية هو متانة العلاقة بين الدين والسلطة ، فالسلطان او امير المؤمنين في زمن الموحدين كان يمثل السلطتين الدينية والدنيوية فهو الرئيس الديني كما انه الرئيس السياسي ، ويتجلى ذلك خاصة في مراسلاتهم التي تعالج أمور الشريعة كالحث على التزام قواعد الاسلام واحكامه في المعاملات وفي الحياة اليومية ودعوة الحكام والولاة الى تطبيق الشريعة والعدل بين الناس والدعوة الى الجهاد في سبيل الله ونصرة دينه الى غير ذلك من موضوعات ذات علاقة بالدين الاسلامي الحنيف<sup>(١٤)</sup> .

ويتضح الطابع الديني الاسلامي فيما أوجده من رسوم غدت تقاليد وقواعد في كتاباتهم الرسمية والديوانية ، وبخاصة ما تكون عليه مقدمات المكاتبات وخواتمها من مثل البسملة والتحميد والصلاة على النبي محمد - ص - وآله وصحبه ، والترضية عن الخلفاء أو السادة الرؤساء والترضية عن الامام المعصوم وما تحتم به من دعاء وسلام ، كل ذلك يضاف الى رسائلهم جواً دينياً ، يضاف اليه ما يعزز انشأهم وكتاباتهم من نصوص تراثية أو اقتباسات دينية تأتي في حشو رسائلهم حسب مقتضى الحال ، لكنها تأتي بمقدار مقبول وغير طاغ ، ومن أمثلة تلك المراسلات الديوانية التي تعبقت بجو ديني ، رسالة كتبها ابو جعفر بن عطية عن امير المؤمنين عبد المؤمن بن علي الى شيخ - لم يسمه - وجماعة المشيخة بقروية :



جاء فيها بعد السلام : « اما بعد فانا نحمد اليكم الله الذي يصل الفتوح لاوليائه بفتوح ، ويلهم الراشدين من عباده الى كل رأي نجيب ، ويقرب للمتقربين بالتوبة النصوح ، كل أم شاسع ومامل نزوح ..... ، وتشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة من علم وحدانيته على جلاء من آياته ووضوح ... ، ونصلي على محمد نبيه المصطفى صلاة يستقبل بها من رحمته شطر باب مفتوح ، ونستنزل ببركتها على جنابه الانضر كل سحاب سفوح ، وعلى آله الاكرمين وأصحابه الطافرين من هداه بحظ ريح ... ونصل الرضوان المستدام على ما وجب الله الاقتداء به والانتقام ، الامام المعصوم ، المهدي المعلوم ، القائم بامر الله قيام من كان لله ولرسوله ولكافة المؤمنين خير نصيح ..<sup>(١١)</sup> » وبعد ذكر المكان الذي كتبت فيه الرسالة يعود الكاتب ليشير الى رسالة وردت الى الخليفة من جماعة المشيخة بقرطبة وفيها - كما يفهم من حشو الرسالة - بيعة ، فيقول الكاتب ... « وبفضله - جلّت قدرته - ما استفاض ببركة هذا الامر المبارك من نور قدسي وخير معنوي وحي ، وما قرته بيمينه من أمل قصي ، ولجبه من شديد قسي ويسمعه أوليائه من نبا انسي ..... واستمسك الراشدون منه بعمرة لا تنفصم واعتصموا بما لا ينجي من دعوته الربانية ويعصم ، وخاب عن هذه الرحمة الواسعة الناكس المتأخر والألد الخصم ، » وهكذا يستمر الكاتب في جوهر موضوعه داعياً أبناء قرطبة الى التمسك بالعمرة الوثيقة والى طاعة الله ونبيه ومهديه « ... وعضوا على طاعة الله ونبيه ومهديه بالنواجز عضا مسكباً لبااحتها مفيدا واشهدوا الله تعالى على التزامها والدخول تحت إحكامها » . ويؤكد على التمسك بامر المهدي « فهو سبب النجاة والخلاص ، والمان من نوائب الانتكاس والانتقاص » فهذه الرسالة بموضوعها وجوها ولغتها لا تخرج عن الجو الديني ، ولكنها تتمتع بأسلوب جميل مسجع محبب ، ولغة سليمة سلسة قادرة على الوصول الى المتلقي ببسر وسهولة .

ومثال آخر في استخدام التراث الديني وشواهد التاريخ الاسلامي خلال كتاباتهم السلطانية وبخاصة موضوعات الجهاد والحرب ، رسالة كتبها ابن عيانش لامير المؤمنين الناصر تتضمن اعتذاره عن الهزيمة التي حلت به في موقعة العقاب سنة ٦٠٩ هـ ، جاء فيها « ... كان بين المسلمين وبين أعدائهم يوم نوكواكب نازعت فيه المواكب على المواكب ، وموقف نرجو أن يراه الله لنا وان يقبل فيه عملنا ، اشتد فيه

الكفاح وأرخصت فيه الارواح ، لكن أراد الله فكانت العاقبة المطلقة هي لاهل الاسلام والايمان .... هي الحروب قضى الله ان تكون سجالاً ، وان يجعل الله فيها لكل قوم مجالاً ، كذلك كانت في زمن النبي - ص - والوحي غرض نضير ، وجبريل من السماء الى الارض في كل وقت سفير ، وكذلك كانت في زمن الخلفاء رضي الله عنهم ، كل ذلك ليعلم الشاكر والصابر عنهم ... فما كان الله ليترك المؤمنين حتى ياخذ أعداءهم أخذاً ويبلاً ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً ...<sup>(١٢)</sup> فقد استخدم الكاتب الايات القرآنية بمعانيها كما انه أشار الى تاريخ النبي والخلفاء من بعده وما تعرضوا له في حروبهم من اخفاقات وهزائم في بعض الاحيان ، لكنها كانت هزائم تمقّبها انتصارات للمسلمين .

٢ . ولا يقف اعتماد الكتاب على مصدر واحد هو الثقافة الدينية في بناء رسائلهم وترصينها وسبك أسلوبها ، بل كانوا ينهلون من الثقافة الأدبية والتاريخية كذلك ، فيضمنون مراسلاتهم شعراً وأمثالاً وأقوالاً مقتبسة وحوادث وأخباراً تاريخية معروفة وغيرها . وقد اشار القلقشندي الى تقاليد ذلك ورسومه في المشرق والمغرب . حيث قال : « وأما الشعر فيورده حيث يحسن ايرواه ، ويمنعه حيث يحسن منعه ، وليس كل مكاتبة يحسن فيها ايرواد الشعر ، بل يختلف الحال في ذلك بحسب المكتوب عنه والمكتوب اليه »<sup>(١٣)</sup> ، ثم قرر انه لا يتمثل بالشعر في المكاتبات الصادرة عن الملوك والصادرة اليهم ممن هم دونهم ولكن « الملوك والخلفاء اذا كتبوا الى من ضاهاهم في أبهة الملك وقاربهم في علو الرتبة فانه لا يمنع التمثل بأبيات الشعر فيها ، تطريزاً للنثر بالنظم . وجمعاً بين جنسي الكلام اللذين هما خلاصة مقاصده »<sup>(١٤)</sup> ، ولكننا في الاندلس والمغرب نجد ان المكاتبات الرسمية لن تخرج من التمثل بالشعر بل ان بعضها تجاوز ذلك فكان كله شعراً - كما ذكرنا سابقاً - أو جزء كبير منه شعراً . بفض النظر عن الجهة التي خوطبت بالرسالة ومستوى المخاطب والمخاطب فمن ذلك رسالة وجهها الخليفة عبد المؤمن بن علي الى أهل اشبيلية ليوسف اليهم بشرى فتح مدينة ( المهدية ) سنة ٥٥٤ هـ . حيث جاء في آخر الكتاب قطعة شعرية تتكون من اثني عشر بيتاً يعتقد انها من نظم أمير المؤمنين نفسه وأولها :

ولما قضينا بالمشارق أمرنا وتم مراد الله في كل مطلب<sup>(١٥)</sup>  
ومنه ما كتبه السيد الأمير أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن أمير اشبيلية يستنجد بوالده ويدعوه للتقدم اليه

للقضاء على فتنة ابن مردنيش وقد ضمن رسالته شعراً من نظم الاستاذ أبي العباس ابن سيد المالقي وأولها :  
هو الامر أمر الله ليس له رد يؤيده أيد ويسمو به جد<sup>(١١)</sup>  
ومجموع الابيات خمسة عشر بيتاً حسب رواية ابن صاحب الصلاة ، وكان جواب أمير المؤمنين رسالة طويلة فيها شعر على وزن الابيات اللاتي تضمنتها رسالة ولده وقافيتها ولا يعرف من هو كاتب الرسالة او ناظم الشعر . وأول هذه الابيات التي يصل عددها الى خمسة وثلاثين بيتاً قوله :  
تسنى لاهل الحق نيل مرادهم وطاب لهم فيما يرومونه<sup>(١٢)</sup>الورد

وفي رسالة ابن سعيد الاب التي كتبها الى عبد الواحد الموحيدي ملك المغرب مهتماً له بالخلافة حين بويج بها بمراكش ، تضمن لشعر من نظمه ومن نظم غيره من الشعراء<sup>(١٣)</sup> ، وفيها اقتباس من التراث الادبي والتاريخي . مثل قوله : « خليفة له النفس الغفيرة ، الاراء القفيرة ، والفراسة الإياسية ، ولا ينبئك مثل خبير »<sup>(١٤)</sup> .

وفي الرسالة التي وجهها كاتب الخلافة أبو جعفر أحمد بن عطية القضاعي الى مخدمه أمير المؤمنين عبد المؤمن بن علي مستمطفاً اياه اثناء محنته ، كثير من الاتكاء على التراث الادبي والتاريخي والديني واستحضار لمخزون حافظته وعلومه سخرها كلها لخدمة هذه الرسالة التي كانت شفيعة ورسوله الى الخليفة وقد ختمها بشعر رقيق جميل مؤثر في الاستمطاف<sup>(١٥)</sup> .

والرسالة بجمالها عبارة عن تذكير بأحداث تاريخية تشير الى عصيان اصحابها ونكرانهم وكفرهم ولكن أبا جعفر يشير الى انه لو كان واحداً منهم واقترب عظام اعمالهم المنكرة او كان قد تحمل ذنوب الدنيا كلها وكتب له ان يأتي حضرة الامام المهدي المعصوم لانذاراً وعائذاً لكان ذلك كافياً لسماع غفره وغفران خطيئاته وذنوبه ( وأن يمسحها ويعفو عنها ) ولكن هذه الرسالة كانت صرخة في واد فلم تنفع ولم تشفع ، ورسالته تذكرنا برسالة ابن زيدون الجديبة التي كتبها هو الاخر من السجن الى ابن جهور من حيث الاسلوب واللغة ومن حيث استخدام التاريخ وحوادثه واستحضار ثقافته العامة للوصول الى غرضه الذي هو العفو .

ومثله يكثر ابو المطرف بن عميرة في استخدام التراث في بعض رسائله ، منها رسالته التي كتبها نظماً ونثراً لأحد الرؤساء بشاطبة والتي جاء فيها بكثير من الامثال والاعلام

التي تحتاج الى ثقافة تراثية واسعة لفهمها ومعرفة مدلولاتها<sup>(١٦)</sup> .

٣ . وامتازت الرسائل الرسمية لهذه الفترة بسمات شكلية مظهرية تمنى باللفظ من حيث جرسه وصوته ، ومن حيث توافق الوحدات الصوتية وتناسق مقاطعها حتى ليغدو نثرهم قريباً الى الشعر وقد يبالغ بعضهم فيلتزم ما لا يلزم أو يلتزم حرفاً واحداً يتكرر في كل مفردات رسالته . ويحلوا لبعضهم ان يحقق براعة في صوره النثرية عن طريق استخدام وسائل بلاغية عديدة من جناس أو طباق أو تشبيه أو استعارة أو كناية أو غيرها . وكل ذلك يكون مقبولاً ومعقولاً في حالة استخدامه كالملاح في الطعام ، ولكنهم كانوا أحياناً يتزبدون منه حتى يغدو جميل نثرهم قبيحاً وحسن كلامهم مشوهاً ، ولطيفة ثقيلاً ممجوجاً .

وكثيرة هي الرسائل الرسمية التي تعتمد السجع والمحسنات اللفظية الأخرى في موارث فترتنا . من ذلك رسالة كتبها ابو عبد الله بن عياش في نزول الناصر على المهدي برأ ويحراً واسترجاعها من ايدي الملتزمين حيث شبه المدينة بعروس تزف الى فارسها ، وكان مهرها رؤوس المقاتلين الشجعان ، وحنائها دماءهم ، « ... ولما اجتليتنا منها عروساً ، قد مذ بين يديها بساط الماء ، وتوجت بالهلال وقرطته بالثريا ووشحت بنجوم السماء والسحب تسحب عليها أردانها فترتديها تارة مثلثة ، وطوراً سافرة .... خطبناها فارادت التنبيه على قدرها ، والتوفير في اعلاء مهرها ، ومن خطب الحسنة لم يُقله المهر ، فتمنعت تمنع المقصورات في الخيام ، وأطالت أعمال العامل في خدمتها وتجريد الحسام ، الى أن تحققت عظم موقعها في النفوس ، ورأت كثرة ما ألقى لها من نثار الرؤوس ، جنحت الى الاحسان بعد النشوز ، ورأت اللجاج في الامتناع من قبول الاحسان لا يجوز ، وامتنعت على رغم رقيها بمناقها ورشف رضاها ، فبانت معزساً ، حيث لا حجال الا من البنود ولا خلوق الا من دماء ابطال الجنود »<sup>(١٧)</sup> .

ولا يخفى ما في الرسالة من جمالية سواء في التصوير والتشبيه او في استخدام المحسنات اللفظية من الجناس والطباق لاضفاء روعة وبهاء اضافيين الى جمالية الصورة . ونموذج ثان تمثله قطعة من رسالة لابي جعفر بن عطية كتبها عن أبي حفص عمر اينتي في موقعة الماسي : « فتح بهر الانوار إشراقاً ، وأحرق بنفوس المؤمنين إحداقاً ، ونبه للاماني

النائمة جفونا وأحداً ، واستغرق غاية الشكر إستفراقاً ، فلا تطيق اللسان لكُنه وصفه إدراكاً ولا لحاقاً ، جمع أشتات الطلب والادب ، وتقلب في النعيم أكرم مُنقلب ، وملا دلاء الامل الى عقد الكرب ... الخ «<sup>(٩٦)</sup>» ، وهكذا يستمر في سجعاته متنقلاً من حرف الى حرف ، يبنى عليه ما أسعفته القريحة من سجمات قد تطول وقد تقصر .

وليس من قاعدة ثابتة في سجعهم ، ولكنهم بشكل عام كانوا يكثر من السجعتين او الثلاث ، ويقولون في الاكثر من ذلك ، وفي الحالة الاخيرة تبدو على نثرهم ظلال الثقل والتكلف .

وفي النموذجين السابقين نلاحظ السجمات المزدوجة والثلاثية والخماسية ، اما الرباعية فمثاله ما جاء في رسالة الأمير الاعلى أبي يعقوب الى الخليفة أمير المؤمنين عبد المؤمن بن علي .

« ... ان من الواجب الحتم والمفترض الجزم ، ان يقدر أولاً النعمة بكمالها ، ويعمر خاطره بتفصيل اجمالها ، ويحضر في هذه بهجة جمالها ، ويسرح عين اعتباره في مناقل أحوالها ... »<sup>(٩٧)</sup> .

وقد تصل السجمات في بعض مكاتباتهم الى احدى عشرة سجمة مثل ما جاء في رسالة لابي الحسين بن عياش عن أمير المؤمنين أبي يعقوب في فتنة غمارة ومقتل سبيع بن متحفاد . منها « ... مواقف خيبرته وندمه ، كما ان من صدق في الاعتلاق بحبله والتمسك بعصمه ، وركن الى ذراه وروى الى حرمة ، فقد أخذ بالوثيق من عهود نعمة ، وارتقى في مرتقى فوزه في سببه المتين وسلمه ، ونصلي على محمد رسوله ونبيه الذي ابتعته بباهر حكمه ، ومعجز كلمه ، فهدى الى نهج الحق وأمه ، ودل على سحنه ولقمه ، وأثار برسالته الجامعة ما غطى من غياهب الضلال وظلمه ، وأبلغها حنيفية . سمحة الى عرب الانام وعجمه ... »<sup>(٩٨)</sup> ويعدا يأتي بسجعتين مختلفتين ثم يعود الى السجمة السابقة نفسها لياتي بثمان متتاليات منها . والملاحظ ان سجماتهم لا تأخذ على العموم توازناً ولا تناسقاً في عدد مفرداتها وفي أحوالها وانما تتفاوت وتتباين بين سجمة وأخرى .

ومن الملاحظ ان الكاتب ابا عبد الله محمد بن عبد العزيز بن عياش قد استخدم الطريقة السابقة نفسها في احدى رسائله ، وذلك بان يأتي بمجموعة جمل ذات سجمة واحدة ثم يأتي بجملتين بسجمة مفردة ليعود بعدهما الى

سجمته الاولى فيبنى عليها عدة جمل قد تزيد من العدد الاول او تنقص ثم يغير النظام بجملتين متوافقتين في سجمتهما ولكنهما مغايرتين لما قبلهما وما بعدهما ، ويكرر سجمته الاولى التي بدأ الرسالة بها ... وهكذا ... ومثاله قوله في مقدمة رسالة كتبها عن الامين محمد الناصر الموحي « الحمد لله فاتح الاعلاق ، ومانح الاعلاق ، ممد هذه الدعوة الامامية من السبع الطباق ، وناصرها في البحار المرتجة الغوارب النازحة الافاق ، الواحد الذي فطر هذه العصابة على التقاقر في اعزاز دينه والاتفاق ، وأغناهم في كل موطن ومازق طعن وضرب عن السمر العوالي والبيض الرقاق ، والصلاة على سيدنا محمد نبيه ورسوله الناشيء في أشرف المناسبات وأكرم الاعراق ، المنبعت لتغيير السنة الجاهلية ولتنعيم مكارم الاخلاق »<sup>(٩٩)</sup> ويعد هذه السجمات القافية يأتي الكاتب بجملتين على سجمة مفارقة لما سبق فيقول « المصطفى على حين فترة من الرسالة ، وعموم من الجهالة والضلالة » ويعدا يعود الى سجمته القافية السابقة ، فيكمل كلامه بقوله « بالايات الساطعة الوضوح النيرة الاشراق ، الداعي الى الله بالمواعظ المستولية على القلوب والسيوف المستعلية على الاعناق ... الخ » وهكذا يستمر الكاتب الى ما شاءت له قريحته ثم يغير سجمته بسجمة مزدوجة لتغيير النبوة وإبعاد الملل الذي قد يولده في نفسه او نفس السامع كثرة تكرار السجع على صوت واحد وحرف واحد .

وفي رسالة أخرى له اتبع أسلوباً آخر في طريقة صياغة الرسالة حيث يعتمد سجمة معينة تكون هي الام او العمود الفقري في هيكل الرسالة ، وتنضوي داخل كل سجمة سجمتان فرعيتان ، وبذلك يخلق الكاتب تسجيماً داخلياً ضمن التسجيع العام للرسالة ، ولكن هذا الاسلوب ليس هو الترتيب الذي أشار اليه الاقدمون لانه يختلف عنه في طريقته<sup>(١٠٠)</sup> . من نماذجه رسالة كتبها ابو عبد الله محمد بن عبد العزيز بن عياش عن الأمير محمد الناصر الموحي يقول فيها « الحمد لله الحق بكلماته ، ومبطل الباطل برغم دعائه ، وناصر هذا الحزب في حركاته وسكناته ، ومظهره في مأم يؤمّه ، وشعبي يلمّه ، على عداته ، ومنجده على كل منوي قريب او قصي ، بصالح عداته ، الواحد الذي قرن النصر المؤزر ، والفتح السيسر ، بهزماته ... الخ »<sup>(١٠١)</sup> ، فقد كانت سجمته الام مبنية على حرف الهاء المسبوق بالتاء والالف ، ولكنه وفي رغبة منه في زيادة الجذب الموسيقي الذي تولده الاصوات المتناسقة المنبعثة عن



السجع أوجد أصواتاً جديدة وجرساً اضافياً بما أوجده من سجمات داخلية هي في النص السابق تتكون من المفردات : يوفه ... يلمه ، مئوي قصي ، المؤزر ، الميسر .

وهذا اللون من النثر المسجوع لا يخلو من تصنع وتكلف تبعده عن السلاسة والانسيابية .

ويخلو لبعض الكتاب أن يظهر مقدرته اللغوية فيتعمد الاتيان بسجمات ملتزمة بأكثر من حرف وهو ما يسمى في الشعر « لزوم ما يلزم » ، منه ما جاء في رسالة أبي عقيل عطية بن عطية التي كتبها عن أمير المؤمنين عبد المؤمن بن علي إذ يقول فيها ... « وهم يتقدمون من أصرارهم ، ويتوسلون بخلوص إعلانهم وإسرارهم ، ويصرحون بأن ما سلف من سلف ، ليس من إعمارهم ، ... ثم صدروا على بركة الله وقد ظفر بالرحمة آئبهم وتائبهم ، وشكرت مواقع النعمة السنتهم وحقائبهم »<sup>(١٢)</sup> ومن رسائلهم في إضفاء بهاء وجمالية على نثرهم تطعيمه بالمحسنات البلاغية ، والبهارات اللفظية التي تخلق تناغمات صوتية ، أو تناسقات في مقاطع الكلام ، أو اشارات في ذات القارئ أو السامع تخلقها وتحفزها ما تولده المفردات من صور وتشبيهات واستعارات يكون للجناس والطباق والتشبيه وغيرها من أساليب بلاغية معروفة قسط واف في بنائها وتشكيلها ... وبما أن نوق العصر آنذاك كان يطرب لمثل ذلك ، ويعجب به ، فقد أعطى النثر والكتاب هذا الجانب أهمية خاصة وعناية ملحوظة في أساليبهم ، فلا تكاد رسالة من رسائلهم تفتقر إلى تلك الألوان أو تخلو من تلك الاصباغ والمجملات البيانية والبديعية . وإن استخدامهم بمقدار وحسب مقتضى الحال يكون جميلاً ورائعاً ، ولقد أكد ذلك الدكتور ابن شريفة وهو بصدد الحديث عن خصائص نثر أبي المطرف بن عميرة حيث قال « أن خصائص نثره هي على العموم الخصائص ذاتها التي عرفت في النثر الفني منذ القرن الرابع الهجري وظلت تتطور وتتمدد بعد ذلك ، وهي خصائص تقوم على السجع والجناس بمختلف أشكاله وعلى باقي ضروب البديع والوانه »<sup>(١٣)</sup> .

ومن أمثلة تلكية نثرهم بالمناصر البلاغية ، وتحسين جرسه وصوره وشكليته قطعة نستلها من رسالة أبي عبد الله محمد بن عبد العزيز بن عياش من أمير المؤمنين إلى الطلبة والاشياخ « ... وعند ذلك تحرك الموحدون على ما جاءت به السنة الحنيفية من الأعداد والارهاب ، عالمين بأن لا عدة ولا مدة ولا قول ولا صول الا بما يفيض عليهم من خزائن رحمة

ربهم العزيز الوهاب ، عالذين بالله من الاعجاب بأن يركبوا له طرفاً جامعاً ويقدوا إليه طرفاً طامحاً »<sup>(١٤)</sup> ... فالعبارات السابقة تتزين بما ذكرناه من محسنات بديعية بيانية وسجعية ، تحقق لها شيئاً من الجمالية والرونق ، ومن أمثلة استخدامهم للجناس والطباق بكثرة ما جاء في رسالة خلف الغافقي القيتوري عن أبي القاسم العزفي إلى أبي اسحاق الموحدى نقتبس منها العبارات التالية في الغرض المذكور « ... والبركات الكفية لبند الاسلام بالنظم ، ولشفت الانام باللم ، والنظر الجميل الذي يفرغ له فيطل غرب مزعج الفرع ، ويصرف صرف مذهب الفم ... وبحسب هذه المقدمات التي صرحوا بها وأشاروا ، وشادوا على أصدق الوفاء وأوفى الصق ما منها شادوا ، ... وعكس على من رآه ورماء من الأعداء رومه وروايته ... ومرمي مرموم من مشرك أو شرمه في الأجلاب عليه معه مشترك »<sup>(١٥)</sup> .

٤ . ومن خواص نثر الموحدين الرسمي ميله إلى « الاسهاب والتطويل على عكس ما نرى في الرسائل المرابطية »<sup>(١٦)</sup> ، وعند الرجوع إلى رسائلهم الديوانية نتأكد لدينا هذه الخاصية ، ويتضح ذلك أكثر في رسائل الخلفاء إلى الرعية عندما يكون موضوعها في مجالات الإصلاح والنصيحة والدعوة إلى الالتزام بشريعة الاسلام أو المحافظة على القوانين وتنفيذها . وغير ذلك من توجيهات وتعليمات تصدرها مراكز السلطة<sup>(١٧)</sup> وبالمقابل فأننا نجد رسالة أميرية تميزت بالقصر والإيجاز البلاغي الجميل ، فلم تزد عن سطرين هما عبارة عن تظهير لرسالة وردت إلى المركز من الفونسو الثامن ملك قشتالة إلى أمير المؤمنين المنصور التي تضمنت سخرية واستخفافاً بالموحدين ، فاثارت حفيظتهم ودفعتهم إلى الجهاد لرد كيد المعتدين . فكانت موقعة الأرك التي انتصر فيها المسلمون<sup>(١٨)</sup> ، أما الجواب فكان - كما قلنا - تظهيراً للرسالة مختصراً ولكنه بليغ محكم ، إذ أجاب عليه ابن المنصور الأمير محمد الناصر ما نصه « قال الله العظيم : ارجع اليهم فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها ، ولنخرجهم منها أئلة وهم صاغرون ، الجواب ما ترى لا ما تسمع »<sup>(١٩)</sup> .

فمقتضى الحال ، وطبيعة الظرف ، وأسلوب التحدي والتناول التنبهت بها الرسالة كل ذلك فرض نوع الجواب وطريقته ورسمه ، فكان جواباً موفقاً صادقاً معبراً عما جاشت به الصدور وتزاحمت به المشاعر .

١. القلقشندي : صبح الاعشى ( تحقيق محمد حسين شمس الدين ) ١ / ١٣٥ دار الكتب العلمية بيروت ١٩٨٧ .
٢. نفسه .
٣. الصياصي : الحصون .
٤. القلقشندي : صبح الاعشى ١ / ٨٧ نص منقول عن مقامات الحريري .
٥. انظر : نفسه ١ / ١٣٩ وما بعدها .
٦. الاخرق : هو الاحمق .
٧. القلقشندي : صبح الاعشى ١ / ١٣٩ - ١٤١ .
٨. ١. لافي بروفانسال : مجموع رسائل موحدة من انشاء الدولة المؤمنية ص ٩٥ وما بعدها . المطبعة الاقتصادية - الرياض ١٩٤١ .
٩. القلقشندي : صبح الاعشى ( ٣١ / ٧ ) ٣١ / ٧ .
١٠. انظر : نفسه / هامش ٣١ / ٧ .
١١. ذكر الدكتور عبد الهادي التازي في هامش كتاب « المن بالامامة » أن الموحدين اتفقوا على وضع علامة « الحمد لله وحده » منذ شهر رمضان ٥٦١ هـ ، وذلك على ما يقول ابن خلدون اقتداء بالامام : هامش صفحة ٧٨ .
١٢. عبد الملك بن صاحب الصلاة : المن بالامامة ( تحقيق الدكتور عبد الهادي التازي ص ٢٢٥ ، ط ٣ / دار الغرب الاسلامي بيروت ، لبنان ١٩٨٧ .
١٣. اندوجر : هي بلدة أندلسية تقع في شمال قرطبة على نهر الوادي الكبير ، وبالإسبانية ANDUJAR ( انظر : ابن الخطيب : الاحاطة هامش ١ / ٤٢٢ ) .
١٤. لسان الدين ابن الخطيب : الاحاطة في اخبار غرناطة ( تحقيق محمد عبد الله عنان ) ١ / ٤٢٢ طبعة الخانجي - القاهرة ١٩٧٣ .
١٥. القلقشندي : صبح الاعشى ٣٤ / ٧ .
١٦. نفسه ٣٧ / ٧ ، وانظر النموذج الذي ذكره القلقشندي لهذا النوع من المكاتبات في الصفحة نفسها .
١٧. ١. لافي بروفانسال : مجموع رسائل موحدة ص ٩٣ .
١٨. نفسه ٢٤١ .
١٩. عبد الواحد المراكشي : الموجب في تلخيص اخبار المغرب ( تحقيق محمد سعيد العريان ومحمد العربي الملمي ) ص ٢٢٥ ، مطبعة الاستقامة بالقاهرة ط ١ ١٩٤٩ م - ١٣٦٨ هـ ، ابن صاحب الصلاة : المن بالامامة ص ٧٢ ، ٧٦ .
٢٠. ابن عذارى المراكشي : البيان المغرب - قسم الموحدين - ( تحقيق الاساتذة محمد ابراهيم الكتاني ، محمد بن تاويت ، محمد زنبير ، عبد القادر زمامة ) ص ١١٥ ط ١ / دار
- الغرب الاسلامي - بيروت ١٩٨٥ ، ١٤٠٦ هـ .
٢١. نفسه ١١٥ ، ١١٦ .
٢٢. المقرئ : نفع الطيب ( تحقيق د . احسان عباس ) ٥ / ١٨٧ ، ط . دار صادر بيروت ١٩٦٨ ، ١٣٨٨ هـ .
٢٣. نفسه .
٢٤. انظر : خلف الغافلي القيتوري : رسائل ديوانية من سبته في المهدي المزني ( تحقيق الدكتور محمد الحبيب الهيلة ) ص ٤٨ .
٢٥. نفسه ص ١٠٩ .
٢٦. نفسه ، ولم يذكر الاسم هنا في الاصل ، ويبدو ان الناسخ اسقطه عمداً ، ولكن الرسالة ، وحسبما هو معروف من أصل الكتاب انها مرسلة من قبل ابي القاسم محمد بن احمد المزني ملك سبته . وانظر رسالة اخرى مماثلة لها في رسومها ، ذكر فيها اسم مرسلها كاملاً ، في كتاب ابن صاحب الصلاة : المن بالامامة ص ٣٠٤ .
٢٧. ابن صاحب الصلاة : المن بالامامة ٢٤٤ ، ص ٢٧٧ .
٢٨. هو أبو العباس أحمد بن محمد بن أحمد الرعيثي الاشبيلي ، كان على صلة بالموحدين ، وقد توفي أواخر سنة ٦٠٤ هـ ، ( انظر : المن بالامامة هامش صفحة ٢٥٩ ) .
٢٩. ابن صاحب الصلاة : المن بالامامة ٢٥٩ .
٣٠. نفسه ٢٠١ .
٣١. ابن محشرة : هو أبو الفضل جعفر بن محمد بن علي بن طاهر بن تميم القيسي من اهل بجاية ، وكان كاتباً لعبد المؤمن بن علي في مراكش ، ولد بحدود سنة ٥٤١ هـ ، وتوفي سنة ٥٩٨ هـ ( انظر :
٣٢. ١ - نفسه ص ١٥٨ لافي بروفانسال : مجموع رسائل موحدة ١٥٨ .
٣٣. المقرئ : النفع ٢ / ٣٦٢ . وانظر مثال آخر في : القيتوري : رسائل ديوانية ص ١١٥ .
٣٤. المراكشي : البيان المغرب - قسم الموحدين - ص ٢٧١ .
٣٥. ابن صاحب الصلاة ، المن بالامامة ٢٦٣ .
٣٦. محمد بن ابراهيم بن خيرة الموعيني أبو القاسم من اهل قرطبة وسكن اشبيلية ، وله توالييف ، توفي نحو سنة ٥٧٠ هـ ( انظر : ابن صاحب الصلاة : المن بالامامة ، هامش صفحة ٢٢٤ ) .
٣٧. ابن صاحب الصلاة : المن بالامامة ٢٢٤ .
٣٨. القلقشندي : صبح الاعشى ٣٠ / ٣١ .
٣٩. البشير المجذوب : حول مفهوم النثر الفني ص ١٤ الدار العربية للكتاب تونس ١٩٨٢ .

٤٠. د. شوقي ضوف : الفن ومذاهبه في النثر العربي ص ٢٣٧ ط ٤ دار المعارف بمصر ١٩٦٥ .
٤١. محمد بن شريفة : أبو المطرف أحمد بن عميرة المخزومي ص ١٨٠ منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي - الرياض ١٩٦٦ .
٤٢. نفسه ١٨١ .
٤٣. انظر : د. حسين نصار ، نشأة الكتابة ص ٩٧ ، ط ٢ / ١٩٦٦ مكتبة النهضة المصرية .
٤٤. | . ليفي بروفنسال : مجموع رسائل موحدية ١٢ .
٤٥. المراكشي : البيان المغرب . قسم الموحدين ص ٢٦٤ .
٤٦. القلقشندي : صبح الاعشى ( تحقيق د. يوسف علي طويل ) ٢٩٦ / ٦ .
٤٧. نفسه ٢٩٥ / ٦ .
٤٨. ابن صاحب الصلاة : المن بالامامة ٧٣ .
٤٩. نفسه ٧٦ .
٥٠. نفسه ٨٠ .
٥١. انظر الرسالة في : المقرئ : النسخ ٣٦٢ / ٢ وما بعدها .
٥٢. نفسه ٣٦٤ / ٢ .
٥٣. انظر الرسالة في : نفسه ١٨٤ / ٥ ، ابن الخطيب : الاحاطة ٢٦٧ / ١ ط ٢ القاهرة ١٩٧٣ .
٥٤. ابن سعيد المغربي : القدح المملئ ( تحقيق ابراهيم الابياري ) ص ٥٠ ط ٢ . دار الكتب الاسلامية ٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م .
٥٥. ابن الخطيب : الاحاطة ٤٨٦ / ٢ .
٥٦. ابن الابار : اعتاب الكتاب ( تحقيق الدكتور صالح الاشر ص ٢٢٧ طبعه مجمع اللغة العربية بدمشق ١٩٦١ ، المقرئ : النسخ ١٨٧ / ٥ .
٥٧. ابن صاحب الصلاة : المن بالامامة ٧٨ .
٥٨. نفسه ٢٣٤ .
٥٩. | . ليفي بروفنسال : مجموع رسائل موحدية ٢٤١ .
٦٠. انظر : ابن شريفة : أبو المطرف ٢١٩ .
٦١. | . ليفي بروفنسال : مجموع رسائل موحدية ٢٤٨ - ٢٤٩ .
٦١. نفسه ٨٤ .
٦٢. ابن شريفة : أبو المطرف ٢١٨ .
٦٤. | . ليفي بروفنسال : مجموع رسائل موحدية ٢٣١ .
٦٥. انظر الرسالة في : القبتوري : رسائل ديوانية ص ١١٥ - ١٢١ .
٦٦. ابن شريفة : أبو المطرف ١٨١ .
٦٧. انظر مثلاً : ابن القطان : نظم الجمان ( تحقيق الدكتور محمود علي مكي - الرياض ص ١٥٠ - ١٦٧ ، رسالة طويلة لابن عطية اورد فيها اطاراً عاماً لسياسة الدولة وأوامرها وتوصياتها وتوجيهاتها لاهتاء الاندلس .
- وكذلك : | . ليفي بروفنسال : مجموع رسائل موحدية ١٢٦ - ١٣٨ في الغرض نفسه .
٦٨. انظر : علي ابن أبي زرع : الانيس المطرب ص ٢٣٠ وما بعدها طبعه دار المنصور - الرياض ١٩٧٣ .
٦٩. نفسه ٢٢١ والآية من سورة النمل رقم ٣٧ .

## المصادر والمراجع

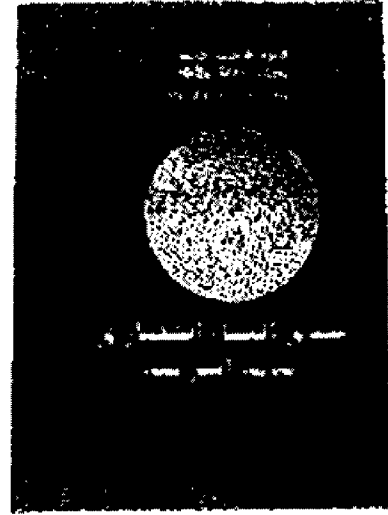
١. ابن الابار : أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن القضاعي ( ت ٦٥٨ هـ ) .
- اعتاب الكتاب : تحقيق الدكتور صالح الاشر بعة مجمع اللغة العربية بدمشق ١٩٦١ .
- ١٩٧٣ . المنسوب خطأ لابن أبي زرع
٢. ابن الخطيب : لسان الدين محمد بن عبد الله بن سعيد التلمساني ( ت ٧٧٦ هـ ) : الاحاطة في اخبار غرناطة ، تحقيق محمد عبد الله عثمان ، طبعة الخانجي - القاهرة ١٩٧٣ .
٣. ابن سعيد المغربي : أبو الحسن علي بن موسى بن سعيد ( ت ٦٨٥ هـ ) اختصار القدح المملئ : تحقيق ابراهيم الابياري ط ٢ دار الكتب الاسلامية ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م .
٤. ابن صاحب الصلاة عبد الملك : المن بالامامة : تحقيق الدكتور
١. ابن الهادي التازي ، دار الغرب الاسلامي بيروت - لبنان ١٩٨٧ .
- ٥ - ابن عبد الرحيم ، أبو محمد صالح : الانيس المطرب ، مطبعة دار المنصور للطباعة - الرياض ١٩٤٣ ، ونسب للكتاب خطأ إلى ابن أبي زرع
٦. ابن عذاري المراكشي : أبو العباس أحمد بن محمد ( كان موجوداً سنة ٧٠٦ هـ ) : البيان المغرب في اخبار ملوك الاندلس والمغرب ، قسم الموحدين - تحقيق الاساتذة ( محمد ابراهيم الكتاني ، محمد بن تاويت محمد زنبير ، عبد القادر زمامة ) دار المغرب الاسلامي - بيروت ١٩٨٥ - ١٤٠٦ هـ .
٧. ابن القطان : نظم الجمان ( جزء منه ) تحقيق الدكتور محمود علي مكي - الرياض .
٨. | . ليفي بروفنسال ، مجموع رسائل موحدية من انشاء الدولة

- ٤٦
- www.attaweel.com



والمؤمنة ، المطبعة الاقتصادية — الرياض ١٩٤١ .  
 ٩ . البشير المجذوب : حول مفهوم النثر الفني ، الدار العربية للكتاب — تونس ١٩٨٢ .  
 ١٠ . حسين نصار : نشأة الكتابة الفنية ، ط ٢ / مكتبة النهضة المصرية ١٩٦٦ .  
 ١١ . شوقي ضيف / الفن ومذاهبه في النثر العربي ، ط ٤ / دار المعارف بمصر ١٩٦٥ .  
 ١٢ . القبتوري : خلف الدافقي : رسائل ديوانية من سبتة في المهد المزلي ، تحقيق محمد الحبيب الهيلة ، المطبعة الملكية ، الرياض ١٩٧٩ — ١٣٩٩ هـ .  
 ١٣ . القلقشندي : أبو العباس أحمد بن علي بن أحمد ( ت ٨٢١ هـ ) ، صبح الاعشى في صناعة الانشا / الجزء الاول والسابع ، تحقيق محمد حسين شمس الدين ، طبعة دار الكتب العلمية / بيروت ١٩٨٧ ، الجزء السادس : تحقيق الدكتور يوسف علي الطويل .  
 ١٤ . محمد بن شريفة : أبو المطرف أحمد بن عميرة المخزومي ، منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي — الرياض ١٩٦٦ .  
 ١٥ . المراكشي : عبد الواحد بن علي ( ت ٦٤٧ هـ ) / الممجب في تلخيص اخبار المغرب / تحقيق محمد سعيد المريان ومحمد العربي العلمي .  
 مطبعة الاستقامة بالقاهرة ١٩٤٩ م — ١٣٦٨ هـ .  
 ١٦ . المقرئ : أحمد بن محمد التلمساني ( ت ١٠٤١ هـ ) ، نلح الطيب : تحقيق الدكتور احسان عباس ، بيروت ، دار صادر ١٩٦٨ .

• • • • •



صدر من دار الشؤون الثقافية العامة

# الجهاد في خطابة صدر الأسلام

بسم الله الرحمن الرحيم

ناهي ابراهيم العبيدي

الجامعة التكنولوجية - هندسة البناء والانشاءات

## المقدمة :

موضوع هذا البحث هو « الجهاد في خطابة صدر الاسلام » وتعني به جهاد الكلمة المؤمنة الصادقة المؤثرة في النفس التي صدحت بها حناجر أولئك الرجال العظام في ميادين الجهاد إبان غزوات الرسول ( ﷺ ) ، وحروب الرنة ، والفتوحات الاسلامية . تلك الكلمة التي عبّر فيها الخطباء المجاهدون عن انتمائهم الحقيقي الى الاسلام وايمانهم القوي به ، والتضحية في سبيله . ويأتي في المقام الاول منهم النبي محمد ( ﷺ ) ، وخلفاؤه رضوان الله عليهم ، والقادة والامراء والمقاتلون .

لقد كانت الخطابة يومذاك وسيلة المجاهدين في استنهاض الهمم والدفاع عن الدين ، وإرهاب الاعداء ، وجمع كلمة المؤمنين ، بل كانت بحق عماداً وسنداً للرسالة التي آمنوا بها ، وسبباً من أقوى الاسباب في تحقيق اهدافهم العظيمة وغاياتهم النبيلة ، لذلك فإن الحديث عن أثر خطبة الجهاد في عصر الرسالة هو إبراز لأهمية الخطابة ، وتأكيد لأثرها في حث المؤمنين الصابرين من أبناء شعبنا وأمتنا على مواصلة الجهاد ضد قوى الشرك والضلال التي شنت عدوانها اللئيم على قطرنا المجاهد ، وتسمى الآن بكل الوسائل الى خلخلة الإيمان وإضعافه في نفوس المجاهدين ، ومنهم من تحقيق رسالتهم الانسانية في الحياة ، التي استلهموا معانيها ومبادئها من رسالة الاسلام وقيمه السمحاء .

لقد حان الوقت لأن تعيش أمتنا العربية عيشة كريمة كغيرها من الأمم ، ولأسبيل لها الى ذلك إلا بالجهاد العملي الذي أساسه الرغبة في التضحية والحب في الاستشهاد . من هنا جاء هذا البحث ليقيم للمجاهدين المؤمنين صورة ذلك الجهاد العملي الذي مارسه المجاهدون بسيوفهم وألسنتهم

## في عصر الرسالة .

وقد اشتمل البحث على تمهيد وثلاثة مباحث ، تحدثت في التمهيد عن الخطابة في العصرين الجاهلي والاسلامي : نشأتها ، وانواعها ، وبواعي تطورها وازدهارها في الاسلام . وتكلمت في المبحث الاول عن الجهاد في خطب معارك الاسلام الاولى ( في غزوات الرسول ( ﷺ ) ، وفي حروب الردة ) ثم تحدثت في المبحث الثاني عن الجهاد في خطب الفتوحات الاسلامية ( في فتوحات الجبهة الشرقية ، وفي فتوحات الجبهة الغربية ) أما المبحث الثالث فتحدثت فيه عن الخصائص الفنية لخطب الجهاد في صدر الاسلام . أرجو أن أكون قد وفقت في كتابة هذا البحث ، وأسأل الله أن يوفقنا ، ويجنبنا الخطأ ، إنه نعم المولى ونعم النصير .

## التمهيد

### ١ - الخطابة في العصر الجاهلي

لأربب أن العرب عرفوا فن الخطابة قبل الاسلام بزمان طويل ، إذ كانت الحياة العامة في ذلك العصر تستدعي وجود هذا الفن . فالحياة القبلية وما تستتبعه من منازعات وخصومات وحروب ، وما تؤدي اليه هذه الحروب أحياناً من محاولات لاصلاح ذات البين ونشر السلم بين القبائل المتنازعة . واضطراب الحياة الدينية وما رافق هذا الاضطراب من محاولات للإرشاد والدعوة لنيل عبادة الأوثان . والحياة السياسية وما كانت تفرضه على العرب من صلات سلمية أو حربية بالامم المجاورة لهم ، وصلات افراد المجتمع القبلي بعضهم ببعض ، من تزواج وتناظر وتفاخر ، وما فطر عليه العرب من فصاحة ولسن وحضور بديهة - كل اولئك أمور كانت تستدعي معرفة العرب بالخطابة ، بل أن تصيب خطأ ما من الرقي<sup>(١)</sup> .

وبالرغم من أن العرب قد عرفوا الخطابة قبل الاسلام ، وكان لهم نصيب وافر منها ، إلا أنهم كانوا يقدمون الشاعر على الخطيب من جهة أن الشعر أعلق بالاذهان وأسرع تقلباً في البلاد ، فهو أرفع صوتاً بمفاخرهم ، وأكثر إذاعة لمتالب أعدائهم . وتقديماً للعرب للشاعر على الخطيب ، أو إقبالهم على حفظ الشعر أكثر من إقبالهم على حفظ الخطب ، كان السبب في قلة ما وصل إلينا من خطبهم في الجاهلية<sup>(١)</sup> ولا يعني هذا الإقبال على حفظ الشعر بكون النثر أن العرب لم يعمتوا بخطبهم ونثرهم ، بل على العكس من ذلك إنهم اعتدوا بهما غاية الاعتناء . وهذا ماوضحه الجاحظ حين قال : « ما تكلمت به العرب من جيد المتنور أكثر مما تكلمت به العرب من جيد الموزون ، فلم يحفظ من المتنور عشرة ، ولا ضاع من الموزون عشرة »<sup>(٢)</sup> ولهذا ضاع قدر كبير من خطبهم قبل عصر التدوين « لأن الخطيب إنما كان يخطب في المقام الذي يقوم فيه في مشافهة الملوك ، أو الحالات ، أو في الإصلاح بين العشائر ، أو خطبة النكاح ، فإذا انقضى المقام خُفِظَ مَنْ خُفِظَ ، ونُسِيَ مَنْ نُسِيَ ، بخلاف الشعر »<sup>(٣)</sup> الذي ضاع منه قدر قليل . وطبيعي أن يبقى الشعر ويتفوق في بقائه على النثر ، لجريانه على ألسنة الناس ، وسهولة حفظه بسبب وزنه وقافيته<sup>(٤)</sup> .

ويمكن أن نضيف أن شيوع الأمية ، وبعد المسافة بين العصر الذي قيلت فيه الخطابة وعصر تدوينها ، كانت هي الأخرى سبباً في قلة ما وصل إلينا من خطبهم ، ولو كانت العرب أمة كاتبة ، يدونون آثارهم في صحف ، أو ينقشون كغيرهم من أمم التاريخ في الأحجار ، لاستطاع الناس أن يجدوا من آثار بلاغتهم في المساجلة بالخطب ، والمناقلة بالحوار شيئاً كثيراً ، غير أنك لاتزال تعد كثيراً من أسماء خطبائهم وساداتهم ، ثم لاتجد لهم أو لأكثرهم شيئاً من القول مذكوراً<sup>(٥)</sup> .

ومن ألوان الخطابة التي كانت معروفة قبل الاسلام :

١ - المنافرات والمفاخرات :

وقد روت لنا كتب الادب جانباً من هذه المنافرات ، كمنافرة علقمة بن علاثة وعامر بن الطفيل العامريين ، وكان الحكم بينهما هرم بن قطبة الفزاري ، وكان المتنافران يتنافسان على الرياسة في بني عامر ، ويؤمن كل منهما أنه أولى من صاحبه ، فيعند مآثره ومناقبه ، يقول عامر : « والله لانا أكرم منك حسباً ، وأثبت منك نسباً ، وأطول منك قصباً » فقال علقمة : لانا خير منك ليلاً ونهاراً ، ثم تنافرا آخر الأمر الى هرم بن قطبة ، فسوى بينهما بأن جعلهما كركبتي البعير ،

وحقن بذلك دماء القوم<sup>(٦)</sup> .

٢ - خطب الحث على القتال أو على الأخذ بالتار ، وأشهرها خطبة هاني بن مسعود الشيباني في قومه يحرضهم على قتال الفرس يوم ذي قار<sup>(٧)</sup> .

٣ - خطب إصلاح ذات البين والدعوة الى الصلح وحقن الدماء :

ومن أشهرها خطبة قيس بن خازجة التي قالها إثر حرب داحس والغبراء ، وقد قيل إنه ظل يخطب الى الليل ، وقد سماها العرب « العذراء » لأنه كان أبا عذراً<sup>(٨)</sup> . ولم تصل إلينا هذه الخطبة ، شأنها شأن كثير من الخطب المشهورة .

٤ - خطب الإعلان أو الزواج .

وكان يتولاها عادة شريف من رهن الرجل الراغب في الزواج ، فيخطب معداً مأثور ذلك الرجل ، ويجيبه رجل من رهن المرأة بمثل مقاله . وكتب الادب والسيرة تروي لنا خطبة ابي طالب حين اراد الرسول محمد ( ﷺ ) الزواج من السيدة خديجة بنت خويلد ( رضي الله عنها ) . وكان لهذا النوع من الخطب أصول وآداب معينة ، والشئ فيها أن يطيل الخاطب ويقصر المجيب . وقد ذكر الجاحظ صورة خطبة النساء في الجاهلية وهي : « باسمك اللهم ، ذكرك فلانة ، وفلان بها مشغوف ، باسمك اللهم ، لك ماسالت ، ولنا ما أعطيت »<sup>(٩)</sup> .

٥ - خطب الوعظ والارشاد :

وكان يتولاها من له في قومه منزلة الحكيم الناصح المرشد ، ولعل خطبة قس بن ساعدة التي قيل لنا إنه قالها في سوق عكاظ ، وأن الرسول ( ﷺ ) رواها عنه<sup>(١٠)</sup> هي أشهر هذا الضرب .

٦ - خطب المحافل والوفود :

وكانت تلقى عادة في الاسواق والمواسم وفي مجالس الملوك عند وفاة سادة القبائل عليها مفاخرين أو مهنتين أو معزين أو لغير ذلك من الاسباب ، ومن جيد الخطب الحفلية خطبة أكتم بن صيفي التي عرئ بها عمرو بن هند عن أخيه<sup>(١١)</sup> .

٧ - الوصايا :

وهي في الغالب يوجهها الرجل الى آله أو عشيرته عند احساسه بدنو منيته ، ليرشدهم فيها الى الطريق الذي ينبغي أن يسلكوه ، أو الآداب التي ينبغي أن يتحلوا بها . ومن أشهر هذه الوصايا وصية عامر بن الظرب العدواني لبنيه<sup>(١٢)</sup> ، وصية أكتم بن صيفي لقومه<sup>(١٣)</sup> ، وصية أمانة بنت الحارث لابنتها أم اياس<sup>(١٤)</sup> .

٦ - سجع الكهان :



وعرف هذا الضرب من الخطابة الجاهلية بهذا الاسم لالتزامه السجع ، ولأن الذين عرفوا به هم طائفة الكهان الوثنيين في الجاهلية ، وكان الناس يفزعون اليهم ليطلعوهم على أمور الغيب ، ويفسروا لهم أحلامهم ورؤاهم وكثيراً ما كانوا يحتكمون إليهم في المناقرات . وكتب التاريخ تحدثنا عن منافرة هاشم بن عبدمناف وأميه بن عبد شمس ، واحتكامهما الى الكاهن الخزاعي الذي نفر هاشماً على أميه<sup>(١٧)</sup> .

هذا وتذكر لنا كتب الأدب والتاريخ أسماء طائفة كبيرة من الخطباء المشهورين في العصر الجاهلي ، منهم : قس بن ساعدة<sup>(١٨)</sup> هند بنت الخس المعروفة بالزرقاء<sup>(١٩)</sup> ، لقيط بن معيد<sup>(٢٠)</sup> أكتم بن صيفي<sup>(٢١)</sup> ، ضمرة بن ضمرة المجاشعي<sup>(٢٢)</sup> ، حاجب بن ززارة ، قيس بن عاصم<sup>(٢٣)</sup> كعب بن لؤب<sup>(٢٤)</sup> ، عتبة بن ربيعة<sup>(٢٥)</sup> ، هاشم بن عبدمناف<sup>(٢٦)</sup> ، هاني بن مسعود الشيباني<sup>(٢٧)</sup> ، وغيرهم كثيرون ، ولكن جل هؤلاء لم يصل إلينا شيء من خطبهم ، وإن ما وصل إلينا منها يعد قليلاً جداً ، وقد اعتبره بعض الباحثين منتحلاً لايمت الى الجاهليين بصلة<sup>(٢٨)</sup> ، ولكن عدم الاطمئنان الى صحته لايفضي بنا الى انكار وجود الخطابة عند العرب قبل الاسلام .

تلك كانت الخطابة وموضوعاتها في العصر الجاهلي ، فلما جاء الاسلام وأحدث تغييره الهائل في العرب ، كان من الطبيعي ان ينمكس هذا التغيير على الخطابة ، اذ اعتمد عليها في إرساء دعوته اعتماداً يكاد يكون كلياً .

## ٢ - الخطابة في العصر الاسلامي

ولاعجب إذا قلنا ان الخطابة في العصر الاسلامي قد توافر لها من دواعي التطور والازدهار ما لم يتوافر لها مثل في العصر الجاهلي . ويتفق الباحثون على أن الخطابة في هذا العصر قد حققت رقياً وازدهاراً لم يتحقق لها في أي عصر من العصور ، وكان ذلك بسبب عوامل مختلفة<sup>(٢٩)</sup> يمكن اجمالها بالآتي :

### ١ - القرآن الكريم :

منذ أن نزل القرآن وأعجز العرب ببلاغته أصبح معيناً للادباء ، ينهلون منه ويقتبسون ، ويسعون الى محاكاة أسلوبه . وكان أثره في البثر ابرز منه في الشعر . فكذلك نجد أثره في خطابة هذا العصر واضحاً قوياً ، سواء من حيث الأسلوب والصياغة ، أو من حيث الأفكار والمعاني ، أو من حيث الصور والأخيلة . هذا فضلاً عن اقتباس آيات منه ، وتوشيح الخطبة بها ، حتى انهم سمو الخطبة التي لم توشح بالقرآن ،

ولم تزين بالصلاة على النبي ( ﷺ ) بـ « الشوهاء »<sup>(٣٠)</sup> .  
٢ - لقد أضافت احاديث الرسول ( ﷺ ) الى اللغة ثروة من المعاني وثروة من الاساليب التي كانت تعد من النبي ( ﷺ ) ابتداءً وابتكاراً ، مثل قوله ( حمى الوطيس ) وقوله ( مات حتف أنفه ) وقوله ( رويدك رفقاً بالقوارير ) وفضلاً عن ذلك أنها هذبت اللغة تهذيباً قريباً من تهذيب القرآن ، اذ سهل الفاظها ، ورق اساليبها ، وذهب بالحوشي منها ، فكان لكل هذا اثره في الخطابة ، هذا من ناحية . ومن ناحية أخرى أن كثيراً من الخطباء كان يستشهد في خطبه بشيء مما أثر عن الرسول ( ﷺ ) ، تيمناً بقوله ، وتأكيداً على صحة مايدعون .  
٣ - إن العرب ، مع القول بوجود الكتابة بينهم ، كانت الامية شائعة بينهم ، وفي هذه الحال تصبح الخطابة هي الوسيلة الوحيدة لدعوتهم الى الدين الجديد ، واقتناعهم به ، وايصال شرائعه اليهم .

٤ - إن الاسلام عندما جاء أعلى من شأن العقل ، ورفع من قدره ، إذ اتجه الى الاقتناع بالمنطق والحجة ، وجعل هذا شرطاً في صحة العقيدة ، وهو أصل من أصول الدين مكن الخطابة من أن يكون لها دور بارز يتراجع معه الشعر الذي يخاطب العاطفة لتحل الخطابة محله ، ويفسح لها المجال لمخاطبة العقل حتى يدرك كل ما جاء به الدين من أصول تتصل بالعقيدة .  
٥ - لقد ارتبطت الخطابة بالدين ارتباطاً وثيقاً ، فقد كانت في البداية أداة للدعوة الى الاسلام ، ثم اتخذت بعد ذلك وسيلة للتشريع ورسم الحدود التي تقوم عليها الدولة في الاسلام ، ونظم الحياة في المجتمع الجديد .

٦ - إن المجتمع العربي بعد الاسلام نال حظاً من الرقي السياسي والاجتماعي ، فقد أصبحت تلك القبائل التي كانت تتناحر في الجاهلية أمة واحدة ، تخضع لراية واحدة هي الاسلام ، ويقودها قائد واحد هو الرسول ( ﷺ ) ومن بعده خلفاؤه الراشدون ، ( رضي الله عنهم ) ومن ثم دعت الحاجة الى الخطابة لتكون الصلة بين الرعية والنبي ( ﷺ ) وخلفائه ، ثم بين مجتمعات الامصار ، وولاتها ، والجيوش وقادتها .

٧ - إن المواقف التي عاشها المسلمون بعد وفاة الرسول ( ﷺ ) من جدل حول الخلافة ، وارتداد بعض العرب عن الاسلام ، ووقوع الفتنة بين المسلمين بعد مقتل الخليفة عثمان ( رضي الله عنهم ) والخلافات التي ظهرت في زمن الامام علي ( رضي الله عنه ) كل هذه المواقف ادت الى أن تكون للخطابة مجالها الفسيح الذي جعلها ترقى وتزدهر .

٨ - وإذا كانت الاحداث الداخلية كلها عاملاً فعالاً في ازدهار

الخطابة في صدر الاسلام ، فان الفتوح الاسلامية التي اتسع نطاقها في زمن الخليفين عمر وعثمان ( رضي الله عنهما ) والحياة الحضرية الجديدة التي عرفها العرب ، ولقيام حكومة نظامية لها دستورها وانظمتها ، ثم اختلاط العرب بالامم والحضارات الاخرى ، كان لهذا كله اثره في تطور الخطابة في هذا العصر ، واتسامها بسمات جديدة لم تعرفها من قبل . ٩ - ومما اعان أيضاً على تطور الخطابة وازدهارها في هذا العصر نظام الشورى الذي كان سائداً آنذاك ، وهو من أس الحكم الديمقراطي السليم . وقد جاء القرآن الكريم فوضع للمسلمين دستوراً يتبعونه بقوله « وأمرهم شورى بينهم »<sup>(٢١)</sup> وسار الرسول ( ﷺ ) على خطة الشورى ، فكان كثيراً ما يستشير اصحابه فيما يعرض له من الامور العامة ، شأنه يوم أحد ويوم الخندق مثلاً ،<sup>(٢٢)</sup> وكذلك شأن خلقه من بعده ، فعمّر ( رضي الله عنه ) عندما أراد الخروج على رأس جيش لقتال الفرس خطب بالمسلمين واستشارهم في الامر<sup>(٢٣)</sup> .

١٠ - وفضلاً عن ذلك كله ان العرب كانوا اهل لسن وفصاحة ، وكانوا يجيدون القول اعداداً وارتجالاً ، وكانوا بطبعهم قادرين على تصريف وجوه الكلام بصورة تثير الإعجاب ، وتدل على تفتح في الذهن وسلامة في الطبع . والخطابة كما تقوم على الاعداد تقوم على الارتجال ، ومقدرة العرب في الضربين تهيء لها الازدهار والروحي ، وبخاصة حين تنبعث الدواعي وتتعدد الاغراض .

#### موضوعات الخطابة في هذا العصر :

وقبل أن نعرض لموضوعات الخطابة في هذا العصر لابد من الإشارة الى أن الاسلام قد قضى على بعض ضروبها التي كانت معروفة في العصر الجاهلي لزوال دواعيها ، وعدم توافقها مع مبادئه وتعاليمه ، فمن ألوان الخطابة التي قضى عليها الاسلام ( المناظرات والمفاخرات ) لاتصالها بطبيعة الحياة الجاهلية ، والروح القائمة على العصبية القبلية ، والتنافر والتفاخر بالانساب والتنازع بالالقاب . ومع أن هذه المفاخرات قد انقرضت تماماً بمجيء الاسلام ، إلا أنها عادت الى الظهور ، ولكن في صور أخرى ، مثل صور المفاخرات التي كانت تحدث في مجالس الرسول ( ﷺ ) حين كانت تقدم عليه وفود القبائل ، من ذلك مفاخرة بني تميم للرسول ( ﷺ ) حين قدم عليه وفدهم ، وكان خطيبهم ثابت بن قيس بن الشماس وشاعرهم الزبير بن بدر . وانتهت المفاخرة باعتناق وفد تميم للاسلام<sup>(٢٤)</sup> .

ومن الانواع الاخرى التي انقرضت في هذا العصر ( سجع

الكهان ) وذلك لإتصاله بالوثنية التي قضى عليها الاسلام . وقد ظهر في هذا العصر ضرب من السجع قصد به محاكاة القرآن الكريم ، وهو هذا السجع الذي جرى على السنة المتنبئين والدعاة امثال مسيلمة الكذاب وسجاح التميمية<sup>(٢٥)</sup> . أما بشأن موضوعات الخطابة التي ابقاها الاسلام وطورها فهي :

#### ١ - الخطب الدينية :

وقد شملت العقائد ، والدعوة الى الاسلام ، والتشريع بما فيه من تبين الحدود واقامة معالم الحلال والحرام ، والوعظ والارشاد بما فيه من أمر بالمعروف ونهي عن المنكر ، وحث على مكارم الاخلاق ، وتبشير وانذار ، مثل خطبة الرسول ( ﷺ ) بمكة<sup>(٢٦)</sup> عندما نزل قوله تعالى : ( فاصدع بما تؤمر ، وأعرض عن المشركين )<sup>(٢٧)</sup> وموعظته في أول جمعة بالمدينة<sup>(٢٨)</sup> ، وخطبته في فتح مكة<sup>(٢٩)</sup> وخطبته في حجة الوداع<sup>(٣٠)</sup> ، ومثل مواعظ الخلفاء الراشدين والصحابة ( رضي الله عنهم اجمعين ) التي كانوا يقولونها في مناسبات مختلفة . ٢ - خطب الحث على الجهاد :

مثل خطبة رسول ( ﷺ ) يوم بدر الكبرى<sup>(٣١)</sup> ، وخطبة ابي بكر ( رضي الله عنهم ) حين عزم على تنفيذ وصية الرسول ( ﷺ ) بتوجيه الجيوش لفتح الشام<sup>(٣٢)</sup> ، وخطبة عمر ( رضي الله عنهم ) حين نذب الناس لفتح العراق وبلاد فارس<sup>(٣٣)</sup> ، وخطبة الامام علي ( رضي الله عنه ) في أهل الكوفة<sup>(٣٤)</sup> ومثل خطب امراد الجيوش والقواد ورجال الحرب في الممارك التي خاضوها ضد الفرس والروم إبان الفتوحات الاسلامية . هذا وسوف يكون مدار حديثنا في الفصول القادمة على هذا النوع من الخطب إن شاء الله .

٣ - خطب المحافل والوفود : مثل خطبة عطار بن حاجب بين يدي الرسول ( ﷺ )<sup>(٣٥)</sup> وخطبة الاحنف بن قيس بين يدي عمر ( رضي الله عنه )<sup>(٣٦)</sup> .

٤ - خطب السياسة وبيان منهج الحكم : مثل خطب الخلفاء عند توليهم الخلافة<sup>(٣٧)</sup> ، وخطب المهاجرين والانصار في سقيفة بني ساعدة<sup>(٣٨)</sup> .

٥ - المناظرات : مثل المناظرات التي قامت بين الامام علي ( رضي الله عنه ) وانصاره من جانب ، وبين الخوارج من جانب آخر<sup>(٣٩)</sup> .

٦ - خطب الاملاك او النكاح : مثل خطبة بلال التي قالها عندما خطب على امرأة من قريش<sup>(٤٠)</sup> .

٧ - الوصايا : مثل وصية ابي بكر لعمر ( رضي الله عنهما ) حين عهد اليه بالخلافة من بعده<sup>(٤١)</sup> ووصية عمر ( رضي الله عنه )

لسعد بن أبي وقاص حين وجهه الى العراق عند ابتداء امر القادسية (٧٣)، ووصية المثنى بن حارثة الشيباني للمسلمين في يوم البوينة (٧٤).

والآن، وقد عرضنا موضوعات الخطابة الاسلامية وطابعها العام، مقارنة بموضوعاتها قبل الاسلام، ينبغي أن نشير الى أشهر الخطباء العرب في عصر صدر الاسلام، ويأتي في المقدمة منهم مثلهم الاعلى الرسول محمد (ﷺ) وخلفاؤه من بعد، ابو بكر وعمر وعثمان وعلي (رضوان الله عليهم اجمعين) والصحابه الآخرين والقادة الميدانيين، من امثال خالد بن الوليد، وعمر بن العاص، وابو عبيد بن الجراح، ومعاذ بن جبل، والمثنى بن حارثة الشيباني، وثابت بن قيس، ومن النساء عائشة والخنساء، وغيرهم كثيرون. هذا وسوف نقف عند بعض خطبهم في الصفحات القادمة.

## المبحث الاول

### الجهاد في خطب معارك الاسلام الاولى

كتب على المسلمين الجهاد (٧٥)، منذ أن بشر الرسول محمد (ﷺ) بالرسالة الاسلامية، وفي القرآن الكريم آيات كثيرة وصريحة في الدعوة الى الجهاد، من مثل قوله تعالى: (وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ) (٧٦) وقال: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) (٧٧) وقال: (فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا) (٧٨) وقال: (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَالْمُلَظِّفِينَ لَهُمْ وَمَا وَاعَهُمْ جَهَنَّمَ وَنَفْسَ الْمَصِيءِ) (٧٩) قال: (وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ) (٨٠) وقال: (تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ) (٨١) وقال: (وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الَّذِينَ لِلَّهِ فَإِنْ آتَتْهُمُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكُونُوا مِنَ الْغَالِينَ) (٨٢) وقال: (وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَنَّكُمْ أَحْبَابًا) (٨٣) وقال: (وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ) (٨٤) وقال: (وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ) (٨٥) وقال: (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ ضَعْفًا كَانَتْهُمْ بُنْيَانًا مَرْصُوصًا) (٨٦) وقال: (وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) (٨٧) وقال: (وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ) (٨٨) وقال: (أَبْنِ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَبِيرٌ، الَّذِينَ أَخْرَجُوا مِنْ بَنَاتِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ، إِلَّا أَنْ

يَقُولُوا زَيْنًا اللَّهُ) (٨٩) وقال: (انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ) (٩٠) وقال: (وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أحيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ) (٩١) وقال: (وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ) (٩٢).

وانطلاقاً من هذه الايات البيّنات شرع رسولنا الكريم (ﷺ) يخرض المؤمنين على الجهاد في جُل خطبه واحاديثه النبوية. فمن ابي سعيد الخدري، قال: قال رجل: أي الناس أفضل يارسول الله؟ قال: «مؤمن يُجَاهِدُ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ»، قال: ثم من؟ قال: «رَجُلٌ مُقْتَرَلٌ فِي شَعْبٍ مِنَ الشَّعَابِ يُغَبِّدُ رُئُوسَهُ، وَيَدْعُ النَّاسَ مِنْ شَوْءِهِ» (٩٣) عن ابي هريرة قال: قال رسول الله (ﷺ): «والذي نفس محمد بيده لو يَدْعُو أَنْ أَغْزُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَأَقْتُلَ، ثُمَّ أَغْزُوا فَأَقْتُلَ، ثُمَّ أَغْزُوا فَأَقْتُلَ» (٩٤) وعن عبدالله بن عمر ان رسول الله (ﷺ) قال: «رباط يوم خير من صيام شهر وقيامه» (٩٥).

وحين تدعو الايات القرآنية، والسنة النبوية، الى حقيقة الجهاد وضرورته، فهي إنما تدعو الى الخير كله، سواء الجهاد في سبيل الله تعالى أو الجهاد في سبيل الحق والواجب والوطن أو الجهاد في سبيل اصلاح ذات النفوس. ويجب ألا يفهم من فرض الجهاد في سبيل الله، أنه من أجل قتل المشركين والكافرين ظلماً وعدواناً، أو اكراههم على أن يكونوا مسلمين، أو من أجل مطمح في غزو، يراد به التوسع الاقليمي، أو من أجل الحصول على الغنائم، فذلك أبعد مايكون عن رسالة الاسلام التي ماجأت الا لخير الانسانية، ونشر الاخوة والسلام بين الناس جميعاً (٩٦). ويؤكد ذلك قول الله تبارك وتعالى: (لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ) (٩٧).

ومن أجل تسليط الاضواء على الدور الذي لعبته خطب الجهاد في معارك الاسلام الاولى، نبدأ أولاً بغزوات الرسول (ﷺ) ثم ننتقل بعد ذلك الى حروب الردة.

### ١ - في غزوات الرسول (ﷺ)

والى جانب هذه الايات وهذه الاحاديث التي أحالت الصحابة الى أبطال خَلَقُوا للجهاد في سبيل الله، أبطال لا يخشون الموت ولا يرهبونه، وقفت الخطابة في عصر صدر الاسلام تقاصر المسلمين، وتتشد أزهم، وتحثهم على الجهاد حيثما كانوا، فاحتضنها الاسلام وشجعها، واتخذها الرسول (ﷺ) أدواته في نشر دعوته، وعلان مبادئه، وعونه في استنهاض همم المسلمين، وإرهاب المشركين، وهذه الحقيقة



والفعل ، وفي استجابة الانصار لدعوة الرسول ( ﷺ ) ما يشير الى هذا التوجه الصالح حين وقف سعد بن معاف ، بين ايمان الانصار ، او التفاهم حول قائدهم ونبيهم ، فقال :  
« والله لكأنك تريدنا يا رسول الله ! قال : أجل ، قال :  
فقد آمنا بك وصدقناك ، وشهدنا أن ما جئت به هو الحق ،  
وأعطيناك على ذلك عهدنا ومواثيقنا ، على السمع والطاعة  
فامض يا رسول الله لما أردت ، فو الذي بعثك بالحق ، ان  
استعرضت<sup>(٨٢)</sup> بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ، ما خلف  
منا رجل واحد ، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غداً إنا لصبر عند  
الحرب ، صلب عند اللقاء ؛ لعل الله يريك منا ما تقر به عينك ؛  
فسر بنا على بركة الله »<sup>(٨٣)</sup> .

وسر الرسول بقوله ، وتوجه الى القوم ، فقال لهم : « سبروا  
على بركة الله وأبشروا ، فإن قد وعدني إحدى الطائفتين ، والله  
لكاني الان انظر إلى مصارع القوم »<sup>(٨٤)</sup> .

وسار رسول الله ( ﷺ ) مع جنده من المهاجرين  
والانصار حتى نزل بماء بدر ، وأقبلت قريش بصناديدها  
ورجالها في جيش كثيف يبلغ أضعاف جيش المسلمين ، والتقى  
الجمعان ، ونهض النبي ( ﷺ ) الى أصحابه يحرضهم  
ويحثهم ويستنهضهم قائلاً : « والذي نفس محمد بيده ،  
لا يقاتلهم اليوم رجل ، فيقتل صابراً محتسباً ، مقبلاً غير مُؤبر ،  
إلا أدخله الله الجنة »<sup>(٨٥)</sup> .

فاتارت هذه الكلمات حمية عمر بن الحمام الانصاري ،  
وكانت في يده تمرات ياكلهن ، فقال : « بخ بخ<sup>(٨٦)</sup> ، فما بيني  
وبين أن أدخل الجنة ، إلا أن يقتلني هؤلاء ! » ثم قذف التمرات  
من يده ، وأخذ سيفه ، فقاتل القوم حتى قُتل<sup>(٨٧)</sup> وهو يقول :

رُحُصاً إلى الله بغير زاب إلا التقى وعمل المسار  
والصبر في الله على الجهاد وكل زاب غرضة النفاذ  
غير التقى والبر والرُشاي<sup>(٨٨)</sup>

وهجم أصحاب رسول الله ( ﷺ ) على الفئة الضخمة  
الباغية ، يقتلونهم ، ويحتزون رؤوسهم ، ويأسرونهم ، حتى ولوا  
الادبار وهم صاغرون ، وقد قتل من قتل ببئر من أشرف قريش  
ورؤسائهم<sup>(٨٩)</sup> ومضت فلول المشركين تثن من هول المعركة ،  
وارتفع الصياح والعيول والنحيب في كل بيت ، وأجمعت قريش  
أن تعود لحرب محمد وأصحابه ، وما زالت تعد لفلان ، حتى  
خرجت ونزلت بجوار أحد قرب المدينة<sup>(٩٠)</sup> .

ولما علم الرسول ( ﷺ ) باجتماع قريش في أحد لقتاله ،  
جمع أصحابه واستشارهم في الخروج من المدينة لملاقات  
المشركين بعدما قص عليهم رؤيا رآها ، وفيها بقر تذبج ، وكان

تؤكد لها خطب الرسول ( ﷺ ) وخطب أصحابه ( رضوان الله  
عليهم ) في ميادين الجهاد . فيوم تهايا المسلمون لقتال المشركين  
ببدر الكبرى ، خطب النبي محمد ( ﷺ ) يومئذ ، فحمد الله  
وأثنى عليه ، ثم قال وهو يامرهم ، ويرغبهم في الاجر :

« أما بعد ، فإنني أحتكم على ما حثكم الله عليه ، وأنهاكم  
عما نهاكم الله عنه ، فإن الله عظيم شأنه ، يأمر بالحق ،  
ويحب الصلح ، ويعطي على الخير أهله ، على منازلهم عنده ، به  
يذكرون وبه يتفاضلون ، وإنكم قد أصبحتم بمنزل من منازل  
الحق ، لا يقبل الله فيه من أحد إلا ما ابتقى به وجهه . وإن  
الصبر في مواطن البأس مما يفرج الله به الهم ، وينجي به من  
الغم ، وتذكرون به النجاة في الآخرة . فيكم نبي الله يحذركم  
ويأمركم ، فاستحيوا اليوم أن يطلع الله عز وجل على شيء من  
أمركم يمتنكم عليه ، فإن الله يقول : ( لَمَقْتُ اللَّهُ أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ  
أَنْفُسَكُمْ )<sup>(٩١)</sup> أنظروا الى الذي أمركم به من كتابه ، وأراكم من  
آياته ، وأعزكم بعد ذلّة ، فاستمسكوا به يرض رؤىكم في هذه  
المواطن أمراً ، تستوجبوا .. الذي وعدكم به من رحمته  
ومغفرته ، فإن وعده حق وقوله صلب ، وعقابه شديد . وإنما أنا  
وأنتم بالله الحي القيوم ، اليه ألقنا ظهورنا ، وبه اعتصمنا ،  
وعليه توكلنا ، وإليه المصير ، يفر الله لي وللمسلمين »<sup>(٩٢)</sup>

ومضى رسول الله ( ﷺ ) حتى اذا كان ثوئين بدر ، أتاه  
الخبر بمسير قريش لقتاله ، فجمع أصحابه واستشارهم ، هل  
يقدم على حرب قريش ونزالها أو يحجم ؟ فقال أبو بكر الصديق  
( رضي الله عنه ) فقال وأحسن ، ثم قام عمر ( رضي الله عنه  
فقال وأحسن ، ثم قال :

« يا رسول الله ، إنها قريش وعزها ، والله ما ذلت منذ  
عزت ، ولا آمنت منذ كفرت ، والله لا تسلم عزها ابداً ، ولتقاتلنك  
فاتهب لذلك أهبت ، واعد عدته »<sup>(٩٣)</sup> .

ثم قام المقداد بن عمرو أحد المهاجرين ، فقال : « يا رسول  
الله ، امض لما أراك الله ، فنحن معك ، والله لا نقول لك كما  
قالت بنو اسرائيل لموسى : ( اذهب أنت ووزيك فقاتلا ، إنا ههنا  
قاعذون )<sup>(٩٤)</sup> . ولكن اذهب أنت ووزيك فقاتلا ، إنا معكما  
مقاتلون ، فو الذي بعثك بالحق ، لو سرت بنا الى برك الغمار  
لجالدنا معك من بوله ، حتى تبلفه » فقال له رسول الله  
( ﷺ ) خيراً ، ودعا له به<sup>(٩٥)</sup> .

وتمثلت الخطب بكثير من المعاني التي كانت تدور على  
اللسنة المجاهدين في ذلك اليوم ، وهم يعتبرون عن التزامهم  
بالدفاع عن الرسالة ، وتحقيق المطامح المشروعة التي جاءت  
بها ، مؤكدين صلابة العقيدة التي كانت تتجسّد في القول

وأيه ألا يخرج من المدينة لهذه الرؤيا ، فابى قوم من الصحابة إلا الخروج منهم حمزة بن عبدالمطلب ، وسعد بن عباد ، والثَّعْمَانُ بن مالك بن ثَعْلَبَةَ ، وغيرهم . وقد وقف بعضهم خطيباً بين يدي رسول الله ( ﷺ ) ، ليعلم عن رغبته الملحة في قتال المشركين لينال إحدى الحسنيين ، فقال مالك بن سنان أبو أبي سعيد الخدري :

« يارسول الله ، نحن والله بين إحدى الحُسْنَيْنِ - إما يُظَفِّرْنَا الله بهم فهذا الذي نريد ، فيُذْلِقَهم الله لنا فتكون هذه وقعة مع وقعة بدر ، فلا يبقى منهم إلا الشريد ، والآخرى يارسول الله ، يبرزنا الله الشهادة ، والله يارسول الله ، ما أبالي أيهما كان ، إن كَلَّا لفيه الخير » (١٢١) .

وخطب حمزة بن عبدالمطلب ( رضي الله عنه ) فقال : « والذي أنزل عليك الكتاب ، لأطعمن اليوم طعاماً حتى أجالدهم بسيفي خارجاً من المدينة » . وكان يقال كان حمزة يوم الجمعة صائماً ، ويوم السبت صائماً ، فلاقاهم وهو صائم (١٢٢) وخطب إلياس بن أوس ابن غتيك : « يارسول الله ، نحن بنو عبد الأشهل من البقر المذبح ؛ نرجو يا رسول الله أن نُذْبِحَ في القوم ويُذْبِحَ فينا ، فنصير إلى الجنة ويصيرون إلى النار ، مع أنني يا رسول الله لا أحب أن ترجع قُرَيْشٌ إلى قومها فيقولون : حصرنا محمداً في صياصي يثرب وأطامها فيكون هذا جرأة لقريش ، وقد وطنوا سمفنا فإذا لم نذب عن عرضنا لم نزرع ، وقد كُفَّا يا رسول الله في جاهليتنا والعرب والعرب يأتوننا ، ولا يطمعون بهذا مثاً حتى نخرج إليهم بأسياقنا حتى نذبهم عنا ؛ فدحن اليوم أحق إذ أئدنا الله بك ؛ وعرفنا مصيبتنا ، لا نحصر أنفسنا في بيوتنا » (١٢٣) .

وخطب آخرون غيرهم (١٢٤) فخاف عليهم رسول الله ( ﷺ ) فلما أتوا إلا الخروج رسول الله ( ﷺ ) الجمعة بالمسلمين ، ثم وعظهم وأمرهم بالجد والجهد ، وأخبرهم أن لهم النصر ما صبروا (١٢٥) .

وعندما تقابل الجمعان ، قام رسول الله ( ﷺ ) فخطب الناس فقال : « يا أيُّ الناس ، أوصيكم بما أوصاني الله في كتابه من العمل بطاعة التناهي عن محارمه ، ثم إنكم اليوم بمنزل أجرٍ وذخِرٍ لمن ذكرني عليه ثم وطن نفسه له على الصبر واليقين والجد والشام ، فإن جهاد العدو شديد ، شديد كزبه قليل من يصبر عليه إلا من عزم الله رُشْدَه ، فإن الله مع من أطاعه ، وإن الشيطان مع من عصاه ، فافتتحوا أعمالهم بالصبر على الجهاد ، فالتمسوا بذلك ما وعدكم الله .. » (١٢٦) وهي خطبة طويلة رائعة ، وقد اجتزنا منها هذا المقطع على سبيل الاستشهاد بها .

ونشب القتال في ذلك اليوم ، وكانت الدولة أول النهار للمسلمين على الكفار ، فانهزم أعداء الله ولأوا مدبرين . ولما رأى الرماة هزيمة الكفار نزلوا مركزهم الذي أمرهم رسول الله بحفظه ، قجاز منه المشركون وأحاطوا بالمسلمين ، فأكرم الله من أكرم منهم بالشهادة وهم سيعون بينهم حمزة بن عبد المطلب ، وخلص المشركون إلى رسول الله فجرحوه وكسروا رباغيته ، وقد صرخ الشيطان بأعلى صوته بأن محمداً قد قتل . فاقبل ثابت بن الدحاحة يومئذ والمسلمون أوزاع قد سقط في أيديهم ، فجعل يصيح :

« يا معشر الانصار ، إلي ، إلي ، أنا ثابت بن الدحاحة . إن كان محمداً قد قتل ، فإن الله حي لا يموت فقاتلوا عن دينكم ، فإن الله مُظْهِرُكُمْ وناصركم » (١٢٧) .

فتأبأت في خطبته الموجزة هذه عبر عن رسوخ العقيدة الثابتة في قلبه وضميره ، وإصراره على القتال دفاعاً عن دين الله حتى وإن قُتل الرسول ( ﷺ ) ، لأنه مؤمن بأن الله حي وغيره يموت ، وإن الله سينصر المسلمين ويذل المشركين . فنهض إليه نفر من الانصار ، فجعل يحمل بمن معه من المسلمين ، فقاتلوا حتى قُتلوا ، وضبر الرسول ( ﷺ ) على الرغم من جراحه أصابت وجهه الكريم ، صبر مع صحابته حتى انقضت الغمرة (١٢٨) .

ولما فرغ الرسول ( ﷺ ) من عمرة القضاء وعاد إلى المدينة ، بعث جيشاً مكوناً من ثلاثة آلاف لحرب الروم في الشام ، وجعل قيادته لزيد بن حارثة ، ثم قال : إن أصيب زيد فالقيادة لجعفر من أبي طالب ، فإن أصيب خلفه عبدالله بن رواحة . ومضوا حتى نزلوا معان ، فبلغهم أن هزقل امبراطور بيزنطة نزل مدينة مأب من أرض البلقاء ، في مائة ألف من الروم . فلما بلغ ذلك زيداً وأصحابه أقاموا في معان يومين ينظرون في أمرهم . وقال نفر : نكتب إلى رسول الله ( ﷺ ) ونخبره بعدد عدونا ، فإذا أن يمدنا برجال ، وإنا أن يأمرونا بأمر فتعضي له . ووقف عبدالله بن رواحة قبل بداية المعركة يشجع المسلمين على الصبر والثبات . لِقَلْبِهِمْ من عدد الروم فقال : « والله ما كُنَّا نقاتل الناس بكثرة غَدٍ ، ولا بكثرة سلاح ، ولا بكثرة خيول ، إلا بهذا الدين الذي أكرمنا الله به . انطلقوا والله لقد رأيتنا يوم نذر مامعنا إلا قُرسان ، ويوم أحد فرس واحد ، وإنما هي إحدى الحسنيين : إما ظهورهم علينا فذلك ما وعدنا الله ووعدنا نبينا ، وليس لوعده خُلْفٌ ، وإما الشهادة فنلحق بالآخوان نرافقهم في الجنان » (١٢٩) .

فهزت هذه الخطبة مشاعر المسلمين ، وزحفوا إلى العدو ، وقد امتلأوا حماسة وحمية ، وكل منهم يؤد لولقى مصرعه حتى

تكتب له الشهادة ، وهكذا تمضي الخطابة في غزوات الرسول ( ﷺ ) تحت المسلمين على حمل الرسالة والدفاع عنها ، حتى غدا الجهاد من أبرز موضوعاتها .

## ٢ . في حروب الردة

واشتدت الامور ، وتعاضمت الخطوب ، بعد وفاة الرسول ( ﷺ ) إذ ارتدت اعداد كبيرة من قبائل العرب عن الاسلام ، وتعرضت الرسالة الى خطر كبير كاد يودي بها ، لولا عناية الله وحفظه لها ، ووقفه الصحابة الابرار الذين ثبتوا على اسلامهم ، ودافعوا عنها بأرواحهم واموالهم والسننهم . وكان من بينهم اولئك المجاهدون الخطباء الذين واكبوا احداث الردة ، وشاركوا في معظم معاركها ، فقاتلوا المرتدين بسيفهم ، وخطبوا المؤمنين على الصبر والثبات وجمع القلوب وتوحيد الصفوف على نصر الله . وكان على رأسهم الخليفة أبو بكر الصديق ( رضي الله عنه ) الذي وقف يومذاك ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال مخاطباً المسلمين :

« الحمد لله الذي هدى فكفى ، وأعطى فاغنى ، إن الله بعث محمداً ( ﷺ ) والعلم شريد ، والاسلام غريب طريد ، قد رث حبله ، وخلق عهده ، وضل أهله منه ، ومقت الله اهل الكتاب فلا يعطيهم خيراً لخير عندهم ، ولا يصرف عنهم شراً لشر عندهم ، قد غيروا كتابهم ، وألحقوا فيه ما ليس منه ، والعرب الامنون يحسبون أنهم في منعة من الله لا يعبدونه ولا يدعونه ، فاجهدهم عيشاً ، وأضلهم ديناً ، في ظلف من الارض مع ما فيه من السحاب ، فختمهم الله بمحمد ، وجعلهم الامة الوسطى ، نصرهم بمن اتبعهم ، ونصرهم على غيرهم ، حتى قبض الله نبيه ( ﷺ ) فركب الشيطان مركبه الذي أنزله عليه ، وأخذ بأيديهم ، وبغى هلكتهم ( وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُبِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ) (١٠٠) إن من حولكم من العرب مذموا شاتهم وبصيرهم ، ولم يكونوا في دينهم - وإن رجعوا إليه - أزهدهم يومهم هذا ، ولم تكونوا في دينكم أقوى منكم يومكم هذا ، على ما قد تقدم من بركة نبيكم ( ﷺ ) وقد وكلكم الى المولى الكافي ، الذي وجده ضالاً فهداه ، وعانلاً فاغناه ( وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا ) (١٠١) والله لا أدع ان أقابل على أمر الله حتى ينجز الله وعده . ويوفي لنا عهده ، ويقتل من قتل منا شهيداً من اهل الجنة ، ويبقى من بقي منها خليفته وذريته في أرضه ، قضاء الله الحق ، وقوله الذي لاخلف له ( وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْآرْضِ ) (١٠٢) ثم نزل « (١٠٣)

فأبو بكر ( رضي الله عنه ) في خطبته المذكورة أنفاً ذكر المسلمين بسالف عهدهم ، وفضل الله والاسلام والرسول عليهم ، ثم وضعهم امام واقع من الامر ، وهو أمر الله ، فاقسم أن يقاتل في هذا الامر الى أن ينجز الله وعده ، ويوفي عهده ، ومادام القتال في أمر الله ، وقد وعد ، فلا شك في الانجاز ، فالنصر واقع ، ومن يقتل أو قُتِل من المسلمين فهو شهيد من اهل الجنة ، ومن بقي منهم وعمل صالحاً ، فهو خليفة الله في أرضه . هذا وعده الحق ، وقضاؤه المبرم ، وحُكْمُهُ الذي لا يتخلف . وهكذا يكون الترغيب في الجهاد الذي دعا اليه الاسلام وحث عليه (١٠٤)

وعندما ارتدت معظم القبائل العربية عن الاسلام ، حاول نفر منها أن يدعي النبوة ، فتبعه خلق كثير من مختلف القبائل ، من امثال مسيلمة الكذاب في بني حنيفة ، وطلحة الاسدي في بني أسد ، وسجاح التميمية في بني تميم . وقد امتنع هؤلاء المرتدون عن دفع الزكاة ، واجتمعت أسد وغطفان وطيء على طليحة الاسدي ، وبعثوا وفوداً الى أبي بكر ( رضي الله عنه ) فقال : « لو منعوني عقالاً لجاهدتهم عليه » فردهم ، فرجعوا الى أقوامهم واخبروهم بصنيع الصديق ( رضي الله عنه ) وحدثوهم عن قلة المسلمين بالمدينة ، واطعموهم فيهم . وعلم أبو بكر ( رضي الله عنه ) بذلك فخطب المسلمين بمسجد المدينة يحثهم على قتالهم :

« إِنَّ الْأَرْضَ كَافِرَةٌ » (١٠٥) وقد رأى وفُذُّهم منكم قلة ، وإنكم لا تَدْرُونَ أَيْلًا تُؤْتُونَ أم نهاراً ، وإثناهم منكم على ما يريد ، وقد كان القوم ياملون أن تُقْبِلَ منهم ونوابغهم ، وقد أبينا عليهم ، فاعِدُوا واستَعِدُوا » (١٠٦) .

وكانت هذه الخطبة إيذاناً بنشوب القتال مرة اخرى بين المسلمين والمشركين وهم سائر القبائل التي اعلنت بتمنعت وجبروت ردتها عن الاسلام ، فدارت معارك كثيرة شملت انحاء عديدة من الجزيرة العربية ، منها يوم ذي القصة ، والبُطاح ، وجُؤاثا ، واليمامة ، وصنعاء ، وقد انتصر المسلمون في جميع هذه المعارك ، وتمكنوا من اخضاع المرتدين فيها الى كلمة الاسلام وسلطانه (١٠٧)

على ان هذه الردة وما صاحبها من حروب كان لها اثر واضح في الخطابة يومذاك . فقد هب الخطباء من كل خدب وصوب يبينون خطئ الردة ، ويهاجمون المتنبيين ، ويحثون المسلمين على الثبات وعدم الارتداد . ففي اليمامة دعا أئمة : بن أثال ( قومه الى عدم اتباع مسيلمة وتصديقه ، فقال : « إِيَّاكُمْ وَأَمْرًا مُظْلِمًا لَانُورَ فِيهِ ، وَإِنَّهُ لَشَقَاءُ كَتَبَهُ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - عَلَى مَنْ أَخَذَ بِهِ مِنْكُمْ ، وَإِنَّا عَلَى مَنْ لَمْ يَأْخُذْ بِهِ مِنْكُمْ



نصر، وهازيج فرح خالدة، تغلى بها المجاهدون الخطباء، وخلدها التاريخ بالرغم من ضياع الكثير منها، وخذل ابطالها وفرسانها، فكانت بحق ملاحم بطولية خالدة.

## المبحث الثاني

### الجهاد في خطب الفتوحات الاسلامية

ويعد أن قضى الاسلام على حركة المرتدين، واصبحت القبائل العربية كلها تدين بدين الاسلام، انطلقت جحافل الفتح الاسلامية لتبلي نداء الواجب المقدس الذي كتبه الله لها خارج الجزيرة العربية، قال تعالى: « أَنْزِلُوا خِفَافًا وثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ » (١١٥) فآخذ سيول الجيوش الفاتحة تتدفق على العراق والشام، وأخذ الجهاد يتجلى في أعظم معارضة وصوره، في الرجال والنساء اللاتي كن يشهدن المعارك محرضات محمسات، بينما كان الشعراء والخطباء الفرسان يدؤون كالنحل بأشعارهم وخطبهم الحماسية (١١٦) وبغية تلمس نور الخطابة في الفتوحات الاسلامية، يحس بنا أن نعرض لهذا الدور في كل جبهة على حدة.

#### ١. في فتوحات الجبهة الشرقية

لقد دارت معارك ضارية على امتداد هذه الجبهة الطويلة، شنّها المسلمون على الأكاسرة، فاستمد امراء الجيوش والقواد ورجال الحرب الخطابة، يلهبون مشاعر الجند ويشعلون حماسهم، ويمنونهم النصر العاجل، والفوز الاجل (١١٧) فخالدين الوليد بعد أن أمره الخليفة ابو بكر (رضي الله عنه) بالتوجه نحو العراق لقتال الفرس، ارتفع صوته في ذلك اليوم، فخطب في الناس يحضضهم على الجهاد في سبيل الله، فقال: « الحمد لله، واللّه أهله، وأشهد أنّ محمداً عبده ورسوله، أما بعد: فإنّ خليفة رسول الله - ﷺ - كتب إلينا يحضنا على طاعة ربنا، وجهاد عدونا وعدو الله، وبالجهاد في سبيل الله أنجز الله نغوتنا، وجمع كلمتنا وامنيتنا، والحمد لله رب العالمين، ألا واني خارج ومعسكر وسائر - إن شاء الله - ومُعْجَل، فمن أراد ثواب العاجل والاجل فَلْيَنْتَكِبْ » (١١٨) وتوجه خالد بن الوليد نحو العراق، وخاض المسلمون بقيادته سلسلة من المعارك، انتهت جميعها بانتصار المسلمين وهزيمة الفرس، وعقب انتصارهم في وقعة الولجة وقف خالد بن الوليد في الناس خطيباً يحثهم على الجهاد، وقد أثار في خطبته الى ثراء الأرض التي يقاتلون فيها، فقال:

يا بني حنيفة « (١١٩).

ولما لم يستجب بنو حنيفة الى دعوة ثمامة هذه، واصروا على ارتدادهم توجه اليهم خالد بن الوليد، فنزل على كثيب يشرف على اليمامة، فضرب به عسكره، فاصطدم المسلمون والكفار، فكانت جولة، وانهزمت الاعراب حتى دخلت بنو حنيفة خيمة خالد بن الوليد، وقاتلت بنو حنيفة قتالاً لم يعهد مثله، وجعلت الصحابة يتواصلون بينهم، ويقولون: يا أصحاب سورة البقرة، بطل السحر اليوم، وحفر ثابت بن قيس لقدميه في الأرض الى أنصاف ساقيه، وهو حامل لواء الانصار بعدما تحلّط وتكفّن (١٢٠) وخطب المسلمين فقال:

« يامعشر المسلمين، أنتم حرّبت الله وهم أحزاب الشيطان، والعزة لله ولرسوله ولأحزابه، أروني كما أريكم » (١٢١).

وخطب زيد بن الخطاب في ذلك اليوم فقال مخرضاً المسلمين على القتال: « لا والله لا أتكلّم اليوم حتّى نهزمهم أو ألقى الله فاكلّمه بحجتي أعضوا على أضراسكم أيّها الناس، واضربوا في عدوكم، وامضوا قدماً » (١٢٢).

وهذه الخطب على رغم قصرها، وانها شبيهة بالارجاز التي يرتجزها المقاتلون في سوح الوغي، استطاعت ان تلهب حماس المسلمين يومذاك، فاصروا على جهاد المرتدين « فرثوهم الى مصافهم حتى أعادوهم الى أبعد من الغاية التي حيزوا اليها من عسكرهم » (١٢٣).

وفي البحرين وقف العلاء بن الحضرمي خطيباً بحث المسلمين على مطاردة المرتدين الغازين الى دارين، فجمعهم وقال:

«إن الله قد جمع لكم أحزاب الشياطين وشُرّة الحرب في هذا البحر، قد أراكم من آياته في البَر لتعتبروا بها في البحر، فانهضوا الى عدوكم، ثم استعرضوا البحر إليهم، فإن الله قد جمعهم » (١٢٤).

فانارت هذه الخطبة حمية المسلمين، فتنأخوا فيما بينهم حتى اقتحموا البحر، فجازوا الخليج العربي بإذن الله يمشون على مثل زملة فيثاء، فوقها ماء يغمز أخفاف الإبل، وإن مابين الساحل ودارين مسيرة يوم وليلة لسفن البحر في بعض الحالات، فالتقوا بها، واقتتلوا قتالاً شديداً، وقهروا المرتدين واحتازوا غنائمهم، ثم رجعوا، فمعبروا الى موضعهم الاول (١٢٥) وهكذا كانت الخطابة تؤدي دورها الجهادي في معارك الاسلام الاولى ضد المشركين والمرتدين، وتعبّر بصق عن عظمة اولئك الرجال الذين صنعوا ما عاهدوا الله عليه، وجاهدوا في سبيله بالسنتهم، فكانت خطبهم في ميادين الجهاد وانا شيد

« الا ترون الى الطعام كرفع<sup>(١١٧)</sup> التراب ، وبالله لو لم يلزمنا الجهاد في الله والدعاء الى الله عز وجل ولم يكن الا المعاش ، لكان الرأي ان نقارع على هذا الريف حتى نكون أولى به ، ونولي الجوع والإقلال من تولاه ممن أثقل عنا أنتم عليه<sup>(١١٨)</sup> »

وتتوقف عمليات خالد بن الوليد بعد وقعة الفراض ، إذ أمره الخليفة ابو بكر ( رضي الله عنه ) بالسرح نحو بلاد الشام ليكون عوناً للمسلمين هناك<sup>(١١٩)</sup> ، فتولى المثنى بن حارثة الشيباني قيادة جيش المسلمين ، وخاض معركة ضارية ضد الفرس في تلال بلابل ، وانهزم الفرس وتبعهم المسلمون الى المدائن يقتلونهم ، وأقام المثنى بعد هذه المعركة ينتظر أن تأتيه الامدادات من ابي بكر ( رضي الله عنه ) لكن انتظاره طال ، وابطا عليه رد الخليفة ، فخلف على المسلمين ( بشير بن الخصاصية ) وخرج متوجهاً الى ابي بكر ( رض ) فقدم المدينة وقابل الخليفة الراشد وهو على فراش الموت ، واخبره بأن الفرصة مواتية لارسال جيش<sup>(١٢٠)</sup> كبير الى العراق ، فاهتم الخليفة برأي المثنى واقتنع به ، وقال : « عليّ بفهم » فجاءه فائصه أن يندب الناس مع المثنى ، فندب عمر ( رضي الله عنه ) الناس لحرب الفرس ، فنتابوا فخطبهم ، فقال :

« إن الحجاز ليس لكم إلا على الذئفة ، ولا يقوى عليه أهله إلا بذلك ، أين الطراء المهاجرون عن موعود الله ! سئوا في الأرض التي وعدكم الله في الكتاب أن يورثكموها ؛ فإنه قال : ( لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ )<sup>(١٢١)</sup> والله مظهر دينه ، ومعرز ناصره ، ومولي أهله مواريث الأمم . أين عباد الله الصالحون ! »<sup>(١٢٢)</sup> . ثم خطب المثنى فقال : « يا أيها الناس ، لا يفتخمن عليكم هذا الوجه ، فإننا قد تبجحنا ريف فارس ، وغلبناهم علي خير شقي السواد ، وشاطرناهم ، وثلنا منهم ، واجترأ من قبلنا عليهم ، ولها ان شاء الله ما بعدها »<sup>(١٢٣)</sup> .

وقد تركت هاتان الخطبتان تأثيراً كبيراً في نفوس المجاهدين يومذاك ، فتنطوع منهم عدد كبير ، كان في مقدمتهم ابو عبيد بن مسعود الثقفي<sup>(١٢٤)</sup> .

وفي البويب تقابل المسلمون والفرس ، فوقف المثنى على الرايات راية راية ، يحضض المسلمين ، ويأمرهم بأمره ، ويهزهم بأحسن ما فيهم تحضيضاً لهم ، ولكلهم قال :

« إني لأرجو الا تؤتني العرب اليوم من قبلكم ، والله ما يسرني اليوم لنفسي شيء وهو يسرني لعامتكم »<sup>(١٢٥)</sup>

وقبل الفرس المشركون في تلك الوقعة شر قتله ، وتبعهم المسلمون الى الليل ، ومن القد الى الليل ، ومال المثنى على الذين ارادوا ان يستقنوا من منهزمة يوم الجسر ، فخطبهم بقوله :

« أين المستبسل<sup>(١٢٦)</sup> واصحابه ، انتدبوا في آثار هؤلاء القوم الى المشيب ، وابلغوا من عدوكم ماتفيظونهم به ، فهو خير لكم واغظم أجراً ( واستغفروا الله إن الله غفور رحيم )<sup>(١٢٧)</sup> »<sup>(١٢٨)</sup> .

وانتدب المثنى الناس للملاحقة فلوس الفرس المذعورة في تلك الوقعة الى المشيب ، فخطب جرير بن عبدالله في قومه بجيله يحثهم على ذلك فقال :

« يامعشر بجيلة ، إنكم وجميع من شهد هذا اليوم في السابقة والفضيلة والبلاء سواء ، وليس لاحد منهم في هذا الخمس غداً من الثفل مثل الذي لكم منه ، ولكم ربع خمسة نقلاً من أمير المؤمنين ، فلا يكون أحد أسرع الى هذا العدو ولا أشد عليه منكم للذي لكم منه ، ونية الى ماترجون ، فإنما تنتظرون إحدى الحسنين : الشهادة والجنة أو الغنيمة والجنة »<sup>(١٢٩)</sup> .

وبعد البويب قلق أهل فارس كثيراً ، وتذمروا ، فما بعد بغداد وساباط وتكرت إلا المدائن ، فشرع يزيد جرد ملك الفرس يومذاك بتنظيم الجيش من جديد ، وتعيين قائده له ، وأمر بإعلان النفير العام ، وأرسال الجيوش الى العراق لمهاجمة المسلمين ، ولما علم الخليفة عمر بن الخطاب ( رضي الله عنه ) بأمر الفرس واجتماعهم أخيراً على يزوجرد أعلن النفير العام في الجزيرة العربية استعداداً لليوم الفاصل ( القادسية ) وقال : « والله لأضربن ملوك المعجم بملوك العرب » ثم دعا المسلمين الى اختيار من يقودهم الى الجهاد والقتال لفتح العراق ، فاخاروا سعد بن ابي وقاص ، فاحضره عمر ( رضي الله عنه ) وعينه قائداً عاماً للعمليات الحربية بالعراق ، ووضع أمامه جملة من الوصايا ليفيد منها في مهمته الجديدة<sup>(١٣٠)</sup> .

وسار سعد بن ابي وقاص بالمسلمين الذين تطوعوا لقتال الفرس ، حتى نزل القادسية من أرض العراق . وعندما تقابل الجيشان . المشركون الفرس على شفر العتيق ، والمسلمون أمام قديس ، والخندق من ورائهم ، وقف سعد أمام جنده ليعظهم ، ويحثهم على الجهاد ، وقد أثار عزائمهم ، وألهب حماسهم بخطبة حماسية مؤثرة ، كان لها وقع كبير على المسلمين ، فارتفعت لذلك معنوياتهم ، وتشجعوا أكثر على القتال ، فحمد الله وأثنى عليه ، وقال :

« إن الله هو الحق لا شريك له في الملك ، وليس لقوله خلف ، قال الله جل ثناؤه : ( وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزُّبُورِ مِنْ بَاقِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ )<sup>(١٣١)</sup> إن هذا ميراثكم وموعود ربكم ، وقد أباحها لكم منذ ثلاث حجج ، فأنتم تطعمون منها ، وتأكلون منها ، وتقتلون أهلها ، وتخجلونهم وتسبونهم الى هذا اليوم بما نال منهم أصحاب الايام منكم ، وقد جاءكم منهم

هذا الجمع ، وأنتم وجوه العرب وأعيانهم ، وخيار كل قبيلة ، وعز من وراءكم ، فإن تزهّدوا في الدنيا وترغبوا في الآخرة جفّع الله لكن الدنيا والآخرة ، ولا يقرب ذلك أحداً إلى أجله ، وإن تفشلوا وتهنوا وتضعفوا تذهب ريحكم ، وتوبقوا آخرتكم » (١٢١) والتقى الجيشان في حرب ضروس استمرت أربعة أيام وثلاث ليالي ، متصلة الحرب حامية الوطيس ، وقد أدت الخطابة دورها في هذه المعركة ، فلم يكن القتال يبدأ قبل أن يمر الخطباء والشعراء بين الصفوف يُرغّبون الناس ، ويقدحون عزمهم ، فينشب أهل الرأي والنجدة القتال ، بينما يشمل الخطباء والشعراء أوار الحماس (١٢٢) .

ففي يوم أرما - وهو اليوم الأول من معركة القادسية - أقبل سعد يتخلل الصفوف ويقول :

« أيها الناس هذا يوم تجلّى فيه الحليل ، ولزل فيه النصر جبريل ، اذكروا قصور الجنة وما أعد الله فيها من المنّة ، واعلموا أن يومكم هذا يوم عظيم ، لا يقتل فيه الاكل كريمة يتكرم بنفسه في مرضاة ربه ، أما والله أن أبواب السموات فتحت ، والجنة لكم أُرلفت ، والنار أحميت ، وأعمالكم الصالحة إليه رُفعت ، ثم تلا ( إلهي يضغّد الكلم الطيب ، والعمل الصالح يرفقه ) (١٢٣) وإن الله قد جعل الصبر بمنزلة الرأس من الجسد ، وما تنتظرون من الصبر إلا أخذ الحسنيين ، إما فرجاً عاجلاً أو خيراً أجلاً ، والصبر يدعو إلى الطاعة ، والجزع يدعو إلى المقتضية » (١٢٤)

فحرّكت هذه الخطبة شعور المسلمين ، وحفزتهم على الجهاد ، فبرز أهل النجدة فانشبوا القتال ، وأدفع الأمراء في خطبهم ، يحضّون المسلمين على الصبر في الجهاد ، وأن يكونوا كاسود الثياب ، وأن يسارعوا إلى مغفرة من ربهم ، وجنة غرضها السموات والأرض ، أعنت للمُتّقين ، فخطب في ذلك اليوم كل من : عاصم بن عمرو التميمي ، وقيس بن عُبَيْة الأسدي ، وشر بن أبي رهم الجهني ، وربيّع بن البلاد السعدي ، وربيّع بن عامر ، وطليحة بن خُوَيْلد الأسدي ، والأشعث بن قيس (١٢٥) واستمر القتال في يوم أرما حتى غروب الشمس ، وتمضي الخطابة في اذكاء جذوة الحماس ، وتحريض المسلمين على القتال طيلة أيام القادسية . ففي يوم عماس - اليوم الثالث من المعركة - شرع قادة الجيش الإسلامي كعادتهم يشجعون جندهم على الجهاد بأروع الخطب ، فقام قيس بن المكشوح المرادي في المجردة ، فخطب فيمن يليه ، فقال :

« يا معشر العرب ، إن الله قد منّ عليكم بالإسلام ، وأكرمكم بمحمد ﷺ ، فاصبحتم بنعمة الله إخواناً . فغوثكم واحدة ، وأمركم واحد ، بعد إذ أنتم يعدّون بعضكم على بعض غدّ

الأسد ، ويختطف بعضكم بعضاً اختطاف الذئاب ، فانصروا الله ينصركم ، وتنجزوا من الله فتح فارس ، فإن إخوانكم من أهل الشام قد أنجز الله لهم فتح الشام ، وانتشال القصور الخمر ، والحصن الخمر » (١٢٦) .

وتعالت اصوات القادة في ليلة الهرير من يوم عماس ، وكانت خطبهم في تلك الليلة قد فعلت فعلها في إثارة حماس المقاتلين ، وأثرت بوضوح السبل الكفيلة لتحقيق النصر ، فخطب نريد بن كعب النخعي ، وكان معه لواء النخع ، فقال : « إن المسلمين تهيلوا للمزاحقة ، فاسبقوا المسلمين الليلة إلى الله والجهاد ، فإنه لا يسبق الليلة أحد إلا كان ثوابه على قدر سبقه ، نافسوا في الشهادة ، وطيبوا بالموت نفساً ، فإنه أنجى من الموت ، إن كنتم تريدون الحياة ، وإلا فالآخرة ما أردتم » (١٢٧)

وفعل الأشعث بن قيس ، وطليحة الأسدي ، وغالب بن عبدالله الليثي ، وأهل النجدة من جميع القبائل مثل ذلك (١٢٨) ، فتصاعد حماس المسلمين ، وارتفعت معنوياتهم ، وقاتلوا الفرس بكل قوة ، وبقي القتال مستمراً حتى صباح اليوم الرابع ، وهو يوم القادسية ، الذي قتل فيه رستم ، وهُزم جيشه شر هزيمة (١٢٩)

واستمرت الخطابة تجوب ميادين الجهاد في جبهة العراق ، فارتفع صوتها على لسان سعد بن أبي وقاص في بهرسير ، وعمرو بن معد يكرب الزبيدي ، وجريز بن عبدالله البجلي ، وهاشم بن عتبة ، والقعقاع بن عمرو التميمي في وقعة جلولاء (١٣٠)

وتواصل جحافل العقيدة الإسلامية انطلاقها في جبهة العراق من أجل نشر رسالة المدل والحق حتى تدخل بلاد فارس ، فتخوض معارك ضارية مع الفرس المشركين في عُقْرِ دارهم ، وكانت الخطابة تنتقل مع السيف من خندق إلى خندق ، تحت المؤمنين وترهب المشركين أعداء الله ، فيروى أن النعمان بن مقرن وقف على الرايات في يوم نهاوند وخطب المسلمين ، فقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه :

« قد علمتم ما أعزكم الله به من هذا الدين ، وما وعدكم من الظهور ، وقد أنجز لكم هَوَايَ ما وعدكم وصدوزه ، وإنما بقيت أعجازه وأكارع ، والله منجز وعده ، ومتبّع آخر ذلك أوله ، واذكروا ما مضى إذ كنتم أنلة ، وما استقبلتم من هذا الأمر وأنتم اعزة ، فأنتم اليوم عباءة الله حقاً وأوليائه ، وقد هلمتم انقطاعكم من إخوانكم من أهل الكوفة ، والذي لهم في ظفركم وعزكم ، والذي عليهم في (١٣١) هزيمتكم ونلكم ، وقد تزوّن من أنتم بإزائه من عدوكم ، وما أخطرتكم وما أخطروا لكم ، فاما ما أخطروا لكم



فهذه الرثة<sup>(١١٠)</sup> وماترون من هذا السواد ، وأما ما أخطرتهم لهم فدينكم ونيتكم ، ولا سواء ما أخطرتهم وما أخطروا ، فلا يكونن على دنياهن أحسن منكم على دينكم ، واتقى الله عبد صدق الله ، وأبلى نفسه فاحسن البلاء ، فإنكم بين خترين منتظرين ، إحدى الحسنين ، من بين شهيد حي مرزوق ، أو فتح قريب وظفر يسير ، فكفى كل رجل ما يليه ، ولم يكل قزته إلى أخيه ، فيجتمع عليه قزته وقزّن نفسه ، ذلك من الملازمة ، وقد يقاتل الكلب عن صاحبه ، فكل رجل منكم مسلط على ما يليه ، فإذا قضيت أمري فاستعدوا فإنني مكبّر ثلاثاً ، فإذا كثرت التكبير الأولى فليتهنأ من لم يكن تهناً ، فإذا كثرت الثانية فليشد عليه سلاحه ، وليتأهب للنهوض ، فإذا كثرت الثالثة ، فإنني حامل إن شاء الله فاحملوا معاً ، اللهم اعز دينك ، وانصر عبادك ، واجمل النعمان أول شهيد اليوم على إعزاز دينك ونصر عبادك<sup>(١١١)</sup> .

وكان النعمان أول شهيد في نهاوند . ويمضي الجيش العربي الاسلامي بعد هذه الوقعة مُيَّماً بلاد فارس ، ويحطم كل مقاومة تلقاه في خراسان واذريجان واربندية . وفي كل المدن الفارسية الاخرى ، حتى يصل الى حدود الصين ، وكانت الخطابة مرافقة لجميع الاحداث ، ومناصرة للسيف العربي الاسلامي في كل الوقائع .

## ٢ - في فتوحات الجبهة الغربية

وفي الجبهة الغربية - جبهة الشام وشمال افريقية - سحق العرب في عهد أبي بكر وعمر وعثمان ( رضي الله عنهم ) الروم سحقاً ذريعاً اضطهرهم الى ان يرفعوا ايديهم عن الشام ومصر ، وأخذوا يرفعونها عن افريقية مكرهين مهزومين مقهورين . حتى إذا ولي الامويون تقدموا إلى المحيط الاطلسي وعبروا المضيق إلى إسبانيا حيث سهلت خيولهم فرسانهم على مشارفها الشمالية . وكان طبيعياً أن يرتفع صوت الخطابة في هذه الفتوحات التي كلفت الجيوش العربية خطوباً شداداً وأهوالاً من المارك والقتال والصراع والفرار ، وفي كل معركة وكل فتح تتجلى بطولتهم ، وتتجلى امجادهم الحربية ، ويتجلى معها ما نظموه من أناشيد حماسية شعراً كان ام خطابة<sup>(١١٢)</sup> .

فمنذ اللحظة الاولى التي عزم فيها ابو بكر الصديق ( رضي الله عنه ) على توجيه الجيوش لفتح الشام ، جمع ابو بكر ( رضي الله عنه ) اصحاب رسول الله ( ﷺ ) في المسجد ، وقام فيهم خطيباً يستشيرهم في ذلك ، ويحثهم على تنفيذ وصية الرسول ( ﷺ ) له قبل وفاته ، فحمد الله وأثنى عليه ، وصلى

على رسوله ، ثم قال :

« يا أيها الناس رحمكم الله تعالى ، اعلّموا أن الله فضلكم بالإسلام ، وجعلكم من أمة محمد عليه السلام ، وذاكم إيماناً وبقينا ، ونضركم نصراً مبيناً ، وقال فيكم : ( الْيَوْمَ اكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِيناً )<sup>(١١٣)</sup> واعلموا أن رسول الله ( ﷺ ) كان عول أن يصرف همته الى الشام ، فقبضه الله واختار له ما لديه إلا وإنني عازم أن أوجه ابطال المسلمين الى الشام باهلبيهم ومالهم ، فإن رسول الله ( ﷺ ) نباني بذلك قبل موته ، وقال رويت لي الارض فرأيت مشارقتها ومغاربها ، وسيلغ ملك امتي ما رؤي لي منها ، فما قولكم في ذلك ؟ فقالوا : يا خليفة رسول الله مرنا بأمرك ، ووجهنا حيث شئت فان الله تعالى فرض علينا طاعتك ، فقال تعالى : ( يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم )<sup>(١١٤)</sup> .

ومن هنا تشكلت ملامح فكرة فتح بلاد الشام وفتح ديارها للإسلام والمسلمين ، وكانت امتداداً لأول صدام جرى بين العرب والروم في عهد النبي ( ﷺ ) . وقد استجاب الصحابة الكرام لما دعا إليه ولي أمرهم طاعة لله في خليفة رسوله ، ففرح ابو بكر وشرع في كتابة الكتب الى ملوك اليمن وأهل مكة يدعوهم فيها الى الجهاد لفتح بلاد الشام وانتزاعها من أيدي الكفار والطغاة<sup>(١١٥)</sup> .

ولما تكاملت الجيوش واقامت مجتمعة في المدينة عقد ابو بكر الرايات وأمر القادة ، ثم ذكرهم ، وأوصاهم وودعهم . فانطلق يزيد بن ابي سفيان في ألف فارس حتى نزل الجابية ، ولما تسربت اخبار المسلمين الى هرقل ، جهز جيشاً من ثمانية آلاف فارس ليرد جيش يزيد عن سبيله . وقبل ان يقع الاشتباك بين الجيشين ، خطب يزيد أصحابه الألف يحرضهم على الجهاد ويتلو عليهم آيات النصر ، فقال :

« إن الله وعدكم بالنصر وأيدكم بالملائكة ، وقال الله تعالى في كتابه العزيز الحكيم : ( كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين )<sup>(١١٦)</sup> وقد قال ( ﷺ ) : ( الْجَنَّةُ تَحْتَ ظِلَالِ السُّيُوفِ )<sup>(١١٧)</sup> وانتم اول جند دخل الشام وتوجه لقتال بني الأصفر . كانكم بجلود النعام ، وإياكم ان تطعموا العدو فيكم ، وانصروا الله ينصركم<sup>(١١٨)</sup> .

فاهاجت هذه الخطبة مشاعر المسلمين المجاهدين ، ودفعتهم الى اخلاص النية في جهاد العدو ، واسترخاض الارواح في سبيل الله . فوقع بين الطرفين قتال عنيف ، خرج منه المسلمون ظاهرين منتصرين ، وولى الروم الادبار ، وركنوا الى الفرار<sup>(١١٩)</sup> .

وفي بصري رجعت الروم الى عددها وعديدها ، وتظاهروا بالدروع ، وقادوا الجنائب ، وتهينوا للحملة ، فلما رأى شرحبيل بن حسنة ذلك خطب اصحابه يعظهم ، ويحثهم على الجهاد فقال :

« اعلّموا رحمكم الله ان رسول الله ﷺ قال : ( الْجَنَّةُ تَحْتَ ظِلِّ الشَّيْوَفِ )<sup>(١١١)</sup> وأحب ما قرب الى الله قطرة دم في سبيل الله ، ودمعة جرت في جوف الليل من خشية الله تعالى : ﴿لَهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَتَقُولُوا اللَّهُ حَقُّ ثِقَاتٍ﴾ ، وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ<sup>(١١٢)</sup> »<sup>(١١٣)</sup> .

وحمل شرحبيل وحمل معه المسلمون على جيش الروم ، واقبل خالد بن الوليد بجماعة من أهل العراق مدداً لشرحبيل ، فأعاد ترتيب الصفوف ، ثم كثر المسلمون وهلّأوا للنصر ، بأهازيجهم وخطبهم المدوية ، حتى كتب الله لهم النصر ، وهزمت الروم شر هزيمة ، ودخل المسلمون مدينة بصرى ، فكانت أول مدينة فتحت بالشام<sup>(١١٤)</sup> .

ومن بصرى واصلت طلائع الفتح الاسلامي زحفها المقدس نحو دمشق ، وخلال هذا الزحف ، خاضت سلسلة من المعارك الضارية ضد الروم<sup>(١١٥)</sup> ، كان من أبرزها معركة اليرموك الكبرى التي انكسرت الروم فيها انكساراً عظيماً<sup>(١١٦)</sup> .

وفي هذه المعركة الخالدة كانت الخطابة الجهادية تآزر السيف الاسلامي من موضع الى موضع ، لتثبت أقدام المجاهدين ، وتصبرهم على القتال على نحو ما فعله ابو عبيدة عامر بن الجراح عندما وقف خطيباً امام الصفوف محزناً .

المقاتلين على اخلاص النية في الجهاد ، فقال :

« إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامك ، والزمو الصبر ، فإن الصبر منجاة من الكرب ، ومرضاة للرب ، ومعمة للمدو ، فلا تزالوا صفوفكم ، ولا تنفضوا لسبتكم ، ولا تخطوا خطوة إلا وأنتم تذكرون الله . ولا تبدأ وهم بالقتال حتى يبدأوكم ، واشرعوا الرماح ، واستتروا بالدروع ، والزمو الصمت إلا من ذكر الله ، ولا تحدثوا أحداً حتى أمركم »<sup>(١١٧)</sup> .

وخطب بالناس عمرو بن العاص وطمانهم بقوله : « ايها المسلمون غضوا الأبصار ، واجثوا على الركب ، واشرعوا الرماح ، فإذا حملوا عليكم ، فامهلوهم حتى اذا ركبوا أطراف الاسنة ، فثبوا إليهم وثبة الاسد ، فوالذي يرضى الصديق ، ويثيب عليه ، ويمقت الكذب ، ويجزي بالاحسان احساناً ، لقد سمعت ان المسلمين سيفتحونا كُفراً كُفراً ، وقضراً قضراً ، فلا يهولكم جموعهم ولا عددهم ، فإنكم لو صدقتموهم الشد تطايروا تطاير أولاد الخجل<sup>(١١٨)</sup> »<sup>(١١٩)</sup> .

ووعظهم أبو سفيان فقال : « يامعشر المسلمين ، انتم العرب وقد أصبحتم في دار العجم ،

منقطعين على الأهل نائين عن أمير المؤمنين وأمداد المسلمين ، وقد والله أصبحتم بإزاء عدد كثير عدده ، شديد عليكم حنقه ، وقد وترتموهم في أنفسهم وبلادهم ونسائهم ، والله لا ينجيكم من هؤلاء القوم ، ولا يبلغ بكم رضوان الله غداً إلا بصق اللقاء ، والصبر في المواطن المكروهة ، ألا وإلها سنة لازمة ، فامتصوا بسيوفكم ، وتعاونوا ولتكن هي الحصون »<sup>(١٢٠)</sup> .

وحملت الروم في ذلك اليوم حملة منكزة ، فصبر لها المسلمون صبر الكرام ، وقاتلوا قتالاً شديداً ، وثبتوا ثباتاً حسناً ، وابتدر عمرو بن معد يكرب الزبيدي ، وهو المقدم على زبيد والامير عليهم ، وهم يعظمونه لما سبق من شجاعته في الجاهلية ، وكان يوم اليرموك قد مزله من العمر مائة وعشرون سنة الى أن همته الشجاعة ، فلما نظر الى قومه وقد انكشفوا صاح في قومه :

« يا آل زبيد ، تفرون من اعداء وتفزعون من شرب كأس الردى ، أترضون لانفسكم بالمار والمذلة ، فما هذا الانزعاج من كلاب الاعلاج ، أما علمتم أن الله مطلع عليكم وعلى المجاهدين والصابرين ، فإذا نظر اليهم وقد لزم الصبر ثبتوا لقضائه أمدهم بصبره ، فاين تهربون من الجنة ، أرضيت بالمار ودخول النار وغضب الجبار »<sup>(١٢١)</sup> .

فلما سمعت زبيد كلام سيدهم عمرو بن معد يكرب رجعوا اليه وعطفوا عليه عطفة الأبل على اولادها ، فاجتمعوا حوله وهم زهاء من خمسمائة فارس وراجل ، وشدوا على القوم شدة واحدة ، وحملت معهم حمير وحضرموت وخولان وحملوا حملة صعبة ، فازالوا الروم عن اماكنهم<sup>(١٢٢)</sup> .

ولما رأى خالد بن الوليد أن جموع الروم بدأت تتقهقر أمام ضربات المسلمين الموجهة ، شرع يحث المجاهدين للانقضاض على الاعداء ، والرد على كسرتهم ، فقال :

« يا أهل الاسلام والايمن ، ويا حملة القرآن ، ويا أصحاب محمد (ﷺ) قد تبينت في الروم الكسرة العظيمة ، ولم يبق عند القوم من الجلد على القتال إلا ما رأيتم ، وقد كسر الله حديثهم ، فردوا على الكسرة ، وشدوا عليهم الكزة رحمكم الله ، فوالذي نفس خالد بيده ، إنني لأرجو ان يمنحكم الله اكتافهم »<sup>(١٢٣)</sup> . واستمرت معركة اليرموك أربعة أيام على امتداد الأرض والزمن ، شديدة عنيفة يعقور الجيشان فيها القتل والضرب والطعن . فقتل في يومها الرابع الذي يدعى يوم التموير - لكثرة من أصيبت عينه فيه - اربعون الفا من الروم او يزيدون على ما ذكر المؤرخون<sup>(١٢٤)</sup> .

وانطلقت جيوش المسلمين بعد هذا الانتصار العظيم نحو

المدن العربية الاخرى لتردّها الى الوطن الام . ففتحت فحل والرقّة واجنادين وبيت المقدس ودمشق وحمص وحماة وحلب (١٧٠) وبعد ذلك واصل المسلمون زحفهم الجهادي ففتحوا مصر بقيادة عمرو بن العاص ، وخاضوا سلسلة من الوقائع العنيفة في بابلين وام دنين وعين شمس والكربون والاسكندرية (١٧١)

وتستمر طلائع الفتح الاسلامي في تقدّمها ، حتى تدخل شمال افريقية . بعد معارك طويلة دامت اكثر من سبعين عاماً ، ابتداءً من فتح طرابلس سنة ٢ هـ بقيادة عمرو بن العاص (١٧٢) حتى تم فتح شمال افريقية بقيادة موسى بن نصير ، وفتح الاندلس بقيادة طارق بن زياد سنة ٩٢ هـ (١٧٣) . ومما تقيم يتبين لنا ان خطب الجهاد في فتوحات الجبهة الغربية كانت اقل من حيث العدد من مثيلاتها في فتوحات الجبهة الشرقية ، ولكن على الرغم من ذلك لم يصل إلينا من جملة خطب الفتوحات الاسلامية ما يتناسب وضخامة وقائع هذه الفتوح ، ولعل سبب ذلك أن معظم ما قيل قد ضاع ، وذهبت به عوادي الزمن ؛ إذ لا يمكننا ان نتصور ان تحدث هذه الفتوح ، وأن تقع هذه الوقائع ، ولا يكون لها أثر في الخطابة (١٧٤)

### المبحث الثالث

#### الخصائص الفنية لخطب الجهاد

تحدثنا في الصفحات السابقة عن الدور الجهادي للخطابة الاسلامية في غزوات الرسول (ﷺ) وفي حروب الردة ، وفي الفتوحات الاسلامية ، وأوضحنا كيف أنها استطاعت أن تثير حماس المسلمين وتشجعهم على الجهاد في سبيل الله . وبقي بعد هذا أن نقول : إنها امتازت بخصائص فنية مشتركة أسهمت بشكل واضح وفعال في التأثير على معنويات المجاهدين وهم يخوضون غمار المعارك ، فكانت تدفعهم هي الاخرى الى الاستبسال في القتال للظفر بإحدى الحسنين ؛ إما الشهادة وإما النصر . ويمكن اجمال اهم هذه الخصائص بالآتي :

١ - الاستشهاد بالآيات القرآنية ، والاحاديث النبوية : لقد كان الاستشهاد بالآيات القرآنية من ابرز مميزات خطب الجهاد في عصر صدر الاسلام ، ويرجع ذلك الى شدة تاثر الخطباء بالقرآن الكريم ، وحفظهم للكثير من آياته ، فاخذوا من معانيه ، واقتبسوا الكثير من آياته ، وخاصة في المواقف التي تزيد المعنى وضوحاً ، وتضاعف من وقعه وبيانه ، فيكون تأثيره

في السامعين أقوى وأشد « (١٧٥) . ومن الامثلة على استشهادهم بالقرآن الكريم :

قوله تعالى : ( لَمَثُتُ اللّٰهَ أَكْبَرُ مِنْ مَّقَاتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ ) (١٧٦) في خطبة الرسول الكريم (ﷺ) يوم بدر (١٧٧) وقوله تعالى : ( وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللّٰهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللّٰهُ الشَّاكِرِينَ ) (١٧٨) في خطبة أبي بكر (رضي الله عنه) بعد وفاة الرسول (ﷺ) . (١٧٩)

وقوله تعالى : ( لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ ) (١٨٠) في خطبة عمر (رضي الله عنه) يوم ندب الناس لقتال الفرس (١٨١) . وقوله تعالى : ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللّٰهَ وَأَطِيعُوا الرُّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ) (١٨٢) في خطبة أبي بكر (رضي الله عنه) أيضاً يوم عقد العزم على توجيه الجيوش لفتح الشام (١٨٣) .

وقوله تعالى : ( وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ) (١٨٤) في خطبة سعد بن أبي وقاص في يوم القادسية (١٨٥)

وقوله تعالى : ( إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْفَعْلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ) (١٨٦) في خطبة سعد أيضاً يوم أرمات (١٨٧) . وقوله تعالى : ( وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللّٰهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا ) في خطبة عمرو بن معد يكرب في وقعة جلولاء (١٨٨) .

وقوله تعالى : ( وَكَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللّٰهِ وَاللّٰهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ) (١٨٩) في خطبة يزيد بن أبي سفيان في وقعة الجابية (١٩٠) وفي خطبة خالد بن الوليد في معركة اجنادين (١٩١) ، وفي خطبة عبدالله بن جعفر في غزوة المهدي (١٩٢)

ومثلما استشهد الخطباء بالقرآن الكريم ، استشهدوا بالحديث النبوي الشريف ، مثل قوله ﷺ : ( الْجَنَّةُ تَحْتَ ظِلَالِ السُّيُوفِ ) الذي ورد في خطبة يزيد بن أبي سفيان المذكورة آنفاً ، وخطبة شرحبيل بن حسنة في غزوة بصرى (١٩٣) ، وخطبة عبدالله بن جعفر في معركة سوسة (١٩٤) وقوله (ﷺ) : ( سَيَفْتَحُ عَلَى أُمَّتِي كَنُوزُ كَسْرَى وَقَيْصَرُ وَالتَّمَامُ عَلَى اللّٰهِ ) الذي ورد في خطبة سعد بن أبي وقاص في يوم كوش بالعراق (١٩٥)

#### ٢ . الالفاظ والمعاني :

لقد جاءت الفاظ خطب الجهاد صافية نقية ، وسهلة عذبة ، وخالية من الغريب المستكره ، والساقط الرديء ، وتمتاز عباراتها بالجزالة والقوة والوضوح ، ويعود الفضل في ذلك الى



القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف ، اللذين أثرا فيها تأثيراً كبيراً ، فحفظت الخطابة منهما بالالفاظ والمصطلحات الآتية : الحمد لله رب العالمين ، أشهد ، الله لا إله إلا هو ، رسول الله ، الجهاد في سبيل الله ، الحي ، القيوم ، إليه المصير ، المسلمون ، يغفر الله ، الرحمة ، المغفرة ، أمنا ، شهدنا ، الأرض التي وعدكم الله في الكتاب أن يورثكموها ، إحدى الحسنيين ، الجنة ، الشهادة ، الاستشهاد في سبيل الله ، الشهيد ، الآخرة ، حزب الله ، الدعاء الى الله ، عباد الله الصالحين ، استغفر الله ، إن الله غفور رحيم ، أمير المؤمنين ، جبريل ، أطيعوا الله ، أطيعوا الرسول ، آمنوا ، الانصار ، المهاجرون ، الجبار ، الايمان ، الله مظهر دينه ، ممر ناصره ، فلاتموتن الا وانتم مسلمون ، انصرو الله ينصركم ، أهل الاسلام<sup>(٢٠٧)</sup> ، وغير ذلك من الالفاظ والمصطلحات التي زخرت بها خطب الجهاد . وحفلت خطب الجهاد ايضاً بالفاظ حماسية قوية كلها لها وقع كبير في نفوس المقاتلين مثل : قاتلوهم ، تبتوا الطعان ، جاهدوا ، شنوا عليهم باسم الله ، صابروهم ، تترسوا ، الزموا العبر ، احملاوا عليهم<sup>(٢٠٨)</sup> .

أما المعاني فكانت واضحة ودقيقة ، وفيها ابتكار وجدة ، واتساع وإحاطة وعمق وترتيب<sup>(٢٠٩)</sup> وقد استمدت الخطابة هذه الصفات من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف . نخلص من ذلك الى أن اختيار الخطباء للالفاظ الجزلة والمعاني المألوفة والعبارات الموسيقية لخطبهم ، كان له الأثر الكبير في تأجيج حماسة الجند ، ووقعه البليغ في نفوسهم ، مما دفعهم الى الاستبسال في مقارعة خصومهم ، فكان أثره بحق صديق الغيث في الترية الكريمة<sup>(٢١٠)</sup> .

### ٣ . الإيجاز والاطناب :

إن مسألة الإيجاز والاطناب في الخطابة الجهادية يحثها الظرف والمناسبة التي تقال فيها الخطابة ، فمن خلال دراستنا لهذا النوع من الخطب وجدنا أن الخطب التي كانت تقال في جموع المسلمين بعيداً عن ساحات القتال ، بعضها يمتاز بالإطناب ، إذ أن الوقت يسمح بإنشاء مثل هذه الخطب ، كخطبة الرسول ( ﷺ ) بالمدينة قبل وقعة بدر<sup>(٢١١)</sup> ، وخطبة أبي بكر ( رضي الله عنه ) بالمدينة ايضاً بعد وفاة الرسول ( ﷺ )<sup>(٢١٢)</sup> ، وبعضها الآخر يمتاز بالإيجاز ؛ إذ أن الوقت قصير وجموع المسلمين في حالة تهيؤ واستعداد للحركة كخطبة عمر ( رضي الله عنه ) يوم نذب الناس في المدينة لحرب الفرس ، وخطبة خالد بن الوليد عندما أمره أبو بكر ( رضي الله عنه ) بالتوجه الى العراق لقتال الفرس<sup>(٢١٣)</sup> وخطبة عمر ( رضي الله عنه ) وخطبة المقداد بن عمرو ، وخطبة سعد بن

معاذ عند اجتماع الرسول ( ﷺ ) واصحابه ثوئين بدر<sup>(٢١٤)</sup> أما الخطب التي كانت تقال عند تهيؤ الخصمان استعداداً للمنازلة ، وفي أثناء احتدام القتال ، وبعد انتهاء المعركة ، فمعظمها كانت موجزة ومشملة على عبارات حماسية قوية ومؤثرة ، ولها ايقاع موسيقي يهز الأسماع ويثبدها ، ومن الامثلة على ذلك : خطبة ثابت ابن الدحاح في أثناء القتال ببدر<sup>(٢١٥)</sup> ، وخطبة ثابت بن قيس في ساعات الاشتبال ضد المرتدين باليمامة<sup>(٢١٦)</sup> وخطبة المثني بن حارثة الشيباني عندما وقف على الرايات في يوم البويب<sup>(٢١٧)</sup> وخطبة خالد بن الوليد بعد أنتصاره على الفرس في وقعة الولجة<sup>(٢١٨)</sup> ، وخطبة سعد بن أبي وقاص عندما تخلل الصفوف في يوم أرمات بالقادسية<sup>(٢١٩)</sup> ، وخطبة خالد بن الوليد ايضاً عندما رتب الصفوف في وقعة اجنادين<sup>(٢٢٠)</sup> ، وخطب الاشعث بن قيس وغالب بن عبد الله الليثي وأهل النجدات من جميع القبائل في ليلة الهرير<sup>(٢٢١)</sup> وخطب أبو عبيدة الجراح وعمرو بن العاص وأبو سفيان وعمرو بن معد يكرب الزبيدي عند نشوب القتال بين المسلمين والروم في معركة اليموك<sup>(٢٢٢)</sup> على أننا وجدنا بعض الخطب قد امتازت بالطول ، مثل خطبة الرسول ( ﷺ ) عندما تهيأ المسلمون لقتال المشركين في يوم أحد<sup>(٢٢٣)</sup> وخطبة النعمان بن مقرن حين وقف على الرايات في وقعة نهاوند<sup>(٢٢٤)</sup> .

### ٤ . الاستهلال والختام :

لقد أخبرنا الجاحظ أن أغلب الخطب الاسلامية كانت تبدأ بالحمد والثناء ، وأول من قام بذلك الرسول ( ﷺ ) فاصبح تقليداً عرفه المسلمون واتبعوه في زمنه وبعد وفاته ، واطلقوا على كل خطبة خالية من الحمد لله والصلاة على نبيه اسم « البتر »<sup>(٢٢٥)</sup> .

ولو تأملنا النظر فيما وصل إلينا من خطب الجهاد وجدنا أن أكثرها تبدأ بقولهم : احمداوا الله ، يارسول الله ، والله ، والذي أنزل عليه الكتاب ، يامعشر الانصار ، يا قوم ، إن الأرض ، إياكم ، يامعشر المسلمين ، يا أيها الناس ، ألا ، إني ، يامعشر بجيلة ، إن الله هو الحق ، يامعشر العرب ، إن المسلمين ، يامعشر كنده ، يامعشر معد ، اعلموا ، إن انتصروا ، أيها المسلمون ، يا آل زبيد ، يا أهل الاسلام ، أين ، إن هذه البلاد ، ياعشيتاه ، إن عدوكم ، ياهؤلاء . إن هذا المنزل ، إنا<sup>(٢٢٦)</sup> ، يا آل هاشم ، يا آل مخزوم ، يا آل حمير ، يا آل أمية ، يا آل غسان ، يا آل لخم ، يا آل جذام ، يا آل طي ، يا آل هذيل ، يا آل ربيعة<sup>(٢٢٧)</sup> .

ولعل الذي دفع الخطباء الى افتتاح خطبهم بهذه

الفواتح ، هو رغبتهم في الاختصار والدخول في الموضوع مباشرة من غير تقديم أو الابتداء بالحمد والثناء ، إذ أن الجهاد في الظروف الحاسمة يستدعي الابتداء بتلك الفواتح بقصد إثارة الحماس وتنشيط العزائم ، ولذلك كان الخطباء اذكيا في اختيار هذه الابتداءات حتى يكون التأثير بها أقوى وأشد في نفوس المقاتلين . ولا يعني ذلك أنهم تركوا الاستهلال المتعارف عليه في خطبهم ، بل وجدت بعض الخطباء يبتدأ خطبته بعد حمد الله والثناء عليه : أما بعد ، أيها الناس ، قد علمتم ، وغيرها ، وبعضهم يبتدأ خطبته بقوله : الحمد لله ، والله أهله ، واشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أما بعد (٢١٧) .

وتفسر ذكر الحمد والثناء والشهادة والصلاة على رسول الله ( ﷺ ) أن هناك متسعاً من الوقت ، وأن الظروف تسمح باستخدام هذه الابتداءات ، أما ظروف القتال وانشغال المسلمين به فتبيح للخطيب الدخول في الموضوع مباشرة من غير الاستهلال بالحمد والثناء .

أما خواتم الخطب فهي متنوعة وغير محددة ، ومن الامثلة على ذلك قوله : ويفر الله لي وللمسلمين ، وأعد عدته ، حتى تبلفه ، فسر بنا على بركة الله ، ان كلاً لفيه الخير ، اني احب الله ورسوله ولا أفر يوم الزحف ، إن الله مظهركم وناصرهم ، اما انتصار واما استشهاد ، فاعدوا واستعدوا ، يا بني حنيفة ، وامضوا قدماً ، فإن الله قد جمعهم ، من أراد ثواب العاجل والاجل فليتكلمش ، عما أنتم عليه ، وهو يسرني لعامتكم ، اين عباد الله الصالحون ، ولها ان شاء الله ما بعدها ، قاتلوهم التماس احدى الحسنين ، الشهادة والجنة والغنيمة والجنة ، والا فالآخرة ما أردتم ، وانصروا الله ينصركم ، ودخل النار وغضب الجبار (٢٢٠) .

غير أن هناك بعض الخطب اختتمت بأي من الذكر الحكيم ، كخطبة ابي بكر ( رضي الله عنه ) يوم جمع المسلمين بعد وفاة الرسول ( ﷺ ) (٢٢١) فقد اختتمها بقوله تعالى : ( وَغَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ ) (٢٢٢) وخطبة المثلى بن حارثة الشيباني في معركة البويب (٢٢٣) فقد اختتمها بقوله تعالى : ( وَأَسْتَخْلِفُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ) (٢٢٤) واختتم سعد بن ابي وقاص خطبته في وقعة الحرة (٢٢٥) بقوله تعالى : ( رَبُّنَا أَقْرَبُ غَلْبِنَا ضَبْرُنَا وَتَوْفُنَا مُسْلِمِينَ ) (٢٢٦) .

ونخلص الى القول إن الاختتام بأي الذكر الحكيم إنما كان يقضه الخطباء من أجل التأثير في نفوس المجاهدين . ٥ . السجع :

وإذا نظرنا في موضوع السجع وجدنا أن السمة الغالبة في

خطب المجاهدين في عصر صدر الاسلام ، هي ترك السجع ، وقد يقع عرضاً في خطبهم ، « من قبيل الطبع والفطرة لا من قبيل الصنعة والتكلف » (٢٢٧) فلم يعد استخدامهم له الا قليلاً ، لانه من صناعة الكهات في الجاهلية ، وقد استخدمه الجاهليون في أغراض لا يحبها الاسلام ولا يقرها (٢٢٨) لذلك استهجنه الرسول ( ﷺ ) وقال لمن استعمله في كلامه : « أسجعاً كسجع الكهان » (٢٢٩) وكذلك رده الخلفاء على ملقزميه ، فقال عمر بن الخطاب ( رضي الله عنه ) لصحار العبدى : « أسجاع أنت أم مخبر » (٢٣٠) وقال معاوية لعبدالله بن الزبير : « تعلمت أبنا بكر السجاعة عند الكبر » (٢٣١) .

وعلى هذا فإن الخطباء قد تخففوا في هذا العصر من سجع الكهان الذي كان يثقل خطب الجاهليين ، لكونه لا يتفق وروح الاسلام وتعاليمه السمحاء التي جاءت للقضاء على البدع الجاهلية ، وإذا ما وقع شيء من السجع في خطبهم ، فقد يضفي عليها رونقاً وزينة مستحبة ، وهذا النوع نراه في خطب الرسول ( ﷺ ) وخطب اصحابه ( رضي الله عنه ) (٢٣٢) . ومن الامثلة على ذلك قوله ﷺ في خطبته يوم بدر الكبرى : « اللَّهُ عَظِيمٌ شَانُهُ ، يَأْمُرُ بِالْحَقِّ . وَيُحِبُّ الصِّدْقَ .. وَإِنَّ الصَّبْرَ فِي مَوَاطِنِ الْبَاسِ مِمَّا يَفْرَجُ اللَّهُ بِهِ الْهَمَّ ، وَيُنْجِي بِهِ مِنَ الْغَمِّ .. فَإِنْ وَعَدَهُ حَقٌّ وَقَوْلُهُ صَدَقَ .. إِلَيْهِ الْجَانَا ظَهُورُنَا ، وَبِهِ اعْتَصَمْنَا ، وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا » (٢٣٣) . وقول ابي بكر ( رضي الله عنه ) في خطبته يوم نذب المسلمين لفتح بلاد الشام « وزادكم ايماناً وبقينا ونصركم نصراً مبيناً » (٢٣٤) وقول عمر ( رضي الله عنه ) في خطبته التي شئع فيها سعد بن ابي وقاص الى القادسية : « فإما الامارات ، فالحياء والسخاء ، والهين واللين » (٢٣٥) . وقول العلاء بن الحضرمي في خطبته يوم نذب المسلمين في البحرين لقتال المرتدين في دارين : « قد أراكم من آياته في البرِّ لِيَتَمَتَّبُوا فِيهَا فِي الْبَحْرِ » . وقول عمرو بن العاص في وقعة اليرموك : « سيفتحوها كِفْراً كِفْراً وَقَضْراً قَضْراً » (٢٣٦) وقول خالد بن الوليد في خطبته في موقعة اجنادين : « واياكم ان تولوا الادبار فيعقبكم ذلك دخول النار ، واقرنوا المناكب ، ومكنوا المضارب » (٢٣٨) .

٦ . الصور البيانية والمحسنات اللغوية :

لقد حفلت خطب الجهاد بالعديد من الصور البيانية ، ويأتي استخدام الخطباء لها عن غير قصد أحياناً ، وقد برعوا في ذلك واجادوا ، وتمكنوا من توجيه عواطف المجاهدين من خلال تلك الصور المثيرة للخيال ، التي كان لها فعلها الكبير في تجلية المعاني التي طرقتها في خطبهم وتوضيحها ، وقد كانت معظم خطب الجهاد بسبب الحروب واشتداد المواقف ، أي أن الخطباء لم يتقنوها بها الا بعد حالة من الانفعال الشديد

الذي يثير كوامن النفس، ويحرك الشعور، مما يؤدي الى اشتداد الخيال، فيأتي بصور قوية وصادقة، تبهر المجاهدين وترغبهم على القتال<sup>(٢٢٩)</sup> ففي يوم ارمات دافع بنو أسد عن بجيلة وعمن معها دفاعاً عظيماً، فخطب الاشعث بن قيس في قومه بني كندة يحرضهم على القتال، مبيناً وقفة بني أسد الشجاعة وقتالها المستميت في ذلك اليوم، وبأسلوب يعتمد التصوير فقال:

« يا معشر كندة، لله درُّ بني أسد، أي فرى يَفْرُونَ<sup>(٢٣٠)</sup>، وأي مَذْيَهْزُونَ<sup>(٢٣١)</sup> عن موقفهم اليوم! أغنى كل قوم ما يليهم، وأنتم تنتظرون من يكفيكم الباس! أشهد ما أحسنتم أشوة قومكم العرب منذ اليوم، وأنهم ليقتلون ويقاتلون، وأنتم جناة على الركب تنتظرون! »<sup>(٢٣٢)</sup>

وقد برع في هذا التصوير أيضاً خالد بن الوليد في خطبته في معركة اليموك التي وقف فيها يحرض المجاهدين على الاستبسال في القتال واحكام القبضة على الروم، مصوراً هزيمة الروم وانكسارهم، فقال:

« يا أهل الاسلام والايمان، ويا حملة القرآن، ويا أصحاب محمد ( ﷺ ) قد تبينت في الكسرة العظيمة، ولم يبق عند القوم من الجلد على القتال الا مارأيتم، وقد كسر الله حديثهم، فردوا على الكسرة، وشئوا عليهم الكرة رحمكم الله، فوالذي نفس خالد بيده، إني لأرجو أن يمنحكم الله على اكتافهم<sup>(٢٣٣)</sup>. وعمد الى هذا الأسلوب أيضاً عمرو بن العاص في تصويره الكيفية التي سيتم بها فتح مدينة اليموك، والحالة المساوية التي سينتهي اليها جنود الروم في خطبته التي قال فيها:

« .. لقد سمعت ان المسلمين سيفتحونها كَفْراً كَفْراً وقُضْراً قُضْراً، فلا يهولنكم جموعهم ولا عندهم، فإنكم لو صدقتم الشد تطايروا تطاير أولاد الخجل<sup>(٢٣٤)</sup> »

ويتبين من هذه الخطبة أن الصور التي استخدمها الخطباء المجاهدون في خطبهم كانت حسية مستمدة من الواقع المحسوس، ومفهومة لدى المستمعين. كما زخرت خطبهم أيضاً بالصور البيانية غير المتكلفة، والبرئية من العيوب، فكانت في غاية الجودة والحسن<sup>(٢٣٥)</sup> فمن صور الكناية، نذكر ما قاله

خالد بن الوليد في خطبته في وقعة الدير:

« .. وهذا المدؤ قد زُخِفَ بِخَيْلِهِ .. وَكُونُوا بِمَنْ بَاغَ نَفْسَهُ لله عَزَّ وَجَلَّ<sup>(٢٣٦)</sup> ففي العبارة الاولى كناية عن تقدم جيش الروم نحو المسلمين، وفي العبارة الثانية كناية عن الاستعداد للمواجهة واخلاص النية لله عز وجل.

وما قاله زيد بن الخطاب في خطبته باليمامة: « .. عضوا على أضراسكم أيها الناس واضربوا في عدوكم<sup>(٢٣٧)</sup> كناية عن التهيؤ والاستعداد بكل قوة لضرب المرتدين.

واستخدم الخطباء المجاهدون المحسنات اللفظية، ولكن استخدامهم لها كان قليلاً وبصورة فطرية من غير قصد أو تكلف، فكان لها وقعها الجميل في خطبهم، وتأثيرها القوي في نفوس المجاهدين، ومن الامثلة على ذلك صورة الجناس الواضحة في خطبة سعد بن ابي وقاص في وقعة الحمة: « .. وارموا الخيل على الخيل تذاووا جزيل النيل<sup>(٢٣٨)</sup> وهو جناس ناقص اختلف فيه الحرف.

ونرى الجناس الناقص واضحاً في خطبة خالد بن الوليد في اليمامة: « فمن أراد ثواب العاجل والاجل فَلْيَتَنَكَّشْ<sup>(٢٣٩)</sup>. ومن صور الجناس الناقص في نوع الحرف نذكر قول عمرو بن معد يكرب الزبيدي في معركة اليموك: « .. ارضيتم بالعمار وبخول النار وغضب الجبار<sup>(٢٤٠)</sup> ».

ومن امثلة الجناس الناقص أيضاً قول جرير بن عبدالله البجلي في خطبته يوم جلولاء: « .. خطأ سَبِيحاً وعيشاً هَبِيحاً انكم الانجاد والامجاد<sup>(٢٤١)</sup> ».

كما وردت صور من الطباق في بعض الخطب، نذكر منه ماورد في خطبة طليحة بن خويلد الاسدي في قومه يوم ارمات:

« .. شَدُّوا وَلَا تَصُدُّوا، وَكُزُّوا وَلَا تَفْزُوا<sup>(٢٤٢)</sup> ».

وجاء الطباق أيضاً في خطبة عقبة بن عامر في وقعة تبسه: « .. فإذا ثبت الأمير ثبت الجيش وإذا انهزم الأمير انهزم الجيش<sup>(٢٤٣)</sup> ».

وطابق خالد بن الوليد بين الموت والحياة في أحد خطبه فقال: « .. أتيتكم بأقوام هم أحرص على الموت منكم على الحياة<sup>(٢٤٤)</sup> ».

### الهوامش

- (٣) البيان والتبيين: ابو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ( ت عبدالسلام هارون، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٤٨ م ) ٢٨٧/١ .  
(٤) صبح الاعشى: أبو العباس اللقشني ( المطبعة الاميرية

- (١) انظر: الخطابة في عصرها الذهبي: احسان النص ( دار المعارف بمصر ١٩٦٣ ) ٨ .  
(٢) انظر: الخطابة عند العرب: محمد الخضر حسين ( المطبعة السلفية بالقاهرة ١٣٤٦ هـ ) ١٣ .



بالقاهرة ١٩١٣ ( ٢١٠/١ - ٢١١ .

(٥) انظر : في ادب الاسلام : محمد عثمان علي ( دار الازاعي ط ١  
١٩٨٤ م ) ٢٢٩ - ٢٣٠ .

(٦) انظر : الخطابة في صدر الاسلام : د . محمد ظاهر درويش  
( دار المعارف بمصر ١٩٦٥ ) ٥٧/١ .

(٧) انظر الاغانى : ابو الفرج الاصلهاني ( ت عبدالستار احمد  
فراج ، طبعة الثقافة ببيروت ١٩٥٩ ) ٢١٦/١٦ ، ٢٢٢ .

(٨) انظر : الاغانى ( ط الهيئة ) ٦٩/٢٤ - ٧٠ .

(٩) البيان والتبيين ٣٤٨/١ .

(١٠) انظر : البيان والتبيين ١١٦/١ .

(١١) المصدر نفسه ٤٠٨/١ .

(١٢) انظر : المقد الفريد : ابن عبدربه ( مطبعة لجنة التاليف  
والترجمة بالقاهرة ١٩٦٧ م ) ١٢٨/٤ ، وصبح الاعشى ٢١١/١ -  
٢١٢ .

(١٣) انظر : المقد الفريد ٣٠٧/٣ .

(١٤) انظر : مجمع الامثال : ابو الفضل الميداني ( ت ابي الفضل ،  
دار الجيل بيروت ط ٢ ١٩٨٧ ) ٦٣/١ .

(١٥) انظر : المقد الفريد ٨٣/٦ .

(١٦) انظر : المصدر نفسه ١١٠/٦ .

(١٧) انظر : السيرة الحلبية : علي بن برهان الدين الحلبي ، دار  
المعرفة بيروت ( د . ت ) ٧/١ .

(١٨) البيان والتبيين ٤٣/١ ، ٣٠٨ ، ٣٦٥ .

(١٩) المصدر نفسه ٣١٢/١ .

(٢٠) الاشتقاق : ابو بكر بن دريد ( منشورات مكتبة المثنى بغداد  
ط ٢ ١٩٧٩ ) ١٦٨ .

(٢١) البيان والتبيين ٣٦٥/١ .

(٢٢) المصدر نفسه ٢٣٨/١ .

(٢٣) الاغانى ( طبعة دار الكتب ) ٦٩/١٤ .

(٢٤) المصدر نفسه ٦٦/١٤ .

(٢٥) البيان والتبيين ٣٥١/١ .

(٢٦) الاغانى ( ط دار الكتب ) ١٨٧/٤ .

(٢٧) الطبري ٢٥١/٢ وما بعدها ( ت ابي الفضل ط ٥ د . ت )  
( ٢٨ ) الاغانى ( ط الهيئة ) ٦٩/٢٤ .

(٢٩) انظر : الخطابة في عصرها الذهبي : احسان النص ٢٢ .

(٣٠) انظر : تاريخ الادب العربي - العصر الاسلامي : د . شوقي  
ضيف ( ط ٩ دار المعارف د . ت ) ١٠٦ وما بعدها .

والخطابة اصولها وتاريخها في ازهى عصورها عند العرب : محمد  
ابو زهرة ( ط ١ مطبعة العلوم بالقاهرة ١٩٣٤ ) ٤٨ وما بعدها ،

والخطابة في عصرها الذهبي : احسان النص ٣٠ وما بعدها ، وفي

ادب الاسلام : محمد عثمان علي ٢٣٦ وما بعدها .

(٣١) البيان والتبيين ٦/٢ .

(٣٢) سورة الشورى / الآية ٣٧ .

(٣٣) انظر : الطبري ١١٥/٣ .

(٣٤) المصدر نفسه ٢٧٣/٣ .

(٣٥) المصدر نفسه ١١٥/٧ - ١١٧ .

(٣٦) المصدر نفسه ٢٧٢/٣ - ٢٧٣ .

(٣٧) انظر : الطبري ٣١٩/٢ .

(٣٨) سورة الحجرات الآية ٩٤ .

(٣٩) انظر : الطبري ٢٩٤/٢ .

(٤٠) انظر : الطبري ٦٠/٣ ، وسيرة ابن هشام ( ت السقا وآخرون  
ط ٢ الباب الحلبي ) ٥٤/٤ .

(٤١) سيرة ابن هشام ٢٥٠/٤ ، والبيان والتبيين ٣١/٢ .

(٤٢) انظر : المغازي : محمد بن عمر الواقدي ( ت . د . مارسدن ،  
مطبعة جامعة اكسفورد ١٩٦٦ ) ٥٨ .

(٤٣) انظر : فتوح الشام : محمد بن عمر الواقدي ( مطبعة  
حجازي بالقاهرة د . ت ) ٢/١ .

(٤٤) انظر : الطبري ٤٤٥/٣ .

(٤٥) انظر : البيان والتبيين ٥٣/٢ .

(٤٦) انظر : سيرة ابن هشام ٢٠٧/٤ ، والطبري ١١٤/٣ -  
١١٥ .

(٤٧) انظر : المقد الفريد ١١٦/١ .

(٤٨) انظر : الطبري ٢٢٣/٣ ، ٢١٤/٤ ، وسيرة ابن هشام  
٣١١/٤ ، والبيان والتبيين ١٣٨/٣ .

(٤٩) انظر : الامامة والسياسة : ابن قتيبة الدينوري ، وهو  
المعروف بتاريخ الخلفاء ، تحقيق د . طه محمد الزيني ، الناشر

مؤسسة الحلبي وشركاه ( د . ت ) ١٢/١ - ١٣ .

(٥٠) انظر : الطبري ٥٢/٤ .

(٥١) انظر : البيان والتبيين ١١٧/١ .

(٥٢) انظر : الطبري ٤٥/٢ .

(٥٣) انظر : الطبري ٤٨٣/٣ .

(٥٤) المصدر نفسه ٤٦٥/٣ .

(٥٥) الْجُهْدُ وَالْجُهْدُ : تقول اَجْهَدُ جُهْدَكَ ، وقيل الجهد المشقة ،  
والجُهد : الطاقة . واجاهدوا العدو مجاهدة وجهاداً ، قاتله واجاهد

في سبيل الله . ونية الجهاد محاربة الاعداء ، وهو المبالغة  
واستنزاع مائى الوسع والطاقة ، من قول او فعل ، والمراد بالنية

اخلاص العمل لله وحده ( جمهرة اللغة ٧١/٢ ، تهذيب اللغة  
٣٧/٦ ، لسان العرب ١٠٧/٤ - ١٠٩ ) .

(٥٦) سورة الحجج / الآية ٧٨ .

- (٨٨) سيرة ابن هشام/١، الطبري ٤٤٨/٢ .  
 (٨٩) الطبري ٤٤٨/٢ .  
 (٩٠) انظر: سيرة ابن هشام ٦٤٦/١، والطبري ٤٤٩/٢ .  
 (٩١) انظر: سيرة ابن هشام ٦٠/٢، والطبري ٥٠٢/٢ .  
 (٩٢) انظر: مغازي الواقدي ٢١١/١ .  
 (٩٣) مغازي الواقدي ٢١١/١ .  
 (٩٤) المصدر نفسه ٢١١/١ - ٢١٢ .  
 (٩٥) انظر: المصدر نفسه ٢١١/١ - ٢١٢ .  
 (٩٦) انظر: المصدر نفسه ٢١٣/١ .  
 (٩٧) المصدر نفسه ٢٢١/١ - ٢٢٢ .  
 (٩٨) مغازي الواقدي ٢٨١/١ .  
 (٩٩) انظر: المصدر نفسه ٢٨١/١ .  
 (٩٩) مغازي الواقدي ٧٦٠/٢ .  
 (١٠٠) سورة آل عمران / الآية ١٤٤ .  
 (١٠١) سورة آل عمران / الآية ١٠٣ .  
 (١٠٢) سورة النور / الآية ٥٥ .  
 (١٠٣) البداية والنهاية : ابن كثير ( طبعة السعادة بمصر د . ت )  
 ٣١٢/٦ .  
 (١٠٤) انظر : الخطابة في صدر الاسلام : د . محمد طاهر درويش  
 ٢٤٣ .  
 (١٠٥) كافرة : مظلمة .  
 (١٠٦) الطبري ٢٤٥/٣ ، شرح نهج البلاغة ١٥٣/١٧ ، البداية  
 والنهاية ٣١٢/٦ - ٣١٣ .  
 (١٠٧) انظر : الطبري ٢٤٤/٣ وما بعدها .  
 (١٠٨) الاستيعاب في معرفة الاصحاب : ابن عبد البر ، ت  
 البجاوي ، طبع مصر ١٩٦٠ ، ٢١٥/١ .  
 (١٠٩) انظر : البداية والنهاية ٣٢٤/٦ .  
 (١١٠) الطبري ٢٩١/٣ .  
 (١١١) الطبري ٢٩١/٣ ، البداية والنهاية ٣٢٤/٦ .  
 (١١٢) الطبري ٢٩١/٣ .  
 (١١٣) الطبري ٣١٠/٣ - ٣١١ .  
 (١١٤) انظر : الطبري ٣١١/٣ ، البداية والنهاية ٣٢٩/٦ .  
 (١١٥) سورة التوبة / الآية ٤١ .  
 (١١٦) انظر : البطولة في الشعر العربي : د . شوقي ضيف ( دار  
 المعارف بمصر ١٩٧٠ ) ٤٣ - ٤٥ .  
 (١١٧) انظر : الخطابة في عصر صدر الاسلام : د . محمد طاهر  
 درويش ١٥١ .  
 (١١٨) فتوح الشام : محمد بن عبدالله الازدي ( تحقيق  
 عبدالمعزم عامر ، القاهرة ١٩٣٠ ) ٥٦ ، فلينكيش : فلينبرع .

- (٥٧) سورة المائدة / الآية ٣٥ .  
 (٥٨) سورة الفرقان / الآية ٥٢ .  
 (٥٩) سورة التوبة / الآية ٧٣ .  
 (٦٠) سورة الممتحنة / الآية ٦ .  
 (٦١) سورة الصف / الآية ١١ .  
 (٦٢) سورة البقرة / الآية ١٩٣ .  
 (٦٣) سورة محمد / الآية ٣١ .  
 (٦٤) سورة الانفال / الآية ٦٠ .  
 (٦٥) سورة الممتحنة / الآية ٦٩ .  
 (٦٦) سورة الصف / الآية ٤ .  
 (٦٧) سورة البقرة / الآية ٢٤٤ .  
 (٦٨) سورة التوبة / الآية ٣٦ .  
 (٦٩) سورة الحج / الآية ٢٩ ، ٤٠ .  
 (٧٠) سورة التوبة / الآية ٤١ .  
 (٧١) سورة البقرة / الآية ١٥٤ .  
 (٧٢) سورة آل عمران / الآية ١٦٩ .  
 (٧٣) صحيح مسلم ( بشرح النووي ، دار احياء التراث العربي  
 بيروت ط ٣ ١٩٨٤ ) ٢٤/١٣ .  
 (٧٤) صحيح مسلم ٢٠/١٣ .  
 (٧٥) صحيح سنن النسائي ( طبعة المكتب الاسلامي في بيروت  
 ١٩٨٨ م ) ٦٦٦/٢ .  
 (٧٦) انظر : الجهاد في الاسلام : محمد اسماعيل ابراهيم ( ط ١  
 دار الثقافة العربية للطباعة ١٩٦٤ م ) ٥٧ .  
 (٧٧) سورة البقرة / الآية ٢٥٦ .  
 (٧٨) سورة غافر / الآية ١٠ .  
 (٧٩) المغازي : الواقدي ( ت . د . مارسدن جونس ، مطبعة جامعة  
 اكسفورد ١٩٦٦ ) ٥٨/١ .  
 شرح نهج البلاغة : ابن ابي الحديد ( تر محمد ابو الفضل طبعة  
 البابي الحلبي ١٩٦٢ ) ١٢٠/١٤ - ١٢١ .  
 (٨٠) سيرة ابن هشام ، ٦١٤/١ - ٦١٥ ، الطبري ٤٣٤/٢ ،  
 الاغانى ١٧٦/٤ .  
 (٨١) سورة المائدة / الآية ٢٤ .  
 (٨٢) سيرة ابن هشام ٦١٥/١ ، الطبري ٤٣٤/٢ .  
 (٨٣) استمريض البحر : آتاه من جانبه .  
 (٨٤) سيرة ابن هشام ٦١٥/١ ، الطبري ٤٣٥/٢ ، الاغانى  
 ١٧٨/٤ .  
 (٨٥) المصادر السابقة : الصفحات نفسها .  
 (٨٦) سيرة ابن هشام ٦٢٧/١ ، الطبري ٤٤٨/٢ .  
 (٨٧) بكسر الخاء واسكانها : كلمة تقال للإعجاب .

- (١١٩) الرفغ : مجتمع التراب .
- (١٢٠) الطبري : ٣/٣٥٤ .
- (١٢١) انظر : فتوح الشام للأزدي ٦٨ .
- (١٢٢) انظر : الطبري ٣/٤١٤ .
- (١٢٣) سورة التوبة : الآية ٣٣ .
- (١٢٤) الطبري ٣/٤٤٥ .
- (١٢٥) الطبري ٣/٤٤٥ .
- (١٢٦) انظر : الطبري ٣/٤٤٤ - ٤٤٥ .
- (١٢٧) الطبري ٣/٤٦٥ .
- (١٢٨) المستبسل : رجل من المسلمين فر من الزحف يوم الجسر وقد عقد العزم على الاستبسال في المعركة المقبلة (البويب) .
- (١٢٩) سورة المزمل/ الآية ٢٠ .
- (١٣٠) الطبري ٣/٤٦٥ .
- (١٣١) الطبري ٣/٤٦٩ .
- (١٣٢) انظر : الطبري ٣/٤٧٤ ، ٤٧٧ ، ٤٧٨ ، ٤٨٢ ، ٤٨٣ ، ٤٨٧ .
- (١٣٣) سورة الانبياء / الآية ١٠٥ .
- (١٣٤) الطبري ٣/٥٣١ - ٥٣٢ .
- (١٣٥) انظر : شعر الفتوح الاسلامية في صدر الاسلام : النعمان عبدالمتعال القاضي (الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة ١٩٦٥ م) ١٣٢ .
- (١٣٦) سورة فاطر/ الآية ١٠ .
- (١٣٧) فتوح الاسلام لبلاد العجم وخراسان : محمد بن عمر الواقدي (الخطبة المحروسة بمصر ١٨٩٦) ٢٣ - ٢٤ .
- (١٣٨) انظر : الطبري ٣/٥٣٢ - ٥٣٥ ، ٥٣٨ - ٥٣٩ .
- (١٣٩) الطبري ٣/٥٥٤ .
- (١٤٠) المصدر نفسه ٣/٥٦٠ .
- (١٤١) انظر : المصدر نفسه والصفحة نفسها .
- (١٤٢) انظر : المصدر نفسه ٣/٥٦٣ - ٥٦٦ .
- (١٤٣) انظر : المصدر نفسه ٤/٩ ، ٢٥ ، ٢٧ ، وفتوح الاسلام للواقدي ٦٢ - ٤ ، وفتوح ابن اعثم ١/٢٧٢ - ٢٧٦ ( طبعة دائرة المعارف العثمانية حيدر آباد الركن ١٩٦٨ م ) .
- (١٤٤) اخطروتم واطروا : تراهنتم وتراهنوا وتسابقوا .
- (١٤٥) الزنة : المتاع .
- (١٤٦) الطبري ١/١٣١ - ١٣٢ .
- (١٤٧) انظر : البطولة في الشعر العربي ٥٢ ، ٥٧ .
- (١٤٨) سورة المائدة/ الآية ٣ .
- (١٤٩) سورة النساء/ الآية ٥٩ .
- (١٥٠) فتوح الشام للواقدي ٢/١ .
- (١٥١) انظر : فتوح الشام للواقدي ٢/١ .
- (١٥٢) سورة البقرة / الآية ٢٤٩ .
- (١٥٣) صحيح مسلم ١٢/٤٧ .
- (١٥٤) فتوح الشام للواقدي ١/٥ .
- (١٥٥) انظر : المصدر نفسه ١/٥ .
- (١٥٦) صحيح مسلم ١٢/٤٧ .
- (١٥٧) سورة آل عمران / الآية ١٠٢ .
- (١٥٨) فتوح الشام للواقدي ١/١٥ .
- (١٥٩) انظر : المصدر نفسه ١/١٦ وما بعدها .
- (١٦٠) انظر : المصدر نفسه ٢/١٧ وما بعدها .
- (١٦١) انظر : المصدر نفسه ١/٩٦ وما بعدها .
- (١٦٢) المصدر نفسه ١/١٢٥ .
- (١٦٣) الخجل : صفار الإبل وأولادها ( اللسان ١١/١٤٣ مادة حجل )
- (١٦٤) البداية والنهاية ٧/٩ .
- (١٦٥) المصدر نفسه والصفحة نفسها .
- (١٦٦) فتوح الشام للواقدي ١/١٢٧ .
- (١٦٧) انظر : فتوح الشام للواقدي ١/١٢٧ .
- (١٦٨) المصدر نفسه ١/١٢٨ .
- (١٦٩) انظر : المصدر نفسه ١/١٣٥ - ١٣٨ .
- (١٧٠) انظر : المصدر نفسه ١/١٣٨ وما بعدها .
- (١٧١) انظر : المصدر نفسه ٢/٣٠ وما بعدها ، والطبري ٤/١٠٤ وما بعدها .
- (١٧٢) انظر : فتوح مصر وخبارها : ابو القاسم عبدالرحمن بن عبدالله بن عبدالحكم ( طبع في مدينة ليدن ١٩٢٠ ، واعادت طبعة بالافوسيت مكتبة المتنى ببغداد ) ١٧١ .
- (١٧٣) انظر : الطبري ٦/٤٦٨ .
- (١٧٤) انظر : شعر الفتوح الاسلامية ١٦٥ .
- (١٧٥) الفروسية في أدب القرن الاول الهجري : عبادة حرز حبيب (رسالة ماجستير غير منشورة قدمت الى كلية الاداب بجامعة بغداد ١٩٨٣ م) ٣٦٦ .
- (١٧٦) سورة غافر/ الآية ١٠ .
- (١٧٧) انظر : الخطبة في المبحث الاول .
- (١٧٨) سورة آل عمران / الآية ١٤٤ .
- (١٧٩) انظر : الخطبة في المبحث الاول .
- (١٨٠) سورة التوبة/ الآية ٣٣ .
- (١٨١) انظر : الخطبة في المبحث الثاني .
- (١٨٢) سورة النساء/ الآية ٥٩ .
- (١٨٣) انظر : الخطبة في المبحث الثاني .



- (١٨٤) سورة الانبياء/ الآية ١٠٥ .
- (١٨٥) انظر : الخطبة في المبحث الثاني .
- (١٨٦) سورة فاطر/ الآية ١٠ .
- (١٨٧) انظر : الخطبة في المبحث الثاني .
- (١٨٨) سورة آل عمران / الآية ١٠٣ .
- (١٨٩) انظر : الخطبة في المبحث الثاني .
- (١٩٠) سورة البقرة/ الآية ٢٤٩ .
- (١٩١) انظر : فتوح الشام للواقدي ٥/١ .
- (١٩٢) انظر : المصدر نفسه ٢٧/١ .
- (١٩٣) انظر : فتوح الفريقية لابي عبدالله محمد بن عمر الواقدي ، مطبعة المنار بتونس ١٩٦٦ م ١٢/١ .
- (١٩٤) انظر : الخطبة في فتوح الاسلام للواقدي ٤١ ، والحديث في مسند ابن حنبل ( طبعة قرطبة ) ٢١٠/١ .
- (١٩٥) انظر : فتوح الفريقية ١٠١ .
- (١٩٦) انظر : الخطبة في المبحث الثاني .
- (١٩٧) انظر : الخطب التي تم الاستشهاد بها في هذا البحث .
- (١٩٨) انظر : الخطب التي تم الاستشهاد بها في هذا البحث .
- (١٩٩) انظر : الخطب التي تم الاستشهاد بها في هذا البحث .
- (٢٠٠) انظر : البيان والتبيين ٨٢/١ ، والفروسية في ادب القرن الاول الهجري ٣٦٠ .
- (٢٠١) انظر : الخطبة في البحث الاول .
- (٢٠٢) انظر : الخطبة في المبحث الاول .
- (٢٠٣) انظر : الخطبة في المبحث الثاني .
- (٢٠٤) انظر : الخطبة في المبحث الثاني .
- (٢٠٥) انظر : هذه الخطب في المبحث الاول .
- (٢٠٦) انظر : الخطبة في البحث الاول .
- (٢٠٧) انظر : الخطبة في المبحث الاول .
- (٢٠٨) انظر : الخطبة في المبحث الثاني .
- (٢٠٩) انظر : الخطبة في المبحث الثاني .
- (٢١٠) انظر : الخطبة في المبحث الثاني .
- (٢١١) انظر : فتوح الشام للواقدي ٢٧/١ .
- (٢١٢) انظر : الطبري ٥٦٣/٣ - ٥٦٦ .
- (٢١٣) انظر : فتوح الشام للواقدي ١٢٥/٢ والبداية والنهاية ٩/٧ .
- (٢١٤) انظر : الخطبة في المبحث الاول .
- (٢١٥) انظر : الخطبة في المبحث الثاني .
- (٢١٦) البيان والتبيين ٦/٢ .
- (٢١٧) انظر : الخطب التي تم الاستشهاد بها في هذا المبحث .
- (٢١٨) انظر : خطبة عقبة بن عامر في غزوة تبسه في فتوح
- الفريقية للواقدي ص ١٠٩ .
- (٢١٩) انظر : الخطب التي تم الاستشهاد بها في هذا البحث .
- (٢٢٠) انظر : الخطب التي تم الاستشهاد بها في هذا البحث .
- (٢٢١) انظر : الخطبة في المبحث الاول .
- (٢٢٢) سورة النور/ الآية ٥٥ .
- (٢٢٣) انظر : الخطبة في المبحث الثاني .
- (٢٢٤) سورة المزمل/ الآية ٢٠ .
- (٢٢٥) انظر : فتوح الاسلام للواقدي ٢٠ .
- (٢٢٦) سورة الاعراف/ الآية ١٢٦ .
- (٢٢٧) النثر الفني واثر الجاحظ فيه : عبد الحكيم بليغ ( طبع مكتبة الانجلو المصرية ١٩٦٢ م ) ١١٨ .
- (٢٢٨) انظر : الخطبة في صدر الاسلام : د . محمد طاهر درويش ٤٥٧/١ ، والفروسية في ادب القرن الاول الهجري ٣٦٠ .
- (٢٢٩) كتاب الصناعتين : ابو هلال العسكري ( ت علي البجاوي وابي الفضل ابراهيم ، طبعة البابي الحلبي بمصر ١٩٧١ ) ٢٦٧ .
- (٢٣٠) الطبري ( ط ٤ ت ابي الفضل د . ت ) ١٨٢/٤ .
- (٢٣١) البيان والتبيين ٣٠١/١ .
- (٢٣٢) انظر : الخطبة في صدر الاسلام : د . محمد طاهر درويش ٤٢٧/١ .
- (٢٣٣) انظر : الخطبة في المبحث الاول .
- (٢٣٤) انظر : الخطبة في المبحث الثاني .
- (٢٣٥) الطبري ٤٨٥/٣ .
- (٢٣٦) انظر : الخطبة في المبحث الاول .
- (٢٣٧) انظر : الخطبة في المبحث الثاني .
- (٢٣٨) فتوح الشام للواقدي ٣١/١ .
- (٢٣٩) انظر : الفروسية في ادب القرن الاول الهجري ٣٦٢ .
- (٢٤٠) الفري : الامر العظيم ، ويقال فلان يفري اذا كان ياتي بالعجب في عمله .
- (٢٤١) الهذ : القطع .
- (٢٤٢) الطبري ٥٣٩/٣ .
- (٢٤٣) فتوح الشام للواقدي ١٢٨/١ .
- (٢٤٤) البداية والنهاية ٩/٧ والخجل : صفار الإبل وأولادها .
- (٢٤٥) انظر : الفروسية في ادب القرن الاول الهجري ٣٦٣ ، ٣٦٤ .
- (٢٤٦) انظر : فتوح الشام ١٨/١ .
- (٢٤٧) الطبري ٢٩١/٣ .
- (٢٤٨) فتوح الاسلام للواقدي ٢٠ .
- (٢٤٩) فتوح الشام للزدي ٥٦ .
- (٢٥٠) فتوح الشام للواقدي ١٢٧/١ .

(٢٥٣) فتوح المريقبة ١٠٩ .  
(٢٥٤) الطبري ٣/٢٤٤ .

(٢٥١) فتوح الشام للواقدي ٦٢ ، والفتوح لابن اعثم ٢٧٣/١ .  
(٢٥٢) الطبري ٣/٥٣٩ .

### مصادر البحث ومراجعته

- ١٤- الخطابة أصولها وتاريخها في أزهي عصورها عند العرب : محمد أبو زهرة ، مطبعة العلوم بالقاهرة ط ١ ١٩٣٤ م .
- ١٥- الخطابة عند العرب : محمد الخضر حسين ، المطبعة السلفية بالقاهرة ١٣٤٦ هـ .
- ١٦- الخطابة في صدر الاسلام : د . محمد طاهر درويش ، دار المعارف بمصر ١٩٦٥ م .
- ١٧- الخطابة في عصرها الذهبي ، احسان النص ، دار المعارف بمصر ١٩٦٣ م .
- ١٨- السيرة الحلبية في سيرة الامين المامون انسان العيون : علي بن برهان الدين الحلبي ، دار المعرفة بيروت ( د . ت ) .
- ١٩- السيرة النبوية : ابن هشام ، أبو محمد عبد الملك بن هشام ( ٢١٨ هـ ) تحقيق مصطفى السقا وآخرون ، ط ٢ البابي الحلبي ( د . ت ) .
- ٢٠- شرح نهج البلاغة : ابن ابي الحديد ، عبد الحميد هبة الله المدائني ( ٦٥٥ هـ ) تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، طبعة البابي الحلبي ١٩٦٢ م .
- ٢١- شعر الفتوح الاسلامية في صدر الاسلام : النعمان عبد المتعال القاضي ، الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة ١٩٦٥ م .
- ٢٢- صبح الاعشى : القلقشندي ، أبو العباس احمد بن علي ( ٨٢١ هـ ) المطبعة الاميرية القاهرة ١٩١٣ .
- ٢٣- صحيح سنن النسائي : أبو عبد الرحمن بن شعيب ( ٣٠٣ هـ ) صحح احاديثه محمد ناصر الدين ، طبع المكتب الاسلامي ، ط ١ بيروت ١٩٨٨ م .
- ٢٤- صحح مسلم بشرح النووي : أبو الحسن مسلم بن الحجاج ( ٢٦١ هـ ) دار احياء التراث العربي ط ٣ بيروت ١٩٨٤ م .
- ٢٥- الصناعتين : أبو هلال العسكري الحسن بن عبدالله ( ٣٩٥ هـ ) تحقيق علي محمد البجاوي ، ومحمد أبو الفضل ابراهيم ، طبعة البابي الحلبي ، مصر ١٩٧١ م .
- ٢٦- المعقد الفريد : ابن عبد ربه ، احمد بن محمد الاندلسي ، تحقيق احمد امين وآخرون ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة ، القاهرة ١٩٦٧ م .
- ٢٧- الفتوح ، ابن اعثم الكوفي ( ٣١٤ هـ ) مطبعة دائرة المعارف العثمانية ، الهند ١٩٦٨ م .

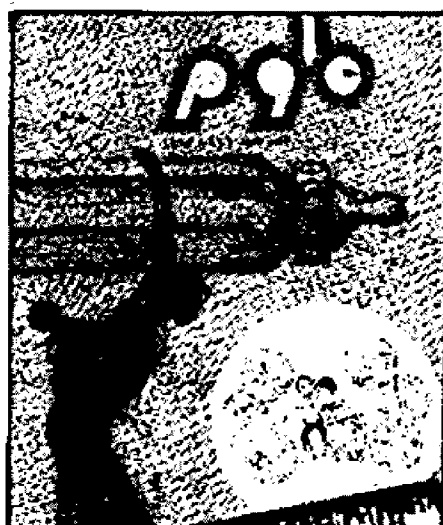
- ١- القرآن الكريم
- ٢- الاستيعاب في معرفة الاصحاب : ابن عبد البر ، أبو عمر يوسف بن عبدالله ( ٤٦٣ هـ ) تحقيق علي محمد البجاوي ، مطبعة نهضة مصر ، القاهرة ١٩٦٠ م .
- ٣- الاشتقاق : ابن دريد ، أبو بكر محمد بن الحسن ( ٣٢١ هـ ) تحقيق عبدالسلام هارون ، ط ٢ منشورات مكتبة المثنى ، بغداد ١٩٧٩ م .
- ٤- الاغانى : الاصفهاني ، أبو الفرج علي بن الحسين ( ٣٥٦ هـ ) طبعة دار الكتب المصرية ١٩٢٧ ، وطبعة الهيئة ١٩٧٤ ، ونسخة اخرى بتحقيق عبدالستار احمد فراج ، طبعة دار الثقافة بيروت ١٩٥٩ م .
- ٥- الامامة والسياسة ( تاريخ الخلفاء ) : ابن قتيبة الدينوري ( ٢٧٦ هـ ) تحقيق د . طه محمد الزيني ، الناشر مؤسسة البابي الحلبي وشركاه ( د . ت ) .
- ٦- البداية والنهاية : ابن كثير عماد الدين أبو الفداء الدمشقي ( ٧٧٤ هـ ) طبعة السعادة بمصر ( د . ت ) .
- ٧- البطولة في الشعر العربي : د . شوقي ضيف ، دار المعارف بمصر ( د . ت ) .
- ٨- البيان والتبيين : الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر ( ٢٥٥ هـ ) تحقيق عبدالسلام هارون ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٤٨ م .
- ٩- تاريخ الادب العربي - العصر الاسلامي : د . شوقي ضيف ، دار المعارف بمصر ط ٩ ( د . ت ) .
- ١٠- تاريخ الرسل والملوك : الطبري أبو جعفر محمد بن جرير ( ت . ٣١٠ هـ ) تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، ط ٥ دار المعارف بمصر ( د . ت ) .
- ١١- تهذيب اللغة : الأزهرى ، أبو منصور محمد بن احمد ( ٣٧٠ هـ ) تحقيق عبدالسلام هارون ، الدار المصرية ١٩٦٥ م .
- ١٢- جمهرة اللغة : ابن دريد ، أبو بكر محمد بن الحسن ( ٣٢١ هـ ) مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ، ( حيدر آباد الدكن ) ، ١٣٤٥ هـ .
- ١٣- الجهاد في الاسلام : محمد اسماعيل ابراهيم ط ١ دار الثقافة العربية للطباعة ١٩٦٤ م .

٢٥- لسان العرب : ابن منظور ، ابو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (٧١١هـ) دار صادر بيروت (د.ت).  
 ٢٦- مجمع الامثال : الميداني ، ابو الفضل احمد بن محمد (٥١٨هـ) دار الحيل بيروت ط ٢ ١٩٨٧ م.  
 ٢٧- مسند احمد بن حنبل : احمد بن محمد الامام (٢٧٦هـ) طبع مؤسسة قرطبة - الاندلس (د.ت).  
 ٢٨- المعجم المهرس لالفاظ الحديث النبوي الشريف : ليف من المشرقين ، دار الدعوة استنبول ١٩٨٦ .  
 ٢٩- المعجم المهرس لالفاظ القرآن الكريم : محمد الواد عبد الباقي ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ١٣٦٤ م .  
 ٤٠- المغازي : ابو عبدالله محمد بن عمر الواقدي (٢٠٧هـ) تحقيق د. مارسون ، اكسفورد ١٩٦٦ م .  
 ٤١- النثر الفني واثر الجاحظ فيه : عبد الحكيم بليغ ، مكتبة الانجلو المصرية ١٩٦٢ م .

٢٨- فتوح الاسلام لبلاد العجم وخراسان : ابو عبدالله محمد بن عمر الواقدي (٢٠٧هـ) المطبعة المحروسة بمصر ١٨٩٦ .  
 ٢٩- فتوح الرقيقة : ابو عبدالله محمد بن عمر الواقدي (٢٠٧هـ) مطبعة المنار تونس ١٩٦٦ م .  
 ٣٠- فتوح الشام : الازدي محمد بن عبدالله (١٦٥هـ) تحقيق عبدالمنعم عامر ، مطبعة سجل العرب ، القاهرة ١٩٣٠ م .  
 ٢١- فتوح الشام : ابو عبدالله محمد بن عمر الواقدي (٢٠٧هـ) مطبعة حجازي بالقاهرة (د.ت) .  
 ٣٢- فتوح مصر واخبارها : ابو القاسم عبدالرحمن الحكم (٢٥٧هـ) ليدن ١٩٢٠ ، مكتبة المثنى بغداد .  
 ٣٣- الفروسية في ادب القرن الاول الهجري : عبادة حرز حبيب ، رسالة ماجستير غير منشورة في آداب بغداد ١٩٨٣ م .  
 ٣٤- في ادب الاسلام : محمد عثمان علي ، دار الازاعي ط ١ ١٩٨٤ م .

• • • •

### صدر حديثاً عن دار الطؤون الثقافية العامة



# لغة الشعر عند أبي تمام

تأليف: د. محمد المزاوي

كلية التربية ( ابن رشد ) - جامعة بغداد

## التمهيد

أبو تمام والجديد :

لم يكن أبو تمام أول من اتجه بالشعر العربي وجهة جديدة ، فقد سبقه إلى هذا شعراء ، أبرزهم بشار بن برد ومسلم بن الوليد اللذان ظهر في شعرهما مالم يمهد النقاد ، واللغويون منهم بوجه خاص ، من سمات في اللفظة المفردة والجملة . فاما بشار فقد أراد أن يفتح للشعراء باب التصرف في اللغة فاستحدث صيغاً ، وابتكر مشتقات لم ترد في كلام العرب ، فانكرها اللغويون عليه ، وعدوها من أخطائه . قال بشار :

والآن اصر عن سمية باطلني وأشار بالسجل عليّ تشر  
وقال :

على الغزلى مني السلام فريما . لهوت بها في ظل مخضرة زهر  
فطعن الاخفش في هذين البيتين وقال : « لم يسمع من  
الوجل والغزل ( فُغِل ) ، وانما قاسهما بشار ، وليس هذا مما  
يقاس ، وانما يعمل فيه بالسمع » (١) .

واما مسلم بن الوليد فهو « أول من حاول أن يجعل من  
الشعر ابداعاً جمالياً في الالفاظ » (٢) . وقد قال عنه ابن قتيبة :  
« أول من الطف في المعاني وراق في القول » (٣) . فالناظر في شعر  
بشار ومسلم بن الوليد واجه فيهما ملامح جديدة تشير إلى أن  
الشعر العربي بدأ يدخل في عهد جديد ، فارق فيه ما عرف من  
قيم تعبيرية ظلت متوارثة عدة قرون . وقد أقر النقاد لهذين  
الشاعرين بأنهما رائدان لما صار يعرف في القرن الثالث بالشعر  
المحدث . فبشار قيل عنه : إنه « استأذ المحدثين من يحره  
اغترفوا ، واثره اقتفوا » (٤) .

والذي يدلنا على أن بشاراً شق للشعر العربي طريقاً  
جديدة ، هو أن الاصمعي فضله على مروان بن أبي حفصة « لأن  
مروان اخذ بمسالك الاوائل ، سلك طريقاً كثر سلاكه فلم يلحق

بمن تقدمه ، وإن بشاراً سلك طريقاً لم يسلكه احد فالفرد به ،  
وأحسن فيه » (٥) .

لقد اختلفت نظرة بشار إلى الشعر ، فحين سئل : « بم  
لقت اهل عمرك ، وسبقك اهل عصرك ، قال : لاني لم أقبل كل  
ما تورده عليّ قريحتي ، ويداجيني به طبعي ، ويبعثه فكري ، ولا  
والله ماملك قيادي الاعجاب بشيء مما آتي به » (٦) . وفي هذا  
القول « ما يشير إلى أن الشعر في رأي بشار فن ، فلا يكفي ان  
يعبر الشاعر طبيعياً ، بل المهم هو كيفية تعبيره ، فالطبع بذاته  
لا يتضمن قيمة شعرية بالضرورة وانما يجب اخراجه فناً ، وفي  
هذا القول ما يشير ايضاً إلى أن بشاراً يرى ان الشعر بحث  
مستمر ، ومن هنا لا يعجب الشاعر بما انجزه ، ذلك انه مأخوذ  
بما لم ينجزه بعد » (٧) .

ولم يكن أبو تمام ليختلف عن بشار في نظره إلى الشعر ،  
فقد كان شاعراً جانب ( الطبع ) واعتمد على ( الصنعة ) في  
شعره ، إذ كان يمتدح أن الشعر فن ، وأن الفن لا يواتي صاحبه  
إذا ارسل نفسه على سجيته ، واخذ ما يطفو على سطح  
خاطره ، بل لابد له لكي يكون الفن فناً أن يبذل جهداً ، وأن  
يشقى شقاء ما ، حتى يستوي له الفن ، ويواتيه منه  
ما يرضيه (٨) .

وكما كان بشار غرضاً لسهام اللغويين ومن تابهم من  
النقاد ، فلم يثنه ذلك عن المضي في طريق التجديد ، كذلك لقي  
جديد أبي تمام إعراضاً عنه ، وطعناً عليه ، نقد حار اللغويين  
والنقاد المحافظون في شعره ، فلم يقبلوا عليه ، ولم يسيغوه ،  
وما سبب ذلك الا لأن اللغويين الفوا شعر القدماء ، فذلت لهم  
سبله ، ووضحت امامهم معالمه ، اما شعر أبي تمام فقد كان  
جديداً عليهم ، وكانت هذه الجدة سبب خيبتهم فيه ، واعراضهم  
عنه . وقد تلعب الصولي لذلك ، فقال محللاً اسباب اعراض  
اللغويين عن الشعر الجديد وشعر أبي تمام خاصة : « أما ما  
حكى عن بعض العلماء في اجتناب شعره - أي أبي تمام -  
وعيبه ، ولا اسمي منهم احداً لصيانتني لاهل العلم جميعاً ،  
وابقائني عليهم ، وحياطتي لهم ، فلا تنكر ان يقع ذلك منهم .



لان اشعار الآوائل قد نلت لهم ، وكثرت لها روايتهم ، ووجدوا أئمة قد ماشوها لهم ، وراضوا معانيها ، فهم يقرؤونها سالكين سبيل غيرهم في تفاسيرها ، واستجادة جديدها ، وعيب رديتها ، والفاظ القدماء وإن تفاضلت فأنها تتشابه ، وبعضها أخذ برقاب بعض ، فيستدلون بما عرفوه منها على ما انكروه ، ويقوون على صعبها بما نلوه ، ولم يجدوا في شعر المحدثين في عهد بشار أئمة كائمتهم ولا رواة كرواتهم ، الذين تجتمع فيه شرائطهم ، ولم يعرفوا ما كان يضبطه ويقوم به ، وقصروا فيه قجهلوه وعادوه « (١٧) »

ولكن شعر أبي تمام لم يعم في القرن الثالث الهجري بعض اللغويين الذين تفاوتت احكامهم فيه بين الاستحسان والاستهجان ، من هؤلاء اللغويين التوزي الذي سئل عن شعر أبي تمام فقال : « فيه ما استحسنته وفيه ما لا اعرفه ولم اسمع بمثله » (١٨) ومنهم ايضاً أبو حاتم السجستاني الذي قال عنه الصولي : « أنشد أبو حاتم شعراً لأبي تمام فاستحسن بعضه واستقبح بعضاً » (١٩)

وهناك لغويون قبلوا شعر أبي تمام ، واذنوا له في دخول كتبهم ومصنفاتهم ، ومن هؤلاء المبرد الذي عده ابن سنان الخفاجي من المتسامحين الذين قبلوا الشعر الجديد عامة ، ولم يروا تفضيل القديم عليه (٢٠) وما كتابه ( الروضة ) إلا دليل على تسامح المبرد ، فقد قصره على شعر المحدثين (٢١)

ثم رزق الشعر الجديد عامة وشعر أبي تمام خاصة في القرن الثالث الهجري نقاداً غير اللغويين المتسامحين ، اقبلوا عليه ، واحسنوا درسه ، وكان هؤلاء النقاد هم الكتاب والادباء الذين تلمذوا لأئمة اللغة والنحو ، وأفادوا منهم ، ولكنهم لم يرثوا عنهم نظرتهم للجديد ، بل اقبلوا عليه ، وعُذوا به اشد عناية ، ونقدوا عناصره ، فنوهوا بالمقبول منها والمرذول ، فاستحقوا لذلك ان يكونوا العلماء بالشعر ، البصراء بجوهره . قا الجاحظ : « طلبت علم الشعر عند الاصمعي فوجدته لا يحسن الا غريبه ، فرجعت الى الاخفش فوجدته لا يتقن الا اعرابه ، فعطفت على أبي عبيدة فوجدته لا ينقل الا ما اتصل بالاخبار ، وتعلق بالايام والانساب ، فلم اظفر بما اردت الا عند ادباء الكتاب » (٢٢)

وجاء ابن قتيبة فعزز الرأي القائل بوجوب الاهتمام بالجديد ، ونبذ التعصب للقديم ، وقال : « ... ولا نظرت الى المتقدم منهم بعين الجلالة لتقدمه ، والى المتأخرين منهم بعين الاحتقار لتأخره ، بل نظرت بعين العدل على الفريقين ، وأعطيت كلأ حظهم ، ووفرت عليه حقه » (٢٣) ثم انحنى باللوم على من كان من علماء عصره « يستجيد الشعر السخيف لتقدم قائله ، ويضعه في متخيره ، ويرذل الشعر الرصين ، ولا عيب له عنده الا انه قيل في زمانه او انه رأى قائله » (٢٤) وعُني ابن المعتز بالشعر المحدث فدرسه والف فيه . وعلى ذلك فان اتجاهها جديداً

في درس الادب ونقده ، قد بدأ يظهر وتتضح ملامحه ، وإن النقاد أحسوا بوجوب الالتفات الى الشعر الجديد ، وتقويمه ، ووضع الاسس التي تصلح للمفاضلة بين منشئيه . اما اللغويون فقد شرعوا يتركون ميدان النقد ، وإن لم يودعوه ، بعد ان تصدى الادباء والكتّاب لهذه المهمة . وما ان جاء القرن الرابع حتى خفتت الحماسة للشعر القديم ، وتضاوت ، واصبح اكثر النقاد مجمعين على التسليم بأنه لا فضل لقديم على محدث ، ولا لمحدث على قديم إلا بالاجادة (٢٥)

### الاستخدام الفني للغة :

من الواضح ان اللغة تستخدم ضربين من الاستخدام ، الاستخدام العادي ، وبه تنقل الافكار من المتكلم الى السامع ، وأن على الانسان ان يلتزم في حديثه العادي لغة الجماعة ، ويخضع لما تتبع هذه اللغة من نظام في اصواتها ومفرداتها وتراكيبها واساليبها ، كما يتقيد بمفردات الالفاظ ، فلا يحيد عن شيء من ذلك ، ليضمن للغة ان تؤدي عنه ما يريد . ولو حاول فرد ان يخرج في حياته عن النظام اللغوي للجماعة ، بان يخلق لنفسه لغة يتفاهم بها ، لما وجد من يفهم حديثه ، ويصح للجماعة ان تسخر منه ، وتصفه بالشذوذ والمروق (٢٦)

غير ان الذي يحدث في ميدان الحياة العملية لا يصح في عالم الشعر والادب ، فاذا تقيد الفرد العادي في حياته العامة بلغة الجماعة ، وخضع لنظامها وقوانينها ، وجدنا الشاعر يتمتع بقدر كبير من الحرية الفنية في استخدام اللغة . فمع التزام الشاعر بقواعد اللغة واصولها ، ومع رعايته لقوانينها فهو حر - بحدود ما يمدح - في استخدام هذه اللغة ، ويملك من امرها ما لا يملك الانسان العادي من امر لغته .

ان لغة الشعر لا تقتصر على نقل الافكار فقط ، بل هي الى جانب تاديتها هذه الوظيفة الاساسية ، غاية بذاتها ، او هي اداة الخلق الفني ، لا تلتزم احياناً الاطار اللغوي الشائع . ولو اتبع الشاعر التركيب اللغوي الاعتيادي لكان كلامه نوعاً من التقليد البحت ، او شكلاً من اشكال الكلام الذي يفتقر الى الاساس الاول الذي يبنى عليه اي خلق ادبي ، وهو رؤية الفنان الذاتية ، وقدرته الخاصة على صياغة اثره الفني في صورة جديدة ، تدهش القارئ ، وتلفت ، انتباهه الى عبقرية الشاعر في تعامله مع اللغة .

فاللغة عند الشاعر الحق - في بعض الاحيان - تتخذ اشكالاً غير التي يتداولها الناس ويتواصلون بها ، فلا نجد فيها الفاظاً كثر استخدامها حتى بليت ، وامحت معالمها ، وبهتت ظلالها ، فلم تعد تقدر على تحريك او اثارة . ولاتحكم تلك اللغة غالباً علاقات وارتباطات عامة الفها الناس ، وسكنوا اليها ، حتى استحالت الى ما يشبه الاصطلاحات الجامدة . ان مهمة

الشاعر احياناً في اقامة علاقات جديدة بين الالفاظ ، وابتداع سياق لغوي مملوء بالايحاء<sup>(١٩)</sup> يأتي الشاعر المبدع الى الكلمة ، وهي اداة عادية ، فيجعلها تدل دلالة غير مألوفة ، واول ما يلجأ اليه ليجعل الكلمة العادية غير عادية هو ان يستعملها بارتباط غير مألوف<sup>(٢٠)</sup> وكان ابو تمام مولعاً لهذا النحو من التصرف في اللغة . وسيأتي بيان ذلك .

اولاً : لغة الشعر عند ابي تمام من منظار نقدي

١

### المفردات

لقد عرض النقاد لغة ابي تمام على ضربين من المقاييس ، فنظروا في لغته في ضوء مقاييس الجودة والرداءة ، فحكموا لبعض مفرداته وتراكيبه بالجودة ، وحكموا على اخرى بالرداءة . ونظروا في لغته مرة اخرى في ضوء قواعد اللغة وقوانينها ، فحكموا على بعض مفرداته وتراكيبه بمخالفة تلك القواعد والقوانين ، وسنشير في هذا البحث الى ما تمخض عنه كلا النظريتين من نتائج واحكام بادئين بما اسفر عنه نقد لغة ابي تمام في ضوء مقاييس الجودة والرداءة ، وعاطفين على ذلك بما نجم عن النظر في لغته بمقتضى مقاييس الخطأ والصواب .

### الصيغة او البناء :

من المعروف ان الذوق العربي يستحلي اللفظ القليل الاحرف ، فيديره في الكلام ، ويكثر منه في الاستعمال ، كما يستقل اللفظ الطويل ، وينفر منه . واللفظة العربية لا تزيد في اقصى حالات طولها على سبعة احرف ، اما المفردات التي تزيد حروفها على ذلك فقد عدوها دخيلة ، او مقحمة مصنوعة ، لم ينطق بها العرب .

وقد نظر النقاد الى صيغة الكلمة اوبنائها ، واتخذوه مقياساً من مقاييس الجودة والرداءة ، او المفاضلة بين المفردات . فاشتراط ابن سنان الخفاجي ان تكون الكلمة الفصيحة « معتدلة غير كثية الحروف ، فانها متى ما زادت على الامثلة المعتادة المعروفة قبحت ، وخرجت عن وجه من وجوه الفصاحة »<sup>(٢١)</sup> . ويمقتضى هذا المقياس عاب ابن سنان على ابي تمام قوله :

فلانربيجان اختيال بعدما كانت معرس عبرة ونكال  
سمجت ونهنها على استسماجها ماحولها من نضرة وجمال

فقال : « فقلوه : فلانربيجان كلمة رديئة لطولها وكثرة حروفها ، وهي غير عربية ، ولكن هذا وجه قبحها . وكذلك قوله في البيت الثاني : استسماجها رديء لكثرة الحروف ، وخروج الكلمة بذلك عن المعتاد في الالفاظ الى الشاذ النادر »<sup>(٢٢)</sup> وعاب ابن سنان ايضاً قول ابي تمام :

فقال : « فليس بقبح قوله ( باستماعك ) خفاء ، لكثرة الحروف على ما ذكرناه لا غير »<sup>(٢٣)</sup> وعاب ابن سنان كذلك قول ابي تمام :

الميس تعلم ان حوباواتها ربح اذا بلغتك ان لم تُنحر

فقال ابن سنان : « وحوباواتها كلمة طويلة »<sup>(٢٤)</sup> ويخالف ابن الاثير ابن سنان في هذا المقياس من مقاييس نقد الالفاظ ، فقد ذهب الى ان الطول لا يوجب دائماً قبح اللفظة ، واستدل على ذلك بان في القرآن الكريم الفاظاً طويلاً ، وهي مع ذلك حسنة كقوله تعالى ( فسيفيكهم الله ) وقوله : ( ليستخلفنهم في الارض ) ، وانتهى ابن الاثير الى ان الطول الناجم عن الزيادة على الاصول غير قبيح في بعض الاحيان ، اما الطول الناجم عن كثرة الحروف الاصول فهو قبيح . وعلى هذا الاساس استنكر ابن الاثير كلمة ( جحمرش ) و ( صهسلق ) ، وهما من الخماسي المجرد ، ولم يستقبح كلمة ( فسيفيكهم ) وكلمة ( ليستخلفنهم ) لان الطول فيهما ليس اصلاً وانما هو طارئ عليها بسبب حروف وضمائر لحقت بهما ، وهما اصلاً من البناء الثلاثي<sup>(٢٥)</sup> .

ومما يتعلق بهذا المقياس ان الكلمة تحسن احياناً اذا كانت مفردة ، فاذا جمعت او ثنيت قبحت ، واستحقت الاطراح . ومن الامثلة على ذلك ان كلمة ( اخذع ) وودت في بيتين فكانت في احدهما مستملحة رائعة ، وكانت في الاخرى ثقيلة مستكرهة . قال الصمة بن عبد الله :

تلقت نحو الحي حتى وجعلني وجعت من الاصفاء ليتاً واخدا

وقال ابو تمام :

يادهر قوم من اخذعك فقد اضجبت هذا الانام من خرقك

فعلق ابن الاثير على البيتين بقوله : « الا ترى انه وجد لهذه اللفظة في بيت ابي تمام من الثقل على السمع والكراهية في النفس اضمافاً ما وجد لها في بيت الصمة بن عبد الله من الروح والخفة والايناس والبهجة ، وليس سبب ذلك الا انها جاءت

موحدة في أحدهما مثناة في الآخر، وكانت حسنة في حال الأفراد مستكرهة في حالة التثنية، والا فاللفظة واحدة، وإنما اختلاف صيغتها فعل بها ما ترى» (٢١).

وإذا كانت (أخضع) جاءت معيبة في شعر أبي تمام لأنها وردت مثناة فيه، فإن كلمة (صوف) عابها بعض النقاد لأنها جاءت مفردة في قول أبي تمام:

كانوا برود زمانهم فتصدعوا فكانما لبس الزمان الصوفا

نقل ابن الأثير عن بعض النقاد أنهم عابوا كلمة (الصوف)، وذكروا أن سبب عيبها وقوعها مفردة في شعر أبي تمام، على حين وقعت مجموعة في قوله تعالى: (وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتاً تستخفونها يوم ظعنكم ويوم أقامتكم ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثاً ومتاعاً إلى حين) (٢٢)، فرد ابن الأثير على عابيه لفظه أبي تمام رداً مقنعاً، لأنه كشف عن موطن العيب في الكلمة فرد لا إلى كونها مفردة أو مجموعة، وإنما لأنها جاءت مجازية في نسبتها إلى الزمان (٢٣).

وعاب عبد القاهر الجرجاني كلمة أخرى لأبي تمام بسبب صيغتها أو وزنها، فقد استحسّن هذا الناقد الفعل (حاك) الذي استعمله البحتري في قوله:

لصاغ ما ساغ من ثبر ومن ريق وحاك ما حاك من وثني ودياج

ولكنه استقبح أن يورد أبو تمام اسم فاعل منه فيقول:

أنا الذي غادى نمجه قلت أنه قلت حقب حرس له وهو حالك

فذهب عبد القاهر إلى أن لفظة (حالك) في غاية القبح والركاكة، والذي قاله البحتري (وحاك ما حاك) حسن (٢٤).  
الغريب:

لقد عاب النقاد الغرابية في المفردات، وعدوها مخلة بفصاحة الكلام، وإذا استثنينا اللغويين الذين شجعوا الغريب، رغبة في جمع اللغة، ويحثاً عن الشاهد، فإن أكثر النقاد انحازوا إلى السهولة، وظل ذلك ديدنهم. ومما لفت نظر النقاد في شعر أبي تمام غرام هذا الشاعر بالغريب، وجريه وراء النادر من الصيغ والكلمات، فعابوا ذلك عليه، غير أن الأمدي لم يعب الغريب دائماً، بل كان يعبه إذا ابتدأ الشاعر قصيدته به، أو أكثر منه في القصيدة الواحدة، وجعله متجاوزاً متلاحقاً، لا ينفصل بعضه عن بعض بالفاظ واضحة سهلة. وكان الغريب - عدا ذلك - نوعين عند الأمدي: الغريب الذي يقرب على الحضر وحدهم، والغريب الذي يقرب على البدو أنفسهم، وسمى هذا الضرب من الغريب بالوحشي. وقد سمح الشاعر بأن يأتي بالضرب الأول استعانة به، أو اظهاراً لثقافته اللغوية، على ألا يكون في ابتداء القصيدة، ولا يتجاوز أو

يتلاحق. وقد تجلّى موقف الأمدي هذا في تعليقه على الالفاظ الغريبة التي ضمها أحد مطالع أبي تمام وهو

فَنَكَّ انتَبَّ أَرِيثَ في الغُلُوَاءِ

قال الأمدي: «وزاد هذه الالفاظ هجئة أنها ابتداء قصيدة» (٢٥). وقال في موضع آخر: «وأما قوله (فَنَكَّ انتَبَّ أَرِيثَ في الغُلُوَاءِ) فإنها الفاظ صحيحة فصيحة من الفاظ العرب، مستعملة في نظمهم ونثرهم، وليست من متعسف الفاظهم، ولا وحشي كلامهم، ولكن العلماء بالشعر أنكروا عليه أن جمعها في مصراع واحد، وجعلها ابتداء قصيدة، ولم يفرق بينها بفواصل» (٢٦). وقال حيناً آخر: «فمن شأن الشاعر الحضري أن يأتي في شعره بالالفاظ العربية المستعملة في كلام الحاضرة، فإن اختار أن يأتي بما لا يستعمله أهل الحضر فمن سبيله أن يجعله من المستعمل في كلام أهل البدو دون الوحشي الذي يقل استعمالهم إياه، وإن يجعله متفرقاً في تضاعيف الفاظه، ويضعه في مواضعه، فيكون قد اتسع مجاله بالاستعانة به، وتل على فصاحته وعلمه، وتخلص من الهجئة» (٢٧).

ومن غريب مفردات أبي تمام قوله:

لقد طلعت في وجه مصر بوجهه بلا طائر سعد ولا طائر كهل

الذي علق ابن سنان عليه قائلاً: «فإن كهلها هنا من غريب اللغة، وقد روي أن الأصمعي لم يعرف هذه الكلمة... وقد قيل إن الكهل الضخم، وكهل لفظة ليست قبيحة التأليف ولكنها وحشية غريبة، لا يعرفها مثل الأصمعي» (٢٨).  
وعاب ابن سنان على أبي تمام كلمة (صهسلق) ووصلها بالوعورة، وكانت قد جاءت في قوله:  
صهسلق في الصهيل تحسبه أشرح حلقومه على جرس (٢٩)

ولم يلفت الغريب في شعر أبي تمام نظر الأمدي وابن سنان وحدهما، بل لفت نظر ابن الأثير كذلك، فوقف عند قوله:  
قد قلت لما اطلختم الأسور وانبعثت.

عشواء تاليت غبساً دهاريساً (٣٠)

وعلق عليه قائلاً: «فلنظة اطلختم من الالفاظ المذكورة التي جمعت الوصفين القبيحين في أنها غريبة وأنها غليظة في السمع، كريهة على الذوق، وكذلك لفظة دهاريس» (٣١).  
ومن غريب أبي تمام قوله:

كم من دم يُعْجَرُ الجيش اللُهامُ إذا بانوا متحكم فيه البريُشُ الأجدُّ

يريد أن الجيش كان يعجز عن قتل هذا المحب، فقتلته العرُوسُ الإجدُّ، أي الناقة القوية الموثقة الخلق، لأنها حملت محبوبيته.

ومن المفردات التي تعد نادرة وغريبة جمع ابي تمام ( الوحيد ) على ( واحد ) في قوله :  
كان في الاخفلى وفي النقرى عز فُك نُضِر الواحد

قال المعري : « الواحد جمع وحيد مثل كريم وكرام ، يقول : كان عُرفك نُضراً في العموم والوحد » (٢٧)  
تلازم اللفظ والمعنى :

وهذا مقياس اخر احتكم نقاد ابي تمام اليه ليعرفوا جودة مفرداته أو رداءتها ، والنقاد اذ يطلقون كلمة ( المعنى ) فانما يريدون بها في الغالب ( الفرض ) أو ( المقصد ) أو ما يريد المتكلم ان يثبتته أو ينفيه من الكلام (٢٨) والمعنى بهذا الاستخدام يرادف عندهم ( الفكرة ) العامة المجردة التي يتفطن المنشيء في صوغها ، ثم يستخلصها المتلقي من مجموع ما قاله الشاعر (٢٩) ومن هنا جعل النقاد ان من مقاييس جودة الكلمة ان تلائم المعنى الذي تكفلت هي وما يجاورها بإبرازه والتعبير عنه . وقد كان الجاحظ من اوائل النقاد الذين قرروا ملائمة اللفظ للمعنى في مواضع كثيرة من كتبه ، منها قوله : « ولكل ضرب من الحديث ضرب من اللفظ ، ولكل نوع من المعاني نوع من الاسماء ، فالسخيف للسخيف والخفيف للخفيف والجزل للجزل » (٣٠) وقال ابن طباطبا : « وللمعاني الفاظ تشاكلها فتحسن فيها وتكبح في غيرها » (٣١) . ولم يخرج قدامة عن ذلك حين قال : « ولما كان المذهب في الغزل انما هو الرقة واللطافة والشكل والدماثة ، كان مما يحتاج فيه ان تكون الالفاظ لطيفة مستمذبة ، مقبولة غير مستكرهة ، فاذا كانت جاسية كان ذلك عيباً . الا انه لما لم يكن عيباً على الاطلاق امكن ان يكون حسناً ، اذ كان قد يحتاج الى الخشونة في مواضع مثل ذكر البسالة والنجدة والباس والرهبة » (٣٢)

واما ابن سنان الخفاجي فقد رسخ هذا المقياس من مقاييس نقد المفردة الشعرية فرأى ان على الشاعر ان لا يعبر عن المدح بالالفاظ المستعملة في الذم ولا في الذم بالالفاظ المعروفة في المدح ، بل يستعمل في جميع الاغراض الالفاظ اللائقة بذلك الغرض ، في موضع الجدة الفاظه وفي موضع الهزل الفاظه (٣٣)

وفي لغة ابي تمام مفردات تخرج عن هذا المقياس النقدي ، من ذلك انه نقل الفاظاً من مجالها الذي تستعمل فيه ، وساقها في مجال آخر يستدعي الفاظاً اخرى ، تكون الصق به ، واكثر تألفاً معه . فلفظنا ( يهذي ) و ( محموم ) اللتان وردتا في قول ابي تمام ماحداً :  
مازال يهذي بالمكارم دائباً حين ظننا أنه محموم

مجالهما الذم ، فاذا استعملهما ابو تمام في معرض المدح ، ولعت بهما من يمدحه ، فقد صمم بذلك النوق العام ،

وخرج عما الف هذا الذوق من الفاظ كريمة ، تناسب المديح ، وتنسجم مع شعور المادح ، وهو شعور اعجاب واكبار في الغالب (٣٤)

وكلمة ( شيطان ) لا موضع لها بين الكلمات التي درج الشعراء على ان ينعثوا بها ممدوحينهم ، فاذا استعملها ابو تمام صفة لاحد ممدوحيه فقال :  
وتشقى الحربيه منه حين تغلي مراجلها بشيطان رجيم

فانه يعاب بذلك ويعد مجانباً للفظ الجيد او المختار (٣٥) ومما يعد من الالفاظ موضوعاً في غير موضعه ، ومنقولاً الى مجال المدح ، وهو بمجال الهجو الصق ، قول ابي تمام ماحداً :  
سعى فاستنزل الشرف اقتساراً ولولا السعي لم تكن المساعي

الذي علق عليه الامدي قائلاً : « قوله ( سعى فاستنزل الشرف اقتساراً ) ليس بالمعنى الجيد ، بل هو عندي هجاء مصرح به ، لانه اذا استنزل الشرف فقد صار غير شريف ، وذلك أنك اذا ذممت رجلاً شريفاً ، شريف الاباء كان ابلغ ما تدمه به ان تقول : قد حططت شرفك ووضعت من شرفك ، وقد وكد بقوله ( اقتساراً ) » (٣٦)

وقوله يمدح الافشين في وقعة هزم بها يابك ، فيشبهه الافشين بالتينين ، وما سمع احد من الشعراء شبه به ممدوحاً (٣٧)

ولم يظلم وهل ظلم امرؤ حث النجاء وخلفه التينين

وقول ابي تمام ماحداً ايضاً :

يا أبا جعفر جُعلت فداك فاق حسن الوجوه حسن فداك

و ( القفا ) من الالفاظ التي تستعمل في الذم ، وليست من الفاظ المدح (٣٨)

ومن الالفاظ التي لا تليق بالغزل كلمة ( ملطومة ) التي جاءت في قوله :

ملطومة بالورد أطلق طرفها في الخلق فهو مع المنون مُحكم

وقد علق الامدي على هذا البيت قائلاً : « وقوله ( ملطومة بالورد ) يريد حمرة خدها ، فلم لم يقل : مصفوعة بالقار ويريد سواد شعرها ، ومخبوطة بالشحم يريد امتلاء لجسمها ، ومضروبة بالقطن يريد بياضها ؟ ان هذا لاحمق ما يكون من اللفظ وأسخفه وأوسخه » (٣٩)

ومن ذلك قوله في الغزل ايضاً :

إن تضرعت بنطق فحفاة السكوث

فكلمة ( حفاة ) اي غايته « وهي لفظة كريهة في



معرض النسب كان يمكنه ان يضع موضعها ( قصاراه ) « (١٠١) »  
الدقة :

ومن مقاييس نقد الالفاظ ( الدقة ) ، واللفظ الدقيق عند  
النقاد هو الذي يؤدي المعنى المراد ولا يصلح غيره لان يوضع  
موضعه ، ولا شك في أن الوقوع على اللفظ الدقيق مهمة صعبة  
لا يقدر عليها الا من عرف اللغة معرفة واسعة ، ووقف على  
ما بين المفردات من فروق دقيقة . وقد أحس اللغويون منذ وقت  
مبكر بصعوبة هذا الامر ، فندبوا أنفسهم لتأليف الكتب الخاصة  
بالالفاظ ، وأودعوا تلك الكتب ما بين الالفاظ المتقاربة من فروق ،  
مثل ( الالفاظ الكتابية ) للهمذاني ، و ( الفروق اللغوية )  
للمسكري و ( فقه اللغة ) للثعالبي وغير ذلك « (١٠٢) »  
ومع ان ابا تمام واسع الاطلاع على اللغة ، لم يختر اللفظ  
الدقيق حين قال :

ديمه سفحة القياد سكوب مستغيب بها الثرى المكروب

ذلك لان « الثرى لا يستغيب بالديمة ، ولا يتكفف الى  
مائها ، إلا اذا كان جافاً يابساً ، واذا كان كذلك فهو ليس ثرى  
وانما هو تراب » « (١٠٣) »

وأخطأ أبو تمام اللفظ الدقيق في قوله :

ضعفت جوائح من الناله النوى طعم الفراق لنم طعم العلقم

قال الامدي : « قوله ( ضعفت ) دعاء عليها ، اي  
أضعف الله جوائح من اذاقته النوى طعم الفراق فتم طعم  
العلقم ، والجوائح هي الاضلاع الصفار في الصدر ، التي تلي  
الفؤاد ، الواحدة جانحة ، فكانه يدعو عليه ان تضعف عن حمل  
حرارة الشوق ، وحرق الفراق ، ان كان صاحبها قد ذاق طعم  
الفراق وعلم مرارته فتم طعم العلقم . و ( ضعفت ) كلام ضعيف  
في هذا الغرض جداً ، و ( أضعف الله ) لو كان استقام له ان  
يقولها أحسن وأبلغ من ( ضعفت ) . وعلى أنه كلام لا يشبه  
بعضه بعضاً ، و ( حواس ) ههنا أحسن والبق وأشبه من  
( جوائح ) لانه ذكر الطعم فكانت الحواس مع الطعم لفظاً  
يشبه لفظاً ، ومعنى يشبه معنى « (١٠٤) » ثم قال : « وأظنه لو  
استوى له ذكر الحواس في البيت لما عدل عنه » « (١٠٥) »

ولم تكن ( الخد ) هي الكلمة الدقيقة في قول ابي تمام :

لو صحح النعم لي أو ناصح الكد لقلما صحبتك الخد والكبد

وقد علق عليه الامدي قائلاً : « وهذا بيت صالح وليس  
بالجيد ولم يستوله ان يقول ( العين والكبد ) لانهما مؤنثتان  
فكان يقول : ( صحبتك ) ، فجعل مكان ( العين ) ( الخد ) ،  
لانه مذكر ولان كثرة البكاء تؤثر فيه ، وتذهب بلحمه ، ونهاب  
العين بالبكاء اخص من نهاب الخد . ولو قال : ( صحبتك العين

والكبد ) لكان ذلك سائفاً ، ولو كانتا مؤنثتين لان هذا يجوز فيما  
ليس لتأنيته حقيقة « (١٠٦) »

ولم تكن ( ألفته ) هي اللفظة الدقيقة في قول ابي تمام  
ايضاً :

ملكته الصبا الولوع فال فته قفوز البلى وسؤن الخطوب

قال الامدي : « وقوله ( ألفته ) ليس هذا موضع  
( الفته ) لان معنى ( الفته ) صادفته ، واذا كانت الريح هي  
التي حلت بالريح فوجه الكلام ( جعلته ) لو استوى له ، لا  
( الفته ) ، واذا لم يستقم له ( جعلته ) ولا ما هو في معناها  
نقض البيت بأسره ، ويذاه بالفاظ آخر . وكأنه اراد ان يقول :  
قعود البلى وهداً للخطوب ، او غرضنا للخطوب ، اي تقع به  
ابداً وتصيبه ، فلم ينتظم له الوزن « (١٠٧) »  
واخطأ أبو تمام الكلمة الدقيقة في قوله :

عطفوا الخدور على البنى ويكلوا فلم الستور بنور خور لهد  
وتدوا على وشي الخدور صيانة وشي البسود بسجف ونفسه

فقوله : بمسجف وممهد فالمسجف يريد به الخجلة وكل  
ستر مشقوق ، وكل شق منها سجف ، والممهد الوطاء الذي يوطأ  
تحت المرأة ، واذا كان الامر كذلك فكيف يعطف ( الممهد ) على  
( السجف ) الذي ذكر انهم ثلوه على وشي الخدود ؟ وقد حاول  
الامدي ان يجد لابي تمام عذراً في عطف ( الممهد ) على  
( السجف ) فقال : « فان قيل يكون محمولاً على قول الشاعر :  
ورأيت زوجك في الوغى متقلداً سيفاً ورمحاً

والرمح لا يتقلد ، وقول الآخر : ( وزججن الحواجب  
والعيوانا ) والعيون لا تزجج ، وانما اراد ذلك متقلداً سيفاً  
وحاملاً رمحاً ، واراد هذا وزججن الحواجب وكحلن العيون ،  
قيل : متقلد السيف هو حامله ايضاً فحسن ان يعطف الرمح  
على السيف لانهما جميعاً محمولان ، وكذلك زججن وكحلن هما  
جميعاً زينة فحسن عطف احدهما على الآخر . والممهد لا يشرك  
الستر في شيء من تغطية الوجه ولا صيانتة ، ولا بنيت الفاظ  
البيت الاعلى ستر الخدود بالستور ، ولا يتعلق الممهد بالمعنى  
باضمار لفظ ولا غيره « (١٠٨) »

الإفادة :

و ( الافادة ) مقياس آخر من مقاييس نقد الالفاظ ،  
يرجع اليه النقاد لبيان جودة الكلمة اورداعتها . ونعني  
بـ ( الافادة ) ان تفيد الكلمة معنى جديداً لم تفده الكلمات  
الآخرى ، فيكون لها تيمناً لذلك قيمة واضحة في السياق ، لا ان  
تكون مقمحة فيه ، لا تسهم في اغناؤه ، ولا تضيف جديداً اليه .

وبهذا المقياس حكم النقاد على طائفة من مفردات أبي تمام ، قرأوا أنها زائدة ، أو حشو يمكن إسقاطه من الكلام ، دون أن يخل معناه . ويبدو أن النقاد فرقوا بين الكلمات المقصحة في الشعر فسموا ما يقع منها في أثناء البيت ( حشواً ) وسموا ما يقع منها قافية ( استدعاء ) ، وهما من عيوب الشعر<sup>(١٨)</sup> ومن الالفاظ التي عدت حشواً في شعر أبي تمام قوله :

خذها ابنة الفكر المهذب في الدجى

والليل اسود حالك الجلاب

فقله : « الدجى حشو لان في القسم الثاني ما يدل عليه »<sup>(١٩)</sup>

ومن الالفاظ التي عدت ( استدعاء ) في شعر أبي تمام قوله :

كالطبية الأسماء صافت فارتعت زهر المرار الفز والجثجاثا

وقد نقده العسكري فقال : « ليس في وصف الطبية أنها ترتعي الجثجاث فائدة وسواء رعت الجثجاث أو القلام أو غير ذلك من النبت ، وإذا قصد نعت الطبية بزيادة حسن قيل أنها تعطو الشجر لأنها حينئذ ترفع رأسها فيطول جيدها وتظهر محاسنها »<sup>(٢٠)</sup> وكان قدامة قد عرض لهذا البيت أيضاً فعابه لورود كلمة ( الجثجاث ) فيه زائدة استدعتها القافية<sup>(٢١)</sup> ومما عُد حشواً في شعر أبي تمام قوله :

جنب نداء غدوة السبت جنبه فخر صرياً بين أيدي الفصائد

قال ابن سنان : « ان قوله : « غدوة السبت حشو لا يحتاج اليه ولا تقع فائدة في ذكره ، ومن ذا الذي يؤثر أن يعلم اليوم الذي أعطى الممدوح فيه أبا تمام »<sup>(٢٢)</sup>

وأرى أن هذا تجن من ابن سنان ، فإذا كان هو لا يهمه اليوم الذي قابل فيه الشاعر الممدوح ، فإن ذلك اليوم يعني أبا تمام ، وقد يكون عنده يوماً مشهوداً لا ينسأ ، لانه حظي فيه بلقاء كان قد عقد عليه آمالاً ، وحدث به النفس طويلاً ، وإذا علمنا أن الشعراء كان يحجبون بابواب الممدوحين أياماً ، يتموضون فيها لالام شتى<sup>(٢٣)</sup> أدركنا مبلغ أهمية اليوم الذي يؤنن فيه للشاعر في لقاء الممدوح .

ومما عيب على أبي تمام بسبب ما عده بعض النقاد كلاماً غير مفيد قوله :

تغدو الرياح سوافياً وعوافياً فتضميم مغناها وليس تضميمها

قال الامدي : « وقوله : فتضميم مغناها يعني الرياح انها تضميم المغنى وليس يضميمها ، وهذا ايضاً معنى ليست له حلاوة ، ولا يقود الى فائدة لان المعلوم ان الارض لا تضميم الرياح »<sup>(٢٤)</sup>

وأرى أن الامدي ليس على حق في عده قول أبي تمام ( وليس يضميمها ) لغواً لا فائدة فيه ، لان الشاعر أراد بهذا أن يشير الى جبروت الريح ، وطفيلاتها على المغنى ، وقيام المغنى ازامها عاجزاً ذليلاً ، يتلقى ضميمها له ، ثم يقصر عن دفعه ، أو النيل من سببه .

ومما عيب على أبي تمام من مفردات فرضتها القافية ، ولم تأت لاغناء المعنى ، أو اضافة جديد اليه قوله :

مهاة النقا لولا الشوى والمأبض وإن محض الاعراض لي منك ماحض<sup>(٢٥)</sup>

قال الامدي : « وقوله : والمأبض عتي منه ولكنة وأراد القافية »<sup>(٢٦)</sup>

وقريب من هذا الباب ، أي اجتلاب الالفاظ لاقامة القافية أو الوفاء بالوزن ، أن تفسر الكلمة على مكانها لسبب آخر هو تحقيق فن من فنون البديع التي أغري بها أبو تمام ، وجعلها غاية وبغية . من ذلك قول أبي تمام :

فاضحى الفلا قد جدّ في بزّي تحضه

وكان زماناً قبل ذلك يلعبه

قال الامدي : « وقوله يلعبه لفظة ضعيفة المعنى ، وإنما جاء بها من أجل قوله : ( جدّ ) في بري نحضه ، ليطابق بين الجد واللعب ، أي أن الفلا جد في أخذ لحمه في سحرنا هذا السير ، فجعل مكان هذا القول ( وكان زماناً قبل ذلك يلعبه ) على مذهبه في عشق الطبايق الذي لا بد له من أن يأتي به ، وأن حصل المعنى معه ضعيفاً ركيكاً وربما محالاً »<sup>(٢٧)</sup> وقوله :

فاسلم سلمت من الافات ماسلمت بسلام سلمى وبهما أول الضلم

قال الامدي : « فان هذا من كلام المبرسمين ، وقد عابه عبد الله بن المعتز ببعض هذه الابيات في كتاب البديع ، جاء بها في قبج التجسيس »<sup>(٢٨)</sup> الاشتراك :

نظر النقاد العرب الى المفردات في ضوء مقياس آخر ، فذهبوا الى أن الكلمة المشتركة المعنى ، أي التي تدل على معان عدة ، لا تكون جيدة إلا اذا صاحبته قرينة توضح المقصود بها<sup>(٢٩)</sup> وعلق ابن الاثير على قوله تعالى : ( فالذين آمنوا به وعزوه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون ) : « ألا ترى أن لفظة التميز مشتركة تطلق على التعظيم والاكرام ، وعلى الضرب الذي هو دون الحد ، وذلك هو نوع من الهوان ، وهما معنيان ضدان ، فحيث وردت في الآية جاء معها قرائن من قبلها ومن بعدها فخصت معناها بالحسن وميزته عن ( كذا ) القبج ، ولو وردت مهمة بغير قرينة وأريد بها المعنى الحسن لسبق الى الوهم ما اشتملت عليه من المعنى القبج . مثال ذلك لو قال قائل : لقيت فلاناً فعزوته لسبق الى

الوهم انه ضربه وأهانته ، ولو قال : لقيت فلاناً فأكرمته وعزرت  
لزال ذلك اللبس » (٧٠)

ولكلمة ( عقل ) معنيان : أحدهما معروف والآخر الدية ،  
الا ان استعمالها بالمعنى الثاني قليل ، واليه قصد أبو تمام  
حين قال :

أعطيت لي دية القتل وليس لي

عقل ولا حق عليك قديم

وقد عاب ابن الأثير على أبي تمام استعمال كلمة  
( عقل ) دون قرينة تحدد المراد بها ، قال : « فقله : ليس لي  
عقل يظن انه من عقل الشيء اذا علمه ، ولو قال : ليس لي  
عليك عقل لزال اللبس » (٧١)

ومن المشترك الذي عيب على أبي تمام قوله :

متفجر نادمت فكأنني للدلو أو للمزلقين قديم

قال ابن سنان (٧٢) « فالدلو ها هنا أحد البروج ،  
ولا اختاره لموافقة اسم الدلو المعروف » وهناك ضرب آخر من  
الالفاظ المشتركة ، وهي التي اكتسبت مع الزمن دلالة قبيحة ،  
وأصبح النطق بتلك الالفاظ مثيراً لتلك الدلالات في نفوس  
سامعيها . وقد عاب النقاد هذه الالفاظ ، ووضحوا بالابتعاد  
عنها ، ومن الأمثلة عليها ( الغالط ) التي وردت في قول عمرو  
ابن معد يكرب :

وكم من غائط من دون سلمى قليل الانس ليس به كتيع

ذلك لانها كانت تعني البطن من الارض ، ثم صارت تطلق  
على الحدث (٧٣) وأرى أن عمرو بن معد يكرب غير ملوم على  
استعمال هذه اللفظة لانها لم تكن في عصره مستعملة بالمعنى  
المستقبح الذي ذكرناه . وكلمة ( الادبار ) التي جاءت في قول  
أبي تمام :

وعزائنا في الروح معتصمة ميمونة الادبار والاقبال

كلمة غير مرضية لانها اقترنت بمعنى مكروه (٧٤)

الاصطلاحات :

ونعني بها الالفاظ التي اصطلحها اهل العلوم المحتشفة  
للدلالة على معانيهم ، وهي الفاظ نقلوها من معانيها المعروفة ،  
وصاروا يطلقونها على ما استديطوه من معان ، ووقفوا عليه من  
حقائق .

وعلى هذا فالمصطلح كلمة « لها معنى لغوي يفهمه الناس  
عامة ومعنى آخر لا يفهمه الا اهل تلك العلم » (٧٥) الذي  
استعملت فيه الكلمة . فاذا قلنا مثلاً : ( فاعل ) فان هذه  
الكلمة « تدل بمعناها اللغوي على من قام بفعل من الافعال ،

على حين هي في عرف النحويين الاسم المرفوع المسند اليه فعل  
على طريقة فعل او شبهه ، ولقطة ( الخبر ) معروفة بمعناها  
اللغوي ، وهي في عرف النحويين الجزء المنتظم منه مع المبتدأ  
جملة ، وهكذا الامر في الفاظ العلوم الاخرى » (٧٦)

وحين نشطت حركة العلوم في العصر العباسي ، ووضعت  
اعداد كبيرة من المصطلحات في مختلف العلوم تسرب بعض تلك  
المصطلحات الى لغة الشعر ، وجرت على اقلام المنشئين ،  
فتصدى النقاد لهذه الظاهرة ، وعابوا غزو الفاظ العلم للغة  
الادب . وكان حازم القرطاجني قد عرض لهذا الموضوع فانضم  
الى النقاد الذين يدعون الى تنقية لغة الادب من المصطلحات  
العلمية فقال : « ان البصراء بهذه الصناعة كأبي الفرج قدامة  
واضرابه قد نص جميعهم على قبح ايراد المعاني العلمية  
والصناعية والمعارف المصطلح عليها ، ونهوا عن ايراد جميع  
ذلك في الشعر » (٧٧) وقال (٧٨) « ان مستعمل هذه المعاني  
العلمية في شعره يسيء الاختيار » . ومن هنا عاب ابن سنان  
قول أبي تمام :

مودة ذهب أثمارها شبه وهمة جوهر معروفها عرض

« لان الجواهر والعروض من الفاظ اهل الكلام الخاصة  
بهم » (٧٩) ومن ذلك قوله :

كم لي الندى لك والمعروف من بدع اذا تُصَنِّجَتْ اختصم على السنان

« فقد ذكر البدع والسنان وهما من الفاظ الفقهاء » (٨٠)  
ومن هذا الباب قوله في الخمر :

خرقاء يلعب بالمقول حبابها كتلاعب الافعال بالاسماء

« فقد تكلف لذكر الافعال والاسماء كانه من اصحاب  
النحو » (٨١) ومنه قوله :

لن ينال الغلا خصوصاً ما بال لا شيء عليه حجاب  
من الفتيان من لم يكن لداه  
عموماً

« فقد ذكر الخصوص والمعموم وهما من الفاظ  
المناطق » (٨٢) ومنه قوله :

فب من له شيء يريد حجاب ما بال لا شيء عليه حجاب

لقد « عبر عن العمم بكلمة لاشيء وهي من كلام  
الفلسفة » (٨٣)

غير ان ابن الأثير خالف النقاد القائلين باستبعاد الفاظ  
العلوم من لغة الادب ، وقبل الالفاظ التي ردها ابن سنان  
وغیره ، فقال راداً على ابن سنان : « شذ عنه ان صناعة المنظوم  
والمثنوي مستمدة من كل علم وكل صناعة لانها موضوعة على  
الخوض في كل معنى ، وهذا لا ضابط له بضبطه ،

ولا حاصر يحصره ، فإذا اخذ مؤلف الشعر أو الكلام المنشور في صوغ معنى من المعاني واداه ذلك الى استعمال معنى فقهي أو نحوي أو حسابي أو غير ذلك فليس له ان يتركه ويحيد عنه ، لانه من مقتضيات هذا المعنى الذي يقصده ، الا ترى الى قول ابي تمام في الاعتذار :

فان يك جرم عن اوتك هفوة على خطا مني لغري على عمد  
فان هذا من احسن ما يجيء في باب الاعتذار من الذنب ، وكان ينبغي له على ما ذكر ابن سنان ان يترك ذلك ولا يستعمله حيث ( كذا ) فيه لفظتا ( الخطا ) و ( العمد ) اللتان هما من اخص الفاظ الفقهاء . وكذلك قول ابي الطيب المتنبي : ولقيت كل الفاضلين كأنما ردّ الاله نفوسهم والاعصرا نسقا لنا نسق الحساب مقدماً

واتى فذلك ان أتيت مؤخرًا

فاختلاف النسج ان احده ما نهي على ابي تمام ، فقال المبرد : « وشعر البحتري احسن استواء ، وابو تمام يقول النادر والبارد ، وهو المذهب الذي أعجب الى الاصمعي ، وما أشبه ايا تمام إلا بغائص يخرج الدر والمخشلة » (١٠٨) ومعنى آخر ان شعر ابي تمام « كان يرتفع احياناً حتى يصل الى نروة الفن في جودته ، وينخفض احياناً حتى يصل الى الحضيض في رداءته » (١٠٩) وقد اعترف البحتري نفسه بهذه الحقيقة فقال عن ابي تمام : « جيده خير من جيدي ورديني خير من رديته » (١١٠) وأقر الامدي بذلك فقال (١١١) « جيد ابي تمام لا يتعلق به جيد أمثاله ، ورديته مطروح مرتول ، فلهذا كان مختلفاً لا يتشابه » ويبدو ان هذه الفكرة ظلت مهيمنة على ذهن الامدي ، فكان اذا ظفر بجيد ابي تمام أشاد به ، واذا وقع على رديته عابه ، وشئ عليه .

٣

### مجازات ابي تمام

مز بنا في التمهيد ان الاستخدام الفني للغة يقتضي ان يستعمل الاديب الالفاظ بارتباطات جديدة ، او ان ينشئ بين الكلمات علاقات لم يتعارفها الناس ، ولم يسكنوا اليها في لفتهم المألوفة ، وأشرنا هناك ايضاً الى ان ابا تمام كان مولعاً بهذا النحو من الاستخدام للغة ، مُفرى بالابتعاد عما ألف الناس ، فكان هذا ابرز سمات مذهبه الجديد ، واهم ما استوقف النقاد ، واثار جدالهم حول فنه .

فاكثر النقاد الذين عرضوا لشعر ابي تمام وقرئ في نفوسهم ان اللغة تتمثل في مجموعة « الفاظ » وضعها العرب ليمبروا

بها عن مقاصدهم واغراضهم ، وهي عندهم نوعان : الفاظ حقيقية وضعت في الاصل للدلالة على مسميات معينة ، فاذا ذكرت تلك الالفاظ تمثلت مسمياتها في الذهن ، والفاظ مجازية انتقلت دلالاتها الاصلية الى دلالات اخرى بينها وبين الدلالات الاولى علاقة . وعلى هذا الاساس فان المتكلم إما ان يستخدم اللغة استخداماً حقيقياً ، وإما ان يستخدمها استخداماً مجازياً ، الا ان المفضل في الادب - كما مز في التمهيد - هو الاستخدام الثاني . والمتكلم في كلتا الحالتين محكوم في نظر جمهوره من نقاد ابي تمام بالعرف اللغوي ، وليس له ان يخل به ، او يحيد عنه ، فيستعمل الالفاظ في غير ما وضعت له ، او يخرج بها الى دلالات لا يوجد بينها وبين الدلالات الاولى ضرب من مناسبة ، او نوع من علاقة . فكما ان الشاعر غير حر في الاستخدام الحقيقي للغة ، فلا يحق له ان يغير دلالات الالفاظ ، او يعبر بها عما لم يتقرر في العرف اللغوي ، فكذلك هو غير حر في الاستخدام المجازي ايضاً ، بل « إن عليه ان يرتبط بنوع خاص من العلاقات حددها اسلافه من قبل ، وأي خروج على هذه العلاقات المجازية المحددة سلفاً ، لا يعد خروجاً على التقاليد والنظام اللغوي فحسب ، بل يعد خروجاً على قواعد العقل ، وعناصر الواقع الثابتة ايضاً » (١١٢)

ومعنى هذا ان العرب جرت على ان تستعمل بعض الالفاظ لتدل بها على معان اخرى غير المعاني المقررة لها ، او الموضوعية بازائها ، وما على المتكلم ألا ان يتابعهم في ذلك ، فهم استعاروا « الاسد » للرجل الشجاع ، واستعاروا « النور » للعلم واستعاروا « الحمار » للرجل البليد ، فاذا اراد شاعر ان يستعمل هذه الالفاظ استعمالاً مجازياً آخر ، او يطلقها على معان غير هذه ، رُفض استعماله ، وحُكم عليه بالخطا ، وعلى هذا عيب قول الشاعر :

بل لو رأيتني اخت جيراننا ان انا في الدار كاني حمار

لانه استعمال « حمار » ليدل به على صحته ، وتعام قوته ، ففارق العرف اللغوي الذي درج على تشبيه الرجل البليد بالحمار ، او استعارة الثاني للاول (١١٣)

لقد كانت إحدى سمات التجديد في فن ابي تمام هي استخدام الالفاظ على غير النحو المألوف ، وفي غير المجال الذي كانت ترد فيه .

لم يشأ اكثر نقاد ابي تمام ان يبيحوا له الحرية في استخدام اللغة ، ولم يتصوروا « ان طريقة تفكير الشاعر وحالاته الذهنية يمكن ان تفرض عليه استخداماً خاصاً للغة ، من حيث الدلالة والتراكيب » (١١٤) ولم يروا ان من حق الشاعر ان يندمج بالاشياء المحيطة به « ويماملها كما لو كانت هي ذاته » (١١٥) فينميتها بما يشاء من نعوت ، ويسقط عليها من



نفسه ما يريد من الشاعر ويستعمل اللغة تبعاً لذلك استعمالاً يتلأم مع هذه الطريقة ، في تصور الأشياء والاحساس بها . ولا شك في أن هذا النحو من التصور والتفكير يؤدي إلى أن تنمحي الحدود بين الأشياء ، وتهتز الفواصل بين العناصر الخارجة عن ذات الشاعر ، ويطلق على هذا الشيء ما اعتاد الناس إطلاقه على الشيء الآخر ، فإذا المعنوي المجرد يعبر عنه بما يعبر به عن المحسوس ، وإذا الحيوان ينعت بما ينعت به الإنسان ، أو العكس .

وكان أبو تمام أشد الشعراء خروجاً على ما هو كائن . ومتعارف عليه من استعمالات لغوية ، فاعطى نفسه قدراً كبيراً من الحرية في استخدام اللفاظ ، وإقامة علاقات جديدة بينها ، وكانت طريقته هذه « فخاً يوقع اللغويين في شرك عدم الفهم »<sup>(١١٦)</sup> مما جعل الصولي يسخر منهم سخيرة مرة ، ويرميهم بالجهل بالجديد .

لقد صدف اللغويون ومن تبعهم من النقاد عن شعر أبي تمام ، لأنهم استشمروا في استخدامه للغة غموضاً ، وغرابة لم يعمدوها في الشعر القديم ، فحملوا عليه ، ووصفوه بأنه « شاعر عدل عن مذاهب العرب المألوفة إلى الاستمارة البعيدة ، المخرجة للكلام إلى الخطأ والاحالة »<sup>(١١٧)</sup>

نظر اللغويون ومن تابعهم من النقاد فوجدوا أن العرب كانت تستعمل « المعنى لما ليس هو له ، إذا كان يقاربه أو يناسبه ، أو يشبهه في بعض أحواله أو كان سبباً من أسبابه ، فتكون اللفظة المستمارة حينئذ لائقة بالشيء الذي استعملت له ، وملائمة لمعناه »<sup>(١١٨)</sup> أما أبو تمام فلم يجر في هذه السبيل ، بل كان يضع اللفاظ في غير مواضعها المألوفة ، ويعبر بها عن معان لم تنقرب في العرف اللغوي المألوف ، فجز ذلك عليه اعنف النقد ، ودفع إلى التعصب عليه ، والتشهير به .

وقد مثل الأمدي هذا الموقف ، وتصدى لحرية أبي تمام في استعمال اللفاظ ، فلم يرض عن عدد من مجازات أبي تمام ، وأقرط في تأليب الشاعر عليها ، ولابد من الإشارة إلى أن موقفه هذا قد استمر في العصور اللاحقة ، فأمن به عدد من النقاد كالرمانى والخطابي والقاضي الجرجاني والعسكري وهم معاصرون للأمدي ، وابن سنان وابن رشيق وغيرهما<sup>(١١٩)</sup> . لقد أزعج الأمدي ما وجد عند أبي تمام من جرأة في استخدام اللفاظ لغير ما وضعت له ، واستهانه بالشائع والمألوف من تعابير العرب ومذاهبهم . من ذلك قول أبي تمام :  
تحملت مالمو حُمل الدهر شطره

لفكر دهرًا أي عبايه أنقل

قال الأمدي : « فجعل كلدهر عقلاً ، وجعله مفكراً في أي العباين أثقل ، وما شيء هو أبعد من الصواب من هذه الاستمارة . وكان الأشبه والالقي لما قال ( تحملت مالمو حمل

الدهر شطره ) أن يقول : لتضعض أو لانهد ، أو لأمن الناس صروفه ونوازله »<sup>(١٢٠)</sup>

وقال أبو تمام :

أنزلته الأيام عن ظهرها من بعد اثبات رجله في الركاب

وقال :

يا بصر قوم من اخضعيك فقد أضجبت هذا الانام من خرقك

فلم يرض الأمدي ، ومن تبعه من انصار القديم عن هذا ( التشخيص ) للدهر والأيام ونعتهما بما لم يتعارف من نعوت ، ووجدوا في أمثال هذه التعابير خروجاً على السنن العربي المورث ، إذ لم يؤثر عن عربي أنه جعل للأيام ظهراً أو ركاباً ، أو جعل للدهر اخضعاً ، وإذا كان أحد من العرب قد تورط في شيء من هذا ، فلا يحق للمتأخر أن يجاريه فيه ، لأن ما يصدر عن العرب على سبيل النادرة أو السهو لا يمكن أن يسوغه متأخر<sup>(١٢١)</sup> أو يجعله أصلاً يحتذيه أو يستكثر منه<sup>(١٢٢)</sup> . كما لا ينبغي « للمتأخر أن يحتذي الأخذ إلا للجيد لمختار لسعة مجاله ، وكثرة أمثله »<sup>(١٢٣)</sup>

لقد صدر نقاد أبي تمام من اللغويين ومن تبعهم من المحافظين عن نظرة تكبر القديم ، وتغلو في التعصب له ، وترى في « الاستعمال الجديد للغة خروجاً على الموروث من تقاليدها ومواضعها ، ولو أنهم لم ينظروا إلى الجديد هذه النظرة لقبولها ما جاء به أبو تمام من استعمالات ، أن فارقت مذاهب العرب ، فأنها وقت لما يقتضيه الفن الشعري من إعادة لتشكيل المفردات على النحو الذي تمليه الرؤية الشعرية ، أو تفرضه طبيعة التجربة .

ثانياً : لغة الشعر عند أبي تمام من منظار لغوي

لقد اعترف غير واحد من نقاد أبي تمام واللغويين الذين نظروا في شعره بأنه « فقيه لغة وناقد الفاظ ، فإذا وقع في الخطأ فمرد ذلك إلى التسامح الذي يأخذ به نفسه أحياناً ، وإلى كلال خاطر أحياناً أخرى »<sup>(١٢٤)</sup> . ولهذا كان الأمدي يقول عند ذكر بعض أخطائه : « وليس أبو تمام ممن يذهب هذا عليه ، ولكنه يسامح نفسه في الفاظ ، فيقع في الفلظ عند كلال خاطره »<sup>(١٢٥)</sup> . وكان المعري يسلم لأبي تمام بمعرفته باللغة « فما عرف أنه خطاه في استعماله للفظ ما ، بل كان يقف موقف ملتزم العذر له »<sup>(١٢٦)</sup> . وكان عبد القاهر الجرجاني لا يضييق بدقيق معاني أبي تمام ، ولا بغامض أفكاره « وإنما شدد نكيره عليه لتعسفه في اللفظ ، لأن اللفظ ليس مما يرضي عبد القاهر ، وتعسف أبي تمام في اللفظ يقوده أحياناً إلى مخالفة النحو ، ومخالفة النحو يعتبرها الجرجاني كبتة من

الكبائر، واعتبر الاعجاز كله قائماً على معرفة النحو وفقهه، وعد النحو وسيلة لمعرفة النظم» (١٢٧) وكان عبد القاهر يقول: «ان أبا تمام ما أتى من سوء فهمه للنحو، وقلة معرفته بالعربية، وإنما أتى من تهاونه، ومن انصرافه نحو تزويق اللفظ، فآلهاء ذلك عن الجوهر، وشغله بالعرض». وقال: «وقد عرفت ما جناه التهاون بهذا النحو من الاجترار على أبي تمام، حتى صار ما يُنمى عليه منه أبلغ شيء في بسط لسان القادح فيه، والمنكر لفضله، واحضر حجة للمتعب عليه» (١٢٨).

وسنمعرض في هذه الفقرة من البحث طائفة من آراء اللغويين في شعر أبي تمام ومناقشتهم وسنرى ان بعضها يتعلق بالنحو وبعضها يتصل بالصيغ أو الصرف، وأما القسم الثالث فيتناول الدلالة.



الظروف:

أخطأ أبو تمام في استعمال (بين) فقال: ومشهد بين حكم النمل منقطع صاليه أو بحبال الموت متصل

فقال الامدي: «فقلوه: بين حكم النمل، لو كان حكم النمل اشياء متفرقة لصلح فيها (بين) غير ان حكم النمل والنمل بمنزلة واحدة، وكذلك حكم العز والعز، فكما لا يقال: بين العز كذلك لا يقال: بين حكم العز، حتى يقال هذا، لان (بين) هي وسط بين شيئين. فان قال: ان حكم النمل مشتمل على مشهد الحرب ومن يصلى بها، فكانه ذهب بقوله (بين) الى معنى وسط، أي ومشهد وسط حكم النمل. قيل: وسط لا يحل محل بين، وبين لا يحل محل وسط، لانك تقول: البئر وسط الدار، ولا تقول: البئر بين الدار» (١٢٩).

حروف الجر:

قال أبو تمام:

لم تطلع الشمس فيه يوم ذاك على بان باهل ولم تقرب على غريب جاء في النظام: «يقال: بنى على اهله، ويكرهون: بنى باهله، وهو خطأ. وكان الاصل فيه ان الداخل على اهله كان يضرب عليها قبة ليلة دخوله بها، فقليل لكل داخل باهله: بان» (١٣٠) وقال المعري: «ولا يمنع القياس دخول الباء في هذا الموضع، ويكون المعنى: بنى باهله، أي من أجلهم، كما يقال للرجل: خذ هذا بما فعلت، أي من أجله» (١٣١) ولكن دفاع المعري هذا لم يقتنع ابن المستوفي، فقال: «واللغة انما يوقف عليها مع السماع، والاول الصحيح» (١٣٢).

الاعراب:

أخذ الامدي على أبي تمام قوله:

ثانية في كبد السماء ولم يكن لاثنين ثان اذهما في الغار

فقال: «معنى هذا البيت ان بابك صار في الصلب جاراً لمازياً، وهو ثانيه في كبد السماء، ولم يكن ثانياً لاثنين اذ هما في الغار، انما هو ثاني اثنين في الصلب، الذي هو رذيلة، وليس هو ثانياً لاثنين في الغار، لان تلك فضيلة، فكان يجب ان يقول في البيت: (ولم يكن لاثنين ثانياً) لانه خبر يكن، واسمها هو اسم بابك مضمرة فيها، فليس الى غير النصب سبيل في البيت» (١٣٣).

وأخذ الامدي على أبي تمام قوله:

يوم أفاض جوى اغاض تمزياً خاض الهوى بحري حجاب المزد

فقد قال الامدي: «قال: بحري حجاب المزد وخفضه، وكان وجهه ان يقول (المزيدين) صفة للبحرين» (١٣٤) وقال ابو تمام:

با غالباً لا غالباً لرسية بل الموت لاشك الذي هو غالب

فقال ابو العلاء: «اذا صحت الرواية على هذا اللفظ فقلوه (ياغالباً) نداء للذي يرثيه، واسمه غالب، وتنوين العلم المنادى محسوب من الضرورات، والنحويون فيه مختلفون، بعضهم يختار النصب، وبعضهم يختار الرفع، وهذا البيت ينشد نصباً:

ضربت صدرها التي وقالت يا عدياً لقد وقتك الاواني

وبيت الاحوص ينشد على الوجهين:

سلام الله يامطر عليها وليس عليك يامطر السلام» (١٣٥)

وقال ابو تمام:

جدير بان يستحيي الله بابياً به ثم يستحيي الندى ويراقب

فقال المعري: «يستحيي الثانية رفعها لمكان القافية، لان لا يمكنه فيها غير ذلك، ولو جعلها في موضع نصب لكان قد أسكن الياء في موضع التحريك، وذلك رديء، والكوفيون يرون ان الناصب اذا لم يصحب الفعل فرفعه جائز، ورفع (يستحيي) اوكد لرفع (يراقب) لان المرفوع يكون تابعاً لمثله» (١٣٦) اما ابن المستوفي فقد خرج رفع (يستحيي) الثانية بقوله: «ولو رفعه على تقدير (ثم هو يستحيي الندى) كان جائزاً» (١٣٧) التمددي والنزوم:

قال ابو تمام :

هنا أظلمنا حالاً ثم أجليسا هلاسيهما عن وجه أقرؤ أشيب<sup>(١٢٨)</sup>

قال ابو العلاء : « جمل ( أظلم ) ما هنا متمدياً ، وذلك قليل في الاستعمال ، وهو في القياس جائز ، وهو على قياس من قال ( ظلم الليل ) في معنى ( أظلم ) . فان ادعى ان ( أظلم ) هنا غير متمد ، وأن ( حالاً ) منصوب كانتصاب الظرف ، فان قوله ( أجليسا هلاسيهما ) يرفع ذلك ، لانه عدى ( أجليسا ) الى الظلامين » .<sup>(١٢٩)</sup>

التحذير :

قال ابو تمام :

انظر وياك الهوى لا تُمكنن سلطانة من مقلة شوساء<sup>(١٣٠)</sup>

جاء في النظام : « قال التبريزي : كان النحويون المتقدمون يرون ان اياك ينبغي ان تستعمل مع الواو ، مثل قولهم : اياك وزيدا ، وينكرون مجيئها على غير ذلك ، الا ان تستعمل بـ ( أن ) كقولك : اياك أن تقوم ، والواو عندهم مُرانة . وكذلك تحذف حروف الخفض معها كقولك : أمرتك أن تفعل ، والمراد بان تفعل ، فان عدمت قبح عندهم الحذف الا في ضرورة الشعر كقوله :

اياك اياك المراء فانه الى الشر دعاء وللشر جالب

واصحاب هذا القول يرون ان الحذف جاز مع ( المراء ) لانه مصدر - ( ماريت ) فهو مؤد معنى ( ان تماري ) ، وكذلك الهوى مؤد معنى ( ان تهوى ) . وأما غير هؤلاء فلا يرون بحذف الواو باساً مع ( أن ) وغيرها . لانهم يتأولون المعنى اذا قالوا ( اياك ان تقوم ) على تقدير ( احذرك ان تقوم ) » .<sup>(١٣١)</sup> اضافة ( ذو ) الى الضمير :

قال ابو تمام :

غدوث بهم أمؤ نوي ظلأ واكثر من ورائي ماء واد

جاء في النظام : « وقوله : ( ذوي ) اضاف ( نوي ) الى الضمير ، وذلك قليل ، فاما النحويون فيذكرون أنه لا يجوز » .<sup>(١٣٢)</sup>

يتضح مما تقدم ان ما نسب الى ابي تمام من مخالفة للغة ، او استعمال للاوجه الضعيفة منها ، ليس سببه - كما قال الامدي وغيره - الجهل بالتعبير الراجح ، او المجمع على صحته ، وانما مبعثه مسامحة نفسه ، او احتفاله بالمعنى على حساب التعبير .

٢  
الصيغ

لقد اخذ الامدي على ابي تمام استعمال بعض الصيغ الصرفية ، من ذلك قوله :

اخي ان الصبا استمر به سِرُّ الليلي فانهجت بُرؤه

فقال : « أنهجت ( بُرؤه ) يريد ( بروده ) وفعل على تجمع فُعل » .<sup>(١٣٣)</sup> وقوله :

ملكته الصبا الولوع فالك فته قفؤذ البلى وشؤز الخطوب

قال الامدي : « قوله ( الصبا الولوع ) وانما اراد المولعة بالهبوب لانها اكثر الرياح هبوباً ، ولا اعلمه يقال : ولع بالشئ يولع فهو ولوع ، ولكن قد سمعت ولع مثل زرع يزغ وولوع بكذا ، واللغة المعروفة أولعت بالشئ فانما مؤلف والمصدر الولوع » .<sup>(١٣٤)</sup>

واخذ عليه غير الامدي في مجال الصيغ قوله :

أجبتة معلنا بالسيف معلنا ولو أجبت بغير السيف لم تجب

قال المعري : « لا يعرف ضلته فانصلت » .<sup>(١٣٥)</sup> وقوله :

على كل رؤاد الملاط تهدمت عريكته العليا وانضم حاله

قال المعري : « والعريكة السنام ... وقوله العليا جاء بها كالمستعارة ، وليس هذا من مواضع العليا الممدودة ، ولكنه من مواضع العليا في وزن ( الفُعْلَى ) لانه لو قلت : تهدم سنامه قلت الاعلى ، والفعل أننى الافعل » .<sup>(١٣٦)</sup>

وقد يأتي ابو تمام بالصيغة على غير المعهود لان القياس يجيزها ، نحو قوله :

حواقله وأصبية ترامت بهم ببؤ الدخالة والسهب

قال ابو العلاء المعري : « حواقله اي شيوخ الواحد حوقل وأصبية جمع صبي على القياس والمستعمل صبية » .<sup>(١٣٧)</sup>

وقد يستعمل ابو تمام صيغاً مرجوحة ، غيرها أولى بالاستعمال ، من ذلك قوله :

وأحيا سبيل العنل بعد دثوره وأنهج سبل الجود حين تعفت

قال ابن المستوفي : « أنهج بمعنى أوضح من قولهم طريق نهج اي واضح ، والمعروف نهجت الطريق بغير الف اذا أوضحت ، ولعل أنهج لغة فيه » .<sup>(١٣٨)</sup> وقوله :

قمر تبسم عن جمان نابت فظللث أرمقه بعين الباهت

قال ابن المستوفي : « وقوله ( باهت ) الافصح عندهم ( بُهت ) فهو مبهور وقد حكى ( بُهت ) ، وقرأ بعضهم

( قَبِيتُ الذي كَفَر ) « ، ثم قال : « قال الجوهري بُهِت الرجل بالكسر اذا دهش وتحير وبُهِت بالضم مثله ، وافصح منهما بُهِت كما قال جل ذكره ( فَبُهِتَ الذي كَفَر ) لانه يقال رجل مبهُوت ولا يقال : رجل باهت ولا بهيت ، قاله الكسائي » (١١٩) وقوله : ضَرَحَ القذى عنها وشَنَّبَ سيفه

عن عيصها الخُزاب والخَبَآثَا

قال ابو العلاء : « الخُراب جمع خارب وهو الذي يسرق الابل خاصة ، والخَبَآثَا جمع خابث ، والمستعمل خبيث . وقد يجوز ان يقال خابث على غير الفعل أي ذو خبث كما يقال : تامر ولاين » (١٢٠) وقوله :

ففي كل نجد في البلاد مغائر مواهب ليست منه وهي مواهب قال المعري : « يعني بـ ( غائر ) غوراً ، وكأنه على حذف الموصوف ، تقديره ( وفي كل نجد ومكان غائر ) » (١٢١)

وقد وقف اللغويون امام طائفة مما اورد ابو تمام من صيغ ، فذهبوا الى انها لم ترد عن شاعر قبله ، من ذلك قوله : بمختبل ساج من الطرف أحور ومُقتَبِل صاف من الثغر أشنب

قال المعري : « واذا رويت ومُقتَبِل فهو التقبيل .. والاقْتَبَال من التقبيل معدوم في الشعر العربي القديم » (١٢٢) وقوله :

من المُطْطِنَات الحُسْنِ والمُؤْتَيَاتِ

مُجَلَّبَةً أو فاضلاً لم تُجَلَّبِ

قال المعري : « اذا رويت ( فاضلاً ) فهو فاعل من ( الفُضْل ) . يقال : امرأة فُضِّل اذا كانت في ثوب واحد . وقد يقال : ثوب فُضِّل اذا لم يكن على اللابس غيره . فان ثبت انه قال ( فاضلاً ) وهو يزيد ( الفضل ) فهي كلمة لا تعرف في غير كلام المتقدمين ، وانما المعروف : تَفَضَّلَت المرأة اذا كانت فُضِّلًا » (١٢٣)

وقد يورد ابو تمام الكلمة مجموعة ثم يعاملها معاملة المفرد فينتجها ، من ذلك قوله :

إن الاسنة والساني سنكُثرا فلا الصيامي لها فئر ولا الهلَبُ (١٢٤)

قال المعري : « وقوله : مذكُثرا جعل الاسنة والمادي كالاثنتين وان كل واحد منهما يقع على جمع ، وهذا مثل قول الاسود بن يعفر :

ان المنية والحتوف كلاهما يوفي المخارم يرقبان سوادي

فجعل الحتوف وهو جمع كالواحد فنثنى » (١٢٥) وما تجدر الاشارة اليه في مجال الصيغ ابي تمام شغف

أبي تمام باستعمال المثني شغفا واضحا دون ضرورة (١٢٦) من ذلك قوله :

تحملت مالمو حُفَل البعر نصفه لفكر دهرأ اي عبايه اثقل وقوله :

لو أن دهرأ ردّ رجع جوابي أو كَفَّ من شاويه طول عتابي

وقوله :

أبقي على جولة الايام من كُتِفني رضى وأسر لي الاناق من مثل

وفوه :

فما فضبتا رضى ولا زكُنْ شُعْبتي ولا الطود من زُكُنْ ولا أنف ينبلأ بانقل منه وطاة حين يفتدي فيلقى وراء الملك نحرأ و كُثُلأ

٢

## الدلالة

استعمل ابو تمام كثيراً من الالفاظ في غير ما وضع لها من معان ، فانكر اللغويون ذلك عليه ، لانهم تمسكوا بالمسموع ، ولم يرتضوا ان تستعمل الكلمة في معنى غير الذي استعملها فيه العرب الذين يوثق بلغتهم ، ومن هذا الضرب من الاستعمال اللغوي قوله :

ومها من مها الخدود وآجا ل ظباء يُسر غن في الاجال

فقال النقاد : « وهذا مما غلط فيه ابو تمام لان الاجال جمع ( إجل ) وهو القطيع من البقر ، يقال : سرب من قطا وسرب من نساء وسرب من ظباء » (١٢٧)

ولم يرض الامدي عن ابي تمام لانه استعمل ( الالتدام ) وهو ان تضرب النساء صدورهن في النياحة بمعنى ( اللطم ) وهو ضرب الخدود . قال ابو تمام :

لها من لوعة البين التدام يُمِيدُ بنفسجا ورد الخدود

فقال الامدي : « والتدام النساء في النياحة انما هو ضرب الصدور ، واللطم هو ضرب الخدود ، هذا المستعمل المعروف في كلامهم ، فاللطم هو الذي يعيد بنفسجا ورد الخدود لا الالتدام ، لان الالتدام أن تاخذ المرأة جلدأ أو نعلأ فتلق به صدرها .. فجعل ابو تمام لطم الوجه لدمأ » (١٢٨) ثم عاد الامدي فقال :

« ولعل ذلك يسوغ فان اللطم هو بقي الشيء على الشيء » (١٢٩)

ولم يرض اللغويون عن استعمال ابي تمام الفعل ( جُدْ ) بمعنى ( جُبْ ) في قوله :

من نكبة محفوفة بمصيبة جُدْ السام لها وجُدْ الغارب



جاء في النظام : « فاستعمال ( جُبَّ ) في السنام أكثر من كلامهم في استعمال ( جُدَّ ) وتعدوه الى الظهر ، قال النابغة : ونمسك بعده بذناب عيش أجب الظهر ليس له سنام

ولم يقولوا : بعير أجذ السنام » (١١١)

وقد غير أبو تمام مجال استعمال الفعل ( فَرِكَ ) فقال : وإذا نعمة امرئ فسركته فأفتمزها اليك ولهي غزوبا

فقال الممرى : « فَرِكْتُهُ من ( فَرِكَ النساء ) وهو بفضهن لازواجهن ، وما أخرج الفرك من الحيوان الى غيره من الشعراء أحد قبل الطائي . وقوله : فاهتمزها اي اعطفها اليك » (١١٢) وفات الممرى ان ينسب هنا ايضاً على أن أبا تمام نقل ( القزوب ) من وصف للمرأة الى وصف المعنويات ، فقد وصف بها النعمة ، وهذا مذهب عُرف به أبو تمام - كما تقدم - وهو استعمال الالفاظ بعلاقات جديدة ، لم يالفها الناس .

#### ظواهر لهجية

كان أبو تمام كثير الاستعمال للغة طييء التي هي قبيلته (١١٣) ومن مظاهر هذه اللغة في شعره :

أ ( لغة ( يتماقبون فيكم ملائكة ) التي نسبت الى قبائل أخرى من اليمن مثل بلحرت « ولكن الحاج أبي تمام عليها يوثق الرأي القائل بأنها لغة طييء » (١١٤) من ذلك قوله : وأكيس بمجد عاد فيه نواله وشاعر قوم عُذْن فيه قصائده

وقوله :

شجا في الحشا تربانه ليس يفتز به منن أسالي وإنني لمُفْزِرْ

ب ( حذف تاء التانيث التي تلحق الماضي حين يكون فاعله جمعاً غير عاقل كقوله :

كم انجبوا قمراً جلا أفعاله قمراً ومكزومة تناعي الفرقد

ولو قال : ( جَلَّتْ أفعاله ) لاستقام الوزن .

ج ( استعمال ( نو ) الموصولة ، يقول :

أنا ذو غزفت فإن غزتك جهالة فانا المقيم قيامة المُذال

د ( وفي شعره من لغة خلييء قوله :

هل أوبق المجد إلا في بني أدب أو اجثنى منه لولا طييء ثمز

قال التبريزي : « اذا كان آخر الماضي ياء وقبلها كسرة

نميء تقلبها ألفاً فيقولون ( اجثنى ) في ( اجثنى ) و ( اقثنى ) في ( اقثنى ) ومن العرب من يسكن وهي لغة رديئة ، والاغلب ان يكون الطائي سكن الياء ههنا ولم يستعمل اللغة الطائية » (١١٥)

هـ ( ويقول قوم من طييء ( دفن البنا من المكرمات : موضع قول غيرهم ( دفن النبات من المكرمات ) فيقول أبو تمام : إحدى بني بكر عبد مناه بين الكتيب الفرد والأمواه ألقى النصف فانت خاذلة أمنية الخالي وهو اللاهم المني

( و ) وكان أبو تمام « ذا علم بلهجات القبائل » (١١٦) فلحن نرى قوله :

تكلت قصاندي إن مز يوم ولما اقض فيه منك نخبا  
وكننت اذن كانت فان متي اذا ماكان مثلك كان كلبا

فاستعمال نسمي الرفع ( انت ) بعد الكاف لغة نادرة (١١٧)

#### ثالثاً : تعقيب وتقويم

١

لا بد من الإشارة الى جملة أمور تميز بها مذهب أبي تمام الشعري ، أولها أنه شاعر جانب ( الطبع ) واعتمد على ( الصنعة ) في شعره ، فقد كان يعتقد ان الشعر فن ، وأن الفن لا يؤاتي صاحبه اذا ارسل نفسه على سجيته ، وأخذ ما يطفو على سطح خاطره ، بل لا بد له لكي يكون الفن فناً ان يبذل جهداً ، وأن يشقى شقاء ما ، حتى يستوي له الفن ، ويؤاتيه منه مايرضيه .

والثاني أنه أخذ بما كان مسلم بن الوليد قد أكثر منه من فنون البديع ، مما عرف بالمحسنات البديعية من طباق وجناس وغيرهما ، فاضاف اليها ماسماه بعض النقاد ( التشخيص ) او ( التجسيم ) ، فظهر شعره على نحو لم يالفه النقاد ، ولم يصادفوه في نماذج القدماء من شعراء العربية ، فاستقبحوه واستغفوه ، وهو لم يكن في جملة قبيحاً ولا غثاً ، وانما كان ( غريباً ) حقاً ، وهناك فرق بين ( القبح ) و ( الغرابة ) ، ولعل خير ما يمثل مجانية أبي تمام مذهب مسلم في المحسنات قوله :

كل يوم له وكل أوان خلق ضاحك ومال كئيب

فانت ترى في البيت ( طباقاً ) بين الضحك والكآبة ، ولكن أبا تمام لم يكتف بمجود المطابقة بل زاد عليها لوناً آخر هو

( التصوير ) أو ( التشخيص ) اذ جعل الخلق في صورة ضاحك ، وأبرز المال في هيئة شخص كئيب . وقوله :  
ألبيث فوق بياض مجنك نعمة

بيضاء تسرع في سواد الحاسد

فالبياض والسواد لا يكفيان ابا تمام وهو الصانع الحائق ، الذي لا يأخذ غفو خاطره ، ولا يغتر من فيض طبعه ، وانما يضيف الى الطبايق لوناً جديداً من الفن شغف به ، واكثر منه هو ( التشخيص ) او ( التجسيم ) او ما سماه ارسطو « قوة وضع الاشياء تحت العين » .<sup>(١٧٧)</sup> فعبر عن ( غيظ ) الحاسد بالسواد وعن ( نعمة ) ممدوحه بالبياض « ولم يكتف بذلك بل جعل هذا البياض يسرع في السواد وينتشر فيه » .<sup>(١٧٨)</sup> وقوله :

وأحسن من نثر تفتح الصبا بياض المطايا في سواد المطالب

لقد استخدم الطبايق حقاً ، ولكنه لم يكتف به ، بل شغفه بلونين آخرين هما ( التشخيص ) و ( الحركة ) فقد مثل المطايا في هيئة شخص اتخذ البياض لوناً ، ومثل المطالب شخصاً آخر اتشح بالسواد ، وجعل احدهما يتحرك في الآخر وينتشر فيه .

ان هذا النمط من التعقيد في تناول مقومات الفن الشعري هو ما امتاز به ابو تمام ، وانفرد به عن استاذه مسلم بن الوليد ومن سبقه من شعراء ، كانوا يعمدون الى الطبايق او الجناس على نحو لا يغرق فيه من جانب ، ولا توشية له بلون جديد آخر هو ( التشخيص ) او ( التجسيم ) .

والثالث أنه شاعر استجاب لمتطلبات عصره الثقافية والحياتية ، فاهم بالوان العلوم التي ظهرت في ذلك العصر ، وأخذ نفسه بثقافة وسعة حتى قالوا عنه أنه عالم .<sup>(١٧٩)</sup> وقد اضاف الى هذه الثقافة ثقافة فنية لا تقل عنها اتساعاً « فقد كان مستبحراً في الرواية » .<sup>(١٨٠)</sup> وقد أثرت ثقافته العلمية في شعره فظهرت فيه بعض مصطلحات العلوم ، كما سلف به البيان ، وأثرت في شعره أيضاً ثقافته الفنية ، فظهرت في ذلك الشعر أمارات تدل على خبرة واسعة في اللغة ، وتمرس طويل بالأساليب .

وأما النقاد الذين تناولوا شعر ابي تمام ، واكثرهم من المحافظين ، فقد اتسم نقدهم بأمرين :

الاول ( الاحتكام الى القديم )

ولا نريد هنا أن نقض من مبدأ الاحتكام الى القديم في اللغة ، ذلك لأن وعي الناقد بالتقاليد الادبية التي سبقته وعاصرتها أمر محمود ، ومبدأ ضروري ، يعين الناقد على تقويم

الجديد ، وميز عناصره ، غير أن الذي يخشى منه هو ان يسرف الناقد في تطبيق هذا المبدأ الى الحد الذي « يحول بين الفنان وبين ( كذا ) التطور الذي ينشده » .<sup>(١٨١)</sup>

كانت عودة بعض النقاد الى القديم واستشارتهم اياه في أمر الجديد موقفاً لا مفر منه للناقد الحصيف ، ليستطيع أن يقف على ما حققه المجددون ويفصل فيه ، فيقبل الاصيل ويرفض الزائف . فالجديد لا يعرف الا بعرضه على القديم وموازنته به ، وهذا مبدأ سليم . ولكن الذي تورط فيه النقاد المحافظون هو أنهم لم يرجعوا الى القديم لتعرف العناصر الجديدة ، وتقدير قيمتها ، بل رجعوا اليه ليتخذوا منه مقياساً ، فيقبلوا ما وافقه وسار على نهجه ، ويرفضوا ما خرج عنه ، ولم يلتزم امثلته ، او المعروف المتداول من قيمه وأساليبه .

ومما سوغ لهم هذا الموقف ، وصرفهم عما ينشأ عنه من ضرر باللغة والادب ، ايمانهم « بأن الشعر والنثر نوعان من الكلام البليغ ، لا شكلان متميزان من التعبير » .<sup>(١٨٢)</sup> وقد ذهبوا نتيجة لذلك الى أن دور الكلمات في الشعر لا يتمايز من دورها في النثر ، وأن طبيعة استخدامها في كلا الفنين واحدة ، وأن فهموا الامر على هذا النحو لم يمنحوا الشاعر حرية التعامل مع اللغة ، ولم يجيزوا له ان يتعدى اطرها الثابتة ، أو يحطم نسقها المتعارف عليه . وهم بذلك لم يصدروا عن فقه صحيح للفن الشعري ، وما تفرضه التجربة أحياناً من تصرف في اللغة ، واستخدامها استخداماً خاصاً ، وبعبارة اخرى ان اولئك النقاد نظروا الى الشعر نظرة بعيدة من طبيعته بوصفه نشاطاً تخييلياً ، من حقه ان تستخدم اللغة فيه على الوجه الذي يتطلبه هذا الضرب من النشاط ، وحاولوا ان يفرضوا عليه نظاماً صارماً لا يسمح بأي تجديد أو تغيير . وهذا يعني أنهم تغافلوا عن أن اللغة في الشعر « لغة انفعالية مرنة ، بل أميز ما فيها هو هذه المرونة التي تجعلها متجددة دائماً بتجدد الانفعالات ، فالانفعالات الجديدة تستخدم الالفاظ دائماً استخداماً جديداً » .<sup>(١٨٣)</sup>

وتبعاً لمعيار ( الاحتكام الى القديم ) او الى ما يسمى ( طريقة العرب الاوائل ) عاب اسحاق الموصلي ابا تمام وقال له : « يافتي ما أشد ما تنكئ على نفسك ، يعني أنه لا يسلك مسلك الشعراء قبله ، وانما يستقي من نفسه » .<sup>(١٨٤)</sup> وقد مر بنا في ( مجازات ابي تمام ) ما انكره النقاد ولا سيما الامدي من بعض المجازات لخروجها عن مذهب العرب الاوائل في الاستخدام الفني للغة ، ونذكر هنا بيته المشهور :

رقيق حواشي الحلم لو أن بكفيك ما ماريت في أنه برد حلمه

فقال ابن عمار : « هذا هو الذي اضحك الناس منذ سمعوه والى هذا الوقت » .<sup>(١٨٥)</sup> اما الامدي فلم يكتف بالسخرية من الشاعر ، بل قال : « والخطأ في هذا البيت ظاهر

لاني ما علمت احداً من شعراء الجاهلية والاسلام وصف الحلم بالبرقة ، وانما يوصف الحلم بالعظم والرجحان والثقل والرزانة » (١٧٦) ثم ساق عدداً كبيراً من الشواهد على ذلك ، اختارها من شعر الجاهليين والاسلاميين وذكر ان العرب كانوا اذا ذموا الحلم وصفوه بالخفة ، وايد ما ذكره بشواهد كثيرة . ثم اخذ على ابي تمام انه وصف البرد بالبرقة ، وقد جرت العادة بوصفه بالمتانة والصفاقة . واستنكر اشد الاستنكار قوله ( لو ان حلمه بكفيك ) . ثم اقر الامدي بان ابا تمام لم يكن ليذهب هذا المذهب في شعره ، جهلاً منه بالمتعارف من وصف الحلم ، او نعت البرد ، فكثيراً ما جاء في شعره وصف الحلم بالرزانة ، مقتدياً في ذلك بالعرب ، ولكنه كان يجنح في بعض الاحيان الى مغايرة ما تعارف عليه الناس (١٧٧) وفي « مغايرة ما تعارف عليه الناس » من علاقات بين الالفاظ يكمن الابداع احياناً ، وتبرز شخصية الاديب .

لقد عبر الناس مثل ابي تمام وهم يجدون الحلم مقروناً الى الرزانة ، او موصوفاً بها ، ويجدون البرد مضموماً الى الغلظة او المتانة ، فجاء ابو تمام فلم يشأ ان يجري على ما جرى عليه الناس او ان ياخذ بقولهم واستعمالاتهم ، فانشأ للحلم قريناً آخر ، وابتدع له الفا جديداً ، وضم اليه كلمة اخرى ، غير التي لصقت به زمناً طويلاً فقال : ( رقيق الحلم ) وفعل مثل ذلك في تغيير العلاقة بين ( البرد ) و ( المتانة ) فقال ( رقيق البرد ) . ان عمل ابي تمام هذا هو الذي قصدناه حين قلنا ان الاديب يعتمد احياناً ، عن العلاقات المألوفة بين الالفاظ ، وينشيء سياقاً لغوياً جديداً غير الذي سكن اليه الناس ، والقوه . ثم ان ابا تمام ان خرج عن طريقة العرب في التعبير عن ( الحلم ) و ( الحليم ) فانه لم يخالف اهل عصره في ذوقهم اذ « ليس بغريب ان يوصف الحلم في عصر تسوده الحضارة والمدنية كالعصر العباسي بغير ما يوصف به في عصر تسوده البداوة والروح القبلية كالعصر الجاهلي الذي كان يحتكم الى مبدأ القوة في كل شيء حتى لتبدو قيمه الخلقية والاجتماعية منتزعة من هذا المبدأ » (١٧٨) ولهذا كان من الطبيعي ان يوصف حليم العصر الجاهلي بانه الثابت كالطود ويوصف حليم العصر العباسي عصر الحضارة والمدنية بانه الرجل الرقيق الذي لا يواجه مصاعب الحياة الا بوجه باش وثغر مبتسم (١٧٩) ولا عيب ايضاً في « أن يشبه ابو تمام رقة حلم هذا الرجل برقة البرد ونعموته ، فليس من الضروري أن يكون البرد خشناً صقيفاً على الدوام ... ولا شك أن برد عصر البداوة كان يختلف عن برد عصر الحضارة » (١٨٠) فبرد عصر البداوة كان ينسج من الصوف ، ولذا شاع وصفه بالمتانة والصفاقة ، « أما برد عصر الحضارة فيبدو انه كان يصنع من أنسجة رقيقة ناعمة تمشياً مع رقة حياة اهل ذلك العصر وترفعهم في اختيار الملابس والازياء » (١٨١)

والثاني ( التعصب على ابي تمام ) والإفراط في ظلمه ، فقد أخذوا عليه ما لو اتسموا بالنصفة ، لما رأوا أنه معيب ، أو مردود . ومن امثلة مبالغتهم في نقده ، ورد ما لا عيب فيه من الفاظه وعباراته ، وقوف الامدي عند لفظة ( عكاظ ) في قوله : قد عهدنا الرسوم وهي عكاظ للصبا تزدهيك حسناً وطيباً

قال الامدي : « ولو قال : ( سوق ) لكان أجود من قوله ( عكاظ ) ، وإنما ذهب الى ان عكاظ من اعظم الاسواق التي تجتمع اليها العرب ، وقد كان يكفي ان يقول ( سوق ) فيأتي باللفظة المستعملة المعتادة . وان السوق قد تكون عظيمة أهلة ، وعكاظ أيضاً سوق ، فما وجه التخصيص في موضع العموم ، والعموم أجود وأليق ؟ وقد يجوز أن يكون احتذاه على مثال ، والرديء لا يعتبر به ، وعلى ان الوزن لم يمكنه من سوق » (١٨٢) لم يكن الامدي مصيباً في عيب كلمة ( عكاظ ) وتفضيل كلمة ( سوق ) عليها ، فمما اعتاده الشعراء ان يذكروا في قصائدهم أسماء المواضع والاماكن ، لما لهذه الاسماء من احياء ، وما تبعث به من طلال ، فعكاظ تستدعي الى الخاطر ما يعرفه السامع عنها ، وما كان يشاهد فيها ، فيكون ذلك أدعى الى تأثره باللفظة ، والنجاذبه نحوها ، اما كلمة ( سوق ) فكلمة عامة ممسوحة . لا تتعلق بها ذكريات ، ولا تبعث خيالات او عاطفة . وقد أشار بعض النقاد المحدثين الى ان معنى اللفظة في الشعر لا يقتصر على المعنى المقابل لها في المعجم « بل يشمل الارتباطات التي تبعثها اللفظة مفردة ومجموعة مع غيرها . فوظيفة اللفظة في الشعر ليست مجرد الإشارة الى الشيء ، وانما للغة في الشعر مكونات ثنائية وثلاثية ورباعية كما يقول كولرد ٩ » (١٨٣)

وقوف الامدي عند قول ابي تمام :  
وأقاج منوّ في بطاح هزه في الصباح روض أريض

قال الامدي : « وقوله : ( هزه في الصباح روض أريض ) ليس بالجيد اللائق ، لان الاقاجي هي من الروض ، والروض انما يهزه ويحركه الندى والتسيم ، لا أن يهز بعضه بعضاً » (١٨٤) لقد ذهب الامدي الى ( الهز ) الحقيقي المادي الذي يسببه التسيم ، وتراء العيون ، وغفل عما قصده الشاعر من هز آخر لاتحسه العيون ، وانما يتمثل للخيال فحسب ، ويتراءى للنفس وحدها ، وهو تمايل خفي تبعثه رؤية الازهار بعضها بعضاً ، وهي مطلولة تستقبل الصباح على غصونها ، فتنتشي وتتمايل ، لكانني بالامدي ، وهو يعيب عبارة ابي تمام هذه ، يجهل لغة الشعر ، وتخفى عليه أسرارها .

ولعل من أوضح ما يمثل ظلم بعض النقاد لابي تمام وقوف الامدي عند قوله :

إن الخليفة قد عزت بدولته دعائم الدين فليعزز به الادب

لقد علق الامدي على هذا البيت قائلاً : « دعائم الدين قد توصف بأنها ثبتت أو تمكنت وأقامت وتوطدت ، فهذا هو اللفظ المستعمل ، ألا ترى أنها إذا وصفت بغير هذا الوصف قيل : وهت وسقطت وخزت ، وهذا أن لم يكن خطأ فليس بالجيد لانه لفظ موضوع في غير موضعه » (١٨٥)

إن ما قصده ابو تمام بلفظة ( عزت ) هو أعم وأشمل من اللفظ الذي اقترحه الامدي وارتضاه ، فمز الدعائم يعني ثباتها ودوامها وهيبتها وامتناعها على من يرومها بنقض أو تهديم . ولعل كلمة ( عزت ) البقية بلغة الشعر ، وما تقتضي من إثارة وتحريك خيال . من كلمة ( ثبتت ) أو ( رسخت ) وغيرهما . وقد أصاب ابن المستوفي في رده الامدي هنا بقوله : « كان الامدي كثير التعصب على أبي تمام ، وهذا الذي ذكره هو على ما ذكره من اوصاف الدعائم حقيقة ، فاما مجازاً فجائز جوازاً حسناً . هذا اذا كانت لفظة ( عزت ) ضد لفظة ( نلت ) ، فان اراد بها الشدة والقوة من قولهم ( من عزب ) ومن التفسير في قوله تعالى ( فمزنا بتالت ) (١٨٦) مخففاً ومشدداً اي قوينا وشددنا فهو موضوع في موضعه على الحقيقة » (١٨٧)

ومثل ذلك وقوف بعض النقاد عند قول أبي تمام :  
اعانلني ما لخصي الليل مركباً ولخصن منه في الملة رآية

اذ قال هذا الناقد : « ولم يسمع مركب خشن » (١٨٨) بل المسموع ( مركب وعر ) . وليست بي حاجة للتعليل على هذا النقد ، فاللفة ليست من الجمود والتحجر بحيث لا تبيح للشاعر أن يستبدل بـ ( وعر ) كلمة ( خشن ) .

وقبل أن اختم الكلام على ظلم بعض الناقد لابي تمام ، أود الإشارة الى أن هذا الظلم دعا المرزوقي الى تأليف كتاب سماه ( الانتصار من ظلمة أبي تمام ) نقل التبريزي في شرحه كثيراً منه ، ومما نقله عبارات المرزوقي في تمديف أولئك النقاد ، واتهامه لهم بانهم لم يفهموا معاني أبي تمام ، من ذلك قوله : « أعلم أن هذا المنكر لم يفهم عن الرجل ما قاله ، فاخذ ينكر عليه مالم يدركه » ، وقوله : « ولعمري أن أكثر من يذهب عن طرائقه فانما يؤتى من سوء الفهم عنه » (١٨٩) وقوله غير مرة : « وأنكر بعضهم قول أبي تمام كذا ... وقد ظلم هذا الانسان أبا تمام ظلماً مبيهاً » (١٩٠)

٣

وأما اللغويون الذين عرضوا لشعر أبي تمام فقد برزت في ملاحظاتهم عليه ظواهر ثلاث :

الاولى ( التقيد بالعرف اللغوي ) ، وزاد من صرامة هذا التقيد أن جل اللغويين الذين تصدوا للنظر في شعر أبي تمام

كانوا من مدرسة البصرة ، وهي مدرسة لا تحتكم الى الشائع المطرد من كلام العرب ، ولا تقيم وزناً للمحاولات اللغوية الفردية ، لأنها تحاول أن تقيم للغة نظاماً شاملاً ، ونسقاً صلباً ، لا يمكن تجاوزه ، أو الخروج عنه ، وقد اعتمدت في إقامة هذا النظام اللغوي الشامل على أساس من لغة الشعراء القدامى ، بمعنى أن هذه اللغة أصبحت المعيار الاساس الذي يرجع اليه في تقويم شعراء المحدثين ، ومثل هذا المعيار يحتم على اللغوي أن يصم بالخطأ « كل من يخرج في اللغة على ما عرفه الاولون وانتهوا اليه » (١٩١)

وتبعاً لهذا المعيار أي التقيد بلغة القدامى ، أو ما يسمى طريقة العرب الاوائل ، رفض اللغويون كثيراً من الصيغ والعبارات التي ابتعد فيها أبو تمام عن الاطر اللغوية المألوفة . وإذا اردنا لغوياً تمثلت في احكامه النظرة المحافظة للغة فهو الامدي ، الذي قدمنا أنه كان تلميذاً مخلصاً للاخفش ، درس عليه ، ورضي منهج البصريين . لقد هدف الامدي الى تجميد اللغة ، واراد لابي تمام أن يسير داخل الاطر اللغوية الجاهزة ، وقد جاء حكمه المشهور « اللغة لا يقاس عليها » دليلاً على شدة محافظته . وواضح أن « مثل هذا الحكم العام يتنافر مع الفهم الصحيح للفن وحركة تطوره المستمرة التي لا تنتهي عند حد ، كما انه لا يؤثر بالضرورة في منهج الناقد الذي قد يهمل في حدود هذه النظرة المحافظة الكثير من الجديد الذي قد يحققة الفنان » (١٩٢) ومن هنا حكم الامدي على أبي تمام بالخطأ كلما خرج عن تقاليد اللغة والادب (١٩٣) من ذلك انه عاب على أبي تمام قوله : ( لا أنت أنت ولا الزمان زمان ) ، ورأى في قوله : ( لا أنت أنت ) تعبيراً شعبياً ، وانكر أن يقيسه على قول من قال من العرب القدامى ( ولا المقيق عقيق ) (١٩٤) « وفي هذا ما فيه من تأثير بالاحتكام الى القديم وحده ، ونظرتة الى اللغة القديمة نظرة تقديس » (١٩٥)

وفي نقد الامدي امثلة اخرى على ما تورط فيه من تعنت وجمود ، نتيجة لتمسكه بأن « اللغة لا يقاس عليها » ، ولا ينبغي التجديد فيها ، من ذلك انه نقد أبي تمام :

فانزع الى نحر الشلون وعنبه فاللمع ينهب بعض جهد الجاهد

قال الامدي : « قوله ( يذهب بعض جهد الجاهد ) أي بعض جهد الحزن الحزن الجاهد أي الحزن الذي جهلك ، فهو الجاهد لك . ولو كان استقام له ( بعض جهد المجهود ) لكان أحسن واليق ، وهذا أعذب وأظرف . وقد جاء ايضاً ( فاعل ) بمعنى ( مفعول ) قالوا ( عيشة راضية ) بمعنى مرضية ، و ( لمح باصر ) وانما هو ( مبصر فيه ) واشباه هذا كثرة معروفة ، ولكن ليس في كل شيء ، وانما ينبغي أن تنتهي باللغة الى حيث انتهوا ولا يتعدى الى غيره ، فان اللغة لا يقاس عليها » (١٩٦)



وليس على أبي تمام إذا استعمل ( جاهد ) بمعنى ( مجهود ) لأن لاستعماله هذا نظائر كثيرة ، كقولهم ( عيشة راضية ) بمعنى ( مرضية ) و ( نهار صائم ) أي مصوم فيه ، ولكن نظرة الامدي الضيقة للغة هي التي دفعت الى عدم الأخذ بالقياس ، ثم تخطئة ما لم يرد عن القدماء .

والثانية ( عدم التفريق بين الخطأ والتطور ) .

إن كل لغة يعرفها مع الزمن شيء من التحول ، وذلك لصلتها الوثيقة بأحوال متكلميه ، والعربية على الرغم من تمتعها بقسط كبير من الاستقرار إذا ما قيس بغيرها من اللغات ، لم تتوقف يد التطور عن العمل فيها ، ولكن اللغويين نظروا الى التطور الطبيعي على أنه خطأ يجب حماية اللغة منه . لقد كان المفروض أن يفرقوا « بين ما هو خطأ وانحراف وما هو توليد وتجديد وتطور فكلاهما حدث جديد في اللغة ، وتبدل في بعض ظواهرها ، ولكن الخطأ تبديل يخالف خصائص اللغة ، وسنن نموها وناموس حياتها وقواعد فطرتها ، ويخل بنظمها .. وأما التجديد والتطور فهو تبديل واحداث يجري وفقاً لسننها وينساب مع فطرتها ، وينقاد لقواعدها ، ويوافق روحها وخصائصها » (١٧٧) وكان على اللغويين أيضاً أن يدركوا أن « اللغة كائن مرموق يستحيل وضعه في وعاء واحد ، أو الحكم عليه ليسير في خط محدد » (١٧٨)

ولعل أهم ما يوضح هذه الظاهرة في نقد اللغويين لأبي تمام موقفهم من استعماله بعض الكلمات في غير المسموع من معانيها ، مع أن التطور الدلالي للمفردات ظاهرة لا تسلم منها لغة ، ولا تفتأ تعرض للكلمات في جميع العصور . قال أبو تمام :  
وصنعة لك ثيب أهديها وهي الكعاب لعائذ بك مصرم  
جلك محل البكر من معطي وقد رُنت من المعطي زفان الأيام (١٧٩)

فخطأه الامدي لأنه استعمل ( الأيم ) بمعنى ( الثيب ) . قال الامدي : « الأيم هي التي لا زوج لها بكراً كانت أو ثيباً ، قال الله عز وجل ( وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم ) أفترأه أراد : أنكحوا الثيبات من النساء دون الإبكار ؟ إنما أراد تبارك اسمه : أنكحوا النساء اللواتي لا أزواج لهن . فالثيب والبكر والصغية والكبيرة ممن لا زوج لها تدخل في الآية ، قال الشعاع :  
يقر بعيني أن أحدث أنهار .. وإن لم لئلا أيم لم تنج

وهذا هو المعنى المعروف في كلامهم » (٢٠٠)

وقد علق إحسان عباسي على نقد الامدي هذا قائلاً : « إن الالفاظ تنزلق أحياناً انزلاقاً يسيراً عما وضعت له بمرور الزمن ، وهذا مبدأ لا يحترمه أمثال الامدي القائلون بالتدقيق » (٢٠١)  
وقال أبو تمام يصف فرساً :  
مامقرب يختال في أسطانه ملان من ضلف به وتلهوق

فخطأه الامدي أيضاً لأنه استعمل ( الصلف ) بغير المسموع من معناها . قال الامدي : « قوله ( ملان من صلف به ) يريد التيه والكبر ، وهذا مذهب العامة في هذه اللفظة ، فأما العرب فإنها لا تستعملها على هذا المعنى وإنما تقول : قد ضلّت المرأة عند زوجها إذا لم تحظ عنده ، و ضلّف الرجل كذلك إذا كانت زوجته تكرمه ، والضلّف الذي لا خير عنده » (٢٠٢)  
فتطور دلالة كلمة ( الصلف ) وتغير معناها أمر لا بأس باقراره ، لأن له في العربية نظائر كثيرة ، وهو على ذلك ليس خطأ ، وإنما هو من باب التطور ، واكتساب بعض الالفاظ دلالات جديدة .

الثالثة ( التجمل في الحكم بالخطأ ) .

وهذه ظاهرة طبعت أعمال النقاد اللغويين عامة ، فالعربية لغة واسعة واللغويون عجزوا عن الاحاطة « بكل الكثر اللفظي الحي الذي كان مستعملاً آن ذاك في عالم البادية » (٢٠٣) وإذا كان الأمر كذلك فقد كان على اللغويين أن يتريثوا في الحكم بالخطأ على هذا الاستعمال أو ذاك ، ولكن الذي حدث غير هذا ، فقد كان بعض اللغويين يتعجلون فيهمون هذا المنشئ أو ذاك بالخطأ ، ولو أنهم انعموا بالنظر ، وأمعنوا في الاستقصاء ، لوجدوا في كلام العرب ، والرفع منه أحياناً ما يسند الاستعمال الذي خطؤوه أو استهجنوه . وقد فطن القاضي الجرجاني لهذه الظاهرة فقال : « ولم أستحسن ما يتسرع اليه بعض أصحابنا من التصريح بمخالفة اللغة » (٢٠٤)

وإذا تذكرنا أن أبا تمام « كان مستبحراً في الرواية » (٢٠٥) واسع الاطلاع على شعر العرب ، تشهد بذلك اختياراته منه ، أبركنا ضرورة التريث في تخطئته . غير أن الذي يتأمل ما وصم به أبو تمام من الخطأ يجد الكثير منه مما يمكن أن يسوغ بلغات العرب الكثيرة ، التي ربما غابت عن صرح بتخطئته .  
نقل التبريزي عن المعري في نقده لبيت أبي تمام :  
وليست بالعوان العنّس عندي ولا هي منك بالبكر الكعاب

أنه قال : « وقد غاب بعض أهل العلم هذا البيت بقوله ( العنّس ) وقال : ولم تسمع العنّس إلا في صفة الناقة ، كأنه يذهب الى أنه أراد ( العانس ) فوضع ( العنّس ) مكانها . ويجوز أن يكون هذا غلطاً على الطائي فمن عابه ، إذ كان مثله مع أدبه لا يغيب عنه مثل ذلك » (٢٠٦) ومن ذلك تقدم كلمة ( أغاض ) في قوله :

يوم أغاض جوى أغاض تمزيماً خاض الهوى بحري حجاب المزد  
قال أبو العلاء : « وإنما يقال غاض الماء وغاضه غيره ،

ويجوز أن يكون الطائي سمع أغاض في شعر قديم ، وإن لم يكن سمع فالقياس يطلقه » (٢٠٧) .

ومن تعجل النقد بتخطئة أبي تمام ردهم قوله :  
مها الوحش إلا أن هاتا أوانس قنا الخط إلا أن تلك ذوابل

قال ابن أبي الأصبع : « وقد غلط الاعمدي في تغليب أبي تمام في هذا البيت حيث ( كذا ) زعم أنه نفى عن النساء لين القدور ، معتقدا أن الرماح سميت ذوابل للينها ، والمعروف عن أهل اللسان ضد ذلك ، لأن العرب تقول : رمح ذابل إذا كان صلب الكموب ومن ذلك قولهم : ذبلت شفتاه إذا ييبستا ، ولا تعرف العرب الذابل إلا اليابس الذي جفت رطوبته ، ومن ذلك قولهم : نواة ذابلة إذا جف ماؤها واخذت في اليبس . وأبو تمام لا يشك أحد أنه أبصر من الاعمدي باللغة ، واقهر منه في معرفة اللسان العربي » (٢٠٨) .

وقد كان أبو العلاء المعري أكثر النقاد تحفظاً في تخطئه أبي تمام ، فقد ذكرنا أنه كان يسلم له بمعرفته باللغة : « حاول أن يلتصق له العذر بدلاً من أن يصمه بالخطأ . ومن أجل ذلك كثرت في شرح المعري لشعر أبي تمام أمثال العبارات الآتية : « ويجوز أن يكون الطائي سمعها في شيء من شعر العرب » (٢٠٩) ، و « يجوز أن يكون أبو تمام سمعها في شعر قديم لأنه كان مستبحراً في الرواية » (٢١٠) ، وانطلاقاً من هذه النظرة لتقافة أبي تمام اللغوية ، كان الزمخشري - و تبعه الرضي في ذلك - يستشهد بشعر أبي تمام ، ويقول عنه : « أنه وإن كان محدثاً لا يستشهد بشعره في اللغة ، فهو من علماء العربية ، فاجعل ما يقوله بمنزلة ما يرويه » (٢١١) .

## الخاتمة

كان هذا بحثاً عرضت فيه للغة شاعر كبير من شعراء العربية ، كانت لغته أهم ما شغل نقاده ، وأبرز ما اتسم به مذهبه الشعري الجديد .

وقد تتبعت فيه آراء نقاد أبي تمام في لغته ، واستجليت المقاييس التي احتكموا إليها في استجادة ما استجادوا ورفض ما رفضوا منها ، كما اجتهدت في أن ألتمس الجديد الذي تميزت به طريقة أبي تمام في تعامله مع اللغة ، وهي لم تظهر عند شاعر قبله ، فاثارت لذلك جدل النقاد ، وقامت حولها حركة نقدية نشيطة ، ولكنها على كثرة ما أنتجت من آراء ، وما أريق فيها من مداد ، لم تستطع استكشاف حقيقة تلك الطريقة ، يبيان مقدار ما حققت للشعر العربي من تطور . ولعلي لا اعدو الصواب إذا قلت أن هذه الطريقة لم يقيض لها أن تفهم ، وتوضع في مكانها من مسيرة تطور الشعر العربي إلا في العصر الحديث .

ولم اكتف في هذا البحث بتتبع آراء النقاد ، سواء أكانت صادرة عن منظار نقدي خالص يبحث عن الجيد والرديء ، أم صادرة عن منظار لغوي يميز الصواب من الخطأ ، بل قومتها وأظهرت ما اتسمت به من موضوعية حيناً ، وتعصب ومجانبية للصواب حيناً آخر .

وبعد فأرجو أن أكون وفقت لتقديم صورة واضحة للغة أبي تمام ، بما انطوت عليه من جديد رفيع يدل على عبقرية وتقدير ، وما شابها من غث ساق إليه تسامح أبي تمام ، وكلال خاطره أحياناً .

## الهوامش

- ( ١ ) الموشح : ٣٨٥ .
- ( ٢ ) الثابت والمتحول : ١٠٦ .
- ( ٣ ) نفسه : وينظر مصدره .
- ( ٤ ) نفسه : وينظر مصدره .
- ( ٥ ) نفسه : ١٠٦ ، ١٠٧ وينظر مصدره .
- ( ٦ ) نفسه : ١٠٧ وينظر مصدره .
- ( ٧ ) الثابت والمتحول : ١٠٧ .
- ( ٨ ) الفن ومذاهبه في الشعر العربي : ١٥١ .
- ( ٩ ) أخبار أبي تمام : ١٥ ، ١٦ .
- ( ١٠ ) الثابت والمتحول : ١١٤ وينظر مصدره .
- ( ١١ ) أخبار أبي تمام : ٢٤٤ .
- ( ١٢ ) الحركة النقدية حول مذهب أبي تمام : ٤٥ .
- ( ١٣ ) معجم الأدباء : ١٩ / ١٢١ وينظر الحركة النقدية : ٤٥ .
- ( ١٤ ) المصداق : ١٠٥ / ٢ .
- ( ١٥ ) الشعر والشعراء : ١ / ٦٢ .
- ( ١٦ ) نفسه : ١ / ٦٢ ، ٦٣ .
- ( ١٧ ) الحركة النقدية حول مذهب أبي تمام : ٣٣٣ .
- ( ١٨ ) اللغة والمجتمع : ٥ ، وينظر : قضايا النقد الأدبي والبلاغة : ١٥ .
- ( ١٩ ) قضايا النقد الأدبي والبلاغة : ١٥ ، ١٦ .
- ( ٢٠ ) النقد الأدبي ( سهر القلماوي ) : ٦٧ .
- ( ٢١ ) سر المصاحبة : ٧٨ .
- ( ٢٢ ) نفسه .
- ( ٢٣ ) نفسه .
- ( ٢٤ ) نفسه : ٧٩ .
- ( ٢٥ ) المثل السائر : ١ / ١٨٨ وما بعدها .
- ( ٢٦ ) المثل السائر : ١ / ٢٨٤ .
- ( ٢٧ ) النحل : ٨ .
- ( ٢٨ ) المثل السائر : ١ / ٣٨٧ .
- ( ٢٩ ) الحركة النقدية حول مذهب أبي تمام : ٣٧٩ وينظر مصدره .

فليت شمري من حفر عليه القواني واقتصر به على الثاء .  
 ( ٦٧ ) الموازنة : ٢٨٥ / ٢ .  
 ( ٦٨ ) الموازنة : ٢٦٩ / ١ . السلام الحجارة ، سلمى : جبل ،  
 السلم شجر له شوك .  
 ( ٦٩ ) العمدة : ٦٦ / ٢ .  
 ( ٧٠ ) المثل السائر : ١٨٥ / ١ .  
 ( ٧١ ) نفسه : ١٨٧ / ١ .  
 ( ٧٢ ) سر الفصاحة : ٧٦ . والمرزمان : نجمان .  
 ( ٧٣ ) نفسه : ٧٦ ، ٧٧ .  
 ( ٧٤ ) نفسه : ٧٧ .  
 ( ٧٥ ) دروس في البلاغة : ٢٢٠ .  
 ( ٧٦ ) دروس في البلاغة : ٢٢٠ .  
 ( ٧٧ ) منهاج البلغاء : ٢٥ .  
 ( ٧٨ ) نفسه : ٣١ .  
 ( ٧٩ ) سر الفصاحة : ١٥٩ .  
 ( ٨٠ ) الفن ومذاهبه في الشعر العربي : ١٤٨ .  
 ( ٨١ ) نفسه .  
 ( ٨٢ ) نفسه : ١٤٩ .  
 ( ٨٣ ) نفسه .  
 ( ٨٤ ) المثل السائر : ٣٥٧ ، ٣٥٦ / ٢ .  
 ( ٨٥ ) العمدة : ١٢٣ / ١ .  
 ( ٨٦ ) الموازنة : ٢٢٧ / ١ .  
 ( ٨٧ ) نفسه : ٢٤٧ ، ٢٤٦ / ٢ .  
 ( ٨٨ ) سر الفصاحة : ٦٥ .  
 ( ٨٩ ) نفسه : ٦٦ .  
 ( ٩٠ ) النظام : ١٧٩ / ٣ .  
 ( ٩١ ) النقد الجمالي : ١٣٢ .  
 ( ٩٢ ) المثل السائر : ٢٩٢ / ١ وما بعدها .  
 ( ٩٣ ) سر الفصاحة : ٨٧ .  
 ( ٩٤ ) نفسه : ٩١ .  
 ( ٩٥ ) نفسه : ١٤٩ .  
 ( ٩٦ ) نفسه : ١٥٠ .  
 ( ٩٧ ) المثل السائر : ٣٠٣ / ١ .  
 ( ٩٨ ) نقد الشعر : ٣٢ .  
 ( ٩٩ ) المثل السائر : ٤٦ / ٢ .  
 ( ١٠٠ ) الموازنة : ٢٨٠ / ١ .  
 ( ١٠١ ) أسرار البلاغة : ١٣٠ .  
 ( ١٠٢ ) الموازنة : ٢٧٨ / ١ .  
 ( ١٠٣ ) نفسه : ١٩ / ٢ .  
 ( ١٠٤ ) نفسه : ١٧ / ٢ ، ١٨ .  
 ( ١٠٥ ) ابوتعام الطائي : ٧٧ . الأفيس والأفيس : الشجاع وجمع  
 الأفيس اللبس .  
 ( ١٠٦ ) عيار الشعر : ٦ .  
 ( ١٠٧ ) الوساطة : ٢٢ .  
 ( ١٠٨ ) أخبار أبي تمام : ٩٧ .  
 ( ١٠٩ ) الحركة النقدية حول مذهب أبي تمام : ١٩٨ .  
 ( ١١٠ ) أخبار أبي تمام : ٦٧ .  
 ( ١١١ ) الموازنة : ٥ / ١ .

( ٣٠ ) الموازنة : ٢٨٣ / ١ .  
 ( ٣١ ) نفسه : ٤٤٣ / ١ .  
 ( ٣٢ ) نفسه : ٤٤٣ / ١ ، ٤٤٤ .  
 ( ٣٣ ) سر الفصاحة : ٥٧ .  
 ( ٣٤ ) نفسه : ٦٣ . الصهلوق من الاصوات الشديد . وشرج :  
 ضم .  
 ( ٣٥ ) اطلحتم : ٦٣ . اظلم ، عشواء مؤنث الاعشى الذي لا يبصر  
 ليلاً ، والفبش جمع لفبس ولغبساء وهي المظلمة ، والدهاريس :  
 الدواهي .  
 ( ٣٦ ) المثل السائر : ١٦٣ / ١ .  
 ( ٣٧ ) النظام : ٢٧٩ / ٥ .  
 ( ٣٨ ) الصورة الفنية : ٣٨١ .  
 ( ٣٩ ) نفسه .  
 ( ٤٠ ) الحيوان : ٣٩ / ٣ .  
 ( ٤١ ) عيار الشعر : ٨ .  
 ( ٤٢ ) نقد الشعر : ١٩٢ ، ١٩٣ .  
 ( ٤٣ ) سر الفصاحة : ١٥٣ .  
 ( ٤٤ ) نفسه .  
 ( ٤٥ ) نفسه .  
 ( ٤٦ ) الموازنة : ٢٢٨ / ١ .  
 ( ٤٧ ) سر الفصاحة : ١٥٣ .  
 ( ٤٨ ) نفسه : ١٥٤ .  
 ( ٤٩ ) الموازنة : ٩٤ / ٢ .  
 ( ٥٠ ) النظام : ٢١ / ٥ .  
 ( ٥١ ) الالفاظ اللغوية : ٧٤ ، ٧٥ .  
 ( ٥٢ ) مجلة مجمع اللغة العربية : ٣٢٠ / ١ .  
 ( ٥٣ ) الموازنة : ٥٤ / ٢ .  
 ( ٥٤ ) نفسه : ٥٥ / ٢ .  
 ( ٥٥ ) نفسه : ٦٦ / ٢ .  
 ( ٥٦ ) نفسه : ٤٦٦ / ١ .  
 ( ٥٧ ) الموازنة : ٢٣٦ ، ٢٣٧ .  
 ( ٥٨ ) ينظر في هذين المصطلحين : نقد الشعر : ٢١٤ ، ٢١٨ و  
 الصناعيين : ٤٥٠ .  
 ( ٥٩ ) العمدة : ٧٠ / ٢ .  
 ( ٦٠ ) كتاب الصناعيين : ٤٥٠ .  
 ( ٦١ ) نقد الشعر : ٢١٨ ، ٢١٩ .  
 ( ٦٢ ) سر الفصاحة : ١٤٣ .  
 ( ٦٣ ) ينظر في ذلك : طراز المجالس : ٧٨ وما بعدها .  
 ( ٦٤ ) الموازنة : ٤٦٥ / ١ .  
 ( ٦٥ ) يقول : انت مهابة النقا لولا القوائم والاضلال ، وانت  
 أشبهتها وإن أعرضت عني  
 ( ٦٦ ) الموازنة : ٦٠ / ٢ . ومن هذا قول أبي تمام : ( سر  
 الفصاحة : ٦٢ ) :  
 قد بالطلول الدراسات غلاتا اضحت حبال قطينهن رتاتا  
 قال ابن سنان : « ولا أحب ايضاً تسمية أبي تمام صاحبه  
 ( غلاته ) ونداءه بالترخيم » وقال : « وإذا كان الروي قاده الى ذلك

( ١٥٦ ) أبو تمام الطائي : ٧٧ . فنيق : قصر باليمامة ، زكن  
بضمتين موضع باليمامة ، يذبل : جبل .  
( ١٥٧ ) الموشح : ٥٠٥ .  
( ١٥٨ ، ١٥٩ ) الموازنة : ٣٠ / ٢ .  
( ١٦٠ ) النظام : ٢٦٤ / ٢ ، ٢٦٥ .  
( ١٦١ ) النظام : ٢٥٩ / ٢ .  
( ١٦٢ ) أبو تمام الطائي : ٧٥ .  
( ١٦٣ ) نفسه .  
( ١٦٤ ) شرح التبريزي لديوان أبي تمام : ٣٠٢ / ٢ .  
( ١٦٥ ) أبو تمام الطائي : ٧٦ .  
( ١٦٦ ) نفسه .  
( ١٦٧ ) الفن ومذاهبه في الشعر العربي : ١٥٨ .  
( ١٦٨ ) الفن ومذاهبه في الشعر العربي : ١٥٤ ، ١٥٥ .  
( ١٦٩ ) نفسه : ١٤٨ .  
( ١٧٠ ) نفسه : ١٤٩ .  
( ١٧١ ) قضايا النقد الأدبي والبلاغة : ٤١٦ .  
( ١٧٢ ) الصورة الفنية : ١٤٢ .  
( ١٧٣ ) الأسس الجمالية في النقد العربي : ٣٤٠ .  
( ١٧٤ ) قضايا النقد العربي والبلاغة : ٤١٧ .  
( ١٧٥ ) الموازنة : ١ / ١٣٨ وتتلظر زيادة الواو في قوله ( والي )  
وهو خطأ قديم فيما يبدو .  
( ١٧٦ ) نفسه : ١ / ١٤٢ .  
( ١٧٧ ) نفسه .  
( ١٧٨ ) الخصومة بين القدماء والمحدثين : ١٧٥ ، ١٧٦ .  
( ١٧٩ ) نفسه : ١٧٦ ، وينظر : من حديث الشعر والنثر : ١٠٤ .  
( ١٨٠ ) الخصومة بين القدماء والمحدثين : ١٧٦ .  
( ١٨١ ) نفسه .  
( ١٨٢ ) الموازنة : ١ / ٤٨١ .  
( ١٨٣ ) قضايا النقد الأدبي والبلاغة : ٢٨٢ ، ٢٨٣ .  
( ١٨٤ ) الموازنة : ٢ / ١٠٥ .  
( ١٨٥ ) نفسه : ٢ / ٣٥٧ .  
( ١٨٦ ) يس : ١٤ .  
( ١٨٧ ) النظام : ٣ / ١٠٨ .  
( ١٨٨ ) نفسه : ٣ / ٤٣ .  
( ١٨٩ ) شرح التبريزي : ٢ / ٨٣ .  
( ١٩٠ ) نفسه : ١ / ٣٥٤ .  
( ١٩١ ) قضايا النقد الأدبي والبلاغة : ٤١٧ .  
( ١٩٢ ) قضايا النقد الأدبي والبلاغة : ٤١٧ .  
( ١٩٣ ) النقد المنهجي عند العرب : ١١٩ .  
( ١٩٤ ) نفسه : ١٢٤ .  
( ١٩٥ ) قضايا النقد الأدبي والبلاغة : ٤١٧ ، ٤١٨ والنقد  
المنهجي عند العرب : ١٢٤ .  
( ١٩٦ ) الموازنة : ١ / ٢١٦ .  
( ١٩٧ ) خصائص العربية : ٦٧ .  
( ١٩٨ ) اللغة والحضارة : ١٣٨ .  
( ١٩٩ ) يريد أن هذه الصنعة ثيب عندك لأنك قد اصططعت مثلها  
مراراً ، وهي الكمام - يريد البكر - عند هذا العائد بك لأنها أول ما  
اصططعت إليه ، أو لأنها أكبر صنعة صنعتها عنده ، والمصرم .

( ١١٢ ) الصورة الفنية : ٢٥٧ .  
( ١١٣ ) الكامل : ٣ / ١٣٢ .  
( ١١٤ ) الصورة الفنية : ٢٥٨ .  
( ١١٥ ) نفسه : ٢٤٧ .  
( ١١٦ ) نفسه : ٢٦٠ .  
( ١١٧ ) الموازنة : ١ / ٢٢ .  
( ١١٨ ) نفسه : ١ / ٢٥٠ .  
( ١١٩ ) الصورة الفنية : ٢٦٨ .  
( ١٢٠ ) الموازنة : ١ / ٢٥٥ ، ٢٥٦ .  
( ١٢١ ) نفسه : ١ / ٢٤٩ ، ٢٥٥ .  
( ١٢٢ ) نفسه : ١ / ٢٥٩ .  
( ١٢٣ ) نفسه : ١ / ٤١٧ .  
( ١٢٤ ) الحركة النقدية : ٢١١ .  
( ١٢٥ ) الموازنة : ١ / ٥٠٥ .  
( ١٢٦ ) الحركة النقدية : ٤١٨ .  
( ١٢٧ ) الحركة النقدية : ٣٥٦ .  
( ١٢٨ ) اسرار البلاغة : ١٣٣ .  
( ١٢٩ ) الموازنة : ١ / ٢٢٦ ، ٢٢٧ .  
( ١٣٠ ) النظام : ٢ / ٣٤ .  
( ١٣١ ) نفسه .  
( ١٣٢ ) نفسه .  
( ١٣٣ ) الموازنة : ١ / ٢٩ .  
( ١٣٤ ) نفسه : ١ / ٢٧٩ .  
( ١٣٥ ) النظام : ٣ / ١٦١ .  
( ١٣٦ ) نفسه : ٣ / ٦١ .  
( ١٣٧ ) نفسه .  
( ١٣٨ ) عني بحالته عقله ودهره ، وقوله : عن وجه لبرد أشتب  
يعني نفسه ، ويقول : هو صغير السن ولكن سيبه عقله ودهره .  
( ١٣٩ ) النظام : ٢ / ٢٠٧ .  
( ١٤٠ ) يحذر المخاطب أن يغلبيه الهوى فينظر إلى الأمور نظر  
الأنوس أي بعين مائلة .  
( ١٤١ ) النظام : ١ / ٢١٧ .  
( ١٤٢ ) النظام : ٥ / ٣٠١ ، ٣٠٢ .  
( ١٤٣ ) الموازنة : ٢ / ٢١٠ .  
( ١٤٤ ) نفسه : ١ / ٤٦٦ .  
( ١٤٥ ) النظام : ٢ / ٤٧ .  
( ١٤٦ ) نفسه : ٣ / ٥١ ، ٥٠ .  
( ١٤٧ ) النظام : ٣ / ٢١١ .  
( ١٤٨ ) نفسه : ٥ / ١٢ .  
( ١٤٩ ) نفسه : ٥ / ٢٠ .  
( ١٥٠ ) نفسه : ٥ / ٩٩ . شرح : نحن ودفع . الميصر : الشجر  
المتلف .  
( ١٥١ ) نفسه : ٣ / ٦٦ .  
( ١٥٢ ) نفسه : ٢ / ٢٠٤ .  
( ١٥٣ ) النظام : ٢ / ٢٠٥ .  
( ١٥٤ ) المأذي الدروع واللب الدروع القديمة والصياحي قرون  
محددة كانت تتركب في الرماح مكان الاسنة .  
( ١٥٥ ) النظام : ٣ / ١٠٤ ، ١٠٥ .



- ( ٢٠٦ ) نفسه : ١ / ٢٩٠ .  
 ( ٢٠٧ ) نفسه : ٢ / ٤٦ .  
 ( ٢٠٨ ) تحرير التحبير : ٣٧٠ .  
 ( ٢٠٩ ) شرح التبريزي : ١ / ٢٩٢ .  
 ( ٢١٠ ) نفسه : ١ / ٣١٥ .  
 ( ٢١١ ) الاقتراح : ٢٦ .

- القليل المال .  
 ( ٢٠٠ ) الموازنة : ١ / ١٥٩ .  
 ( ٢٠١ ) تاريخ النقد الادبي : ١٧٩ .  
 ( ٢٠٢ ) الموازنة : ١ / ٢٣٤ .  
 ( ٢٠٣ ) العربية : ٨٨ .  
 ( ٢٠٤ ) الوساطة : ٨١ .  
 ( ٢٠٥ ) شرح التبريزي : ١ / ٣١٥ .

## المصادر

- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ( ابن رشيق القيرواني )  
 تح. محيي الدين عبد الحميد ط ٢ ، ١٩٥٥ .  
 ● عيار الشعر ( ابن طباطبا العلوي ) تح. د. طه الحاجري  
 ورفيقه القاهرة ١٩٥٦ .  
 ● الفن ومذاهبه في الشعر العربي ( د. شوقي ضيف ) ط ٣ ،  
 ١٩٥٦ .  
 ● قضايا النقد الادبي والبلاغة ( د. محمد زكي المشماوي )  
 القاهرة ١٩٦٧ .  
 ● الكامل ( المبرد ) تح. محمد ابي الفضل ابراهيم ورفيقه ،  
 القاهرة ١٩٥٦ .  
 ● اللغة والحضارة ( د. مصطفى مندور ) الاسكندرية ١٩٧٤ .  
 ● اللغة والمجتمع ( د. علي عبد الواحد واتي ) ط ٢ ، ١٩٥١ .  
 ● المثل السائر ( ابن الاثير ) تح. محمد محيي الدين عبد  
 الحميد ، القاهرة ١٩٣٩ .  
 ● معجم الادباء ( ياقوت الحموي ) ، بمناية الدكتور احمد فريد  
 رفاعي ، مطبوعات المأمون .  
 ● من حديث الشعر والنثر ( د. طه حسين ) ، دار المعارف بمصر ،  
 ١٩٣٦ .  
 ● منهاج البلغاء وسراج الادباء ( حازم القرطاجي ) تح. محمد  
 الحبيب بن الخوجة ، ١٩٦٦ .  
 ● الموازنة بين شعر ابي تمام والبحتري ( الامدي ) تح. السيد  
 احمد صقر ، دار المعارف بمصر .  
 ● الموشح ( ابو عبيد الله المرزباني ) تح. علي محمد البجاوي ،  
 القاهرة ١٩٦٥ .  
 ● النظام في شرح شعر المتنبي وابي تمام ( ابن المستوفي ) تح.  
 د. خلف رشيد نعمان بغداد ١٩٨٩ .  
 ● النقد الادبي ( د. سهيل القلماوي ) ط ٢ ، ١٩٥٩ .  
 ● النقد الجمالي واثره في النقد العربي ( روز غريب ) ط ١ ،  
 ١٩٥٢ .  
 ● نقد الشعر ( قدامة بن جعفر ) تح. كمال مصطفى ، ط ١ ،  
 ١٩٤٨ .  
 ● النقد اللغوي عند العرب ( د. نعمة رحيم المزواوي ) بغداد  
 ١٩٧٨ .  
 ● النقد المنهجي عند العرب ( د. محمد مندور ) دار نهضة مصر  
 للطبع والنشر ، د. ت .  
 ● الوساطة بين المتنبي وخصومه ( للقاضي علي بن عبد العزيز  
 الجرجاني ) تح. محمد ابي الفضل ابراهيم ورفيقه ، ط ٢ ،  
 د. ت .

- ابو تمام الطائي ( نجيب البهيتي ) ، دار الكتب ١٩٤٥ .  
 ● اخبار ابي تمام ( الصولي ) تح. خليل محمود عساكر  
 ورفيقه ، بيروت ، د. ت .  
 ● اسرار البلاغة ( عبد القاهر الجرجاني ) تح. هـ. ريتو ،  
 استانبول ١٩٥٤ .  
 ● الاسس الجمالية في النقد العربي ( عز الدين اسماعيل ) ط ١ ،  
 ١٩٥٥ .  
 ● الانفاظ اللغوية ( عبد الحميد حسن ) معهد البحوث والدراسات  
 العربية ١٩٧١ .  
 ● الاقتراح ( السيوطي ) طبع مجتباي بلا تاريخ .  
 ● تاريخ النقد الادبي عند العرب ( د. إحسان عابس ) ط ١ ،  
 بيروت ١٩٧١ .  
 ● تحرير التحبير ( ابن ابي الاصبغ المصري ) تح. د. حفني  
 محمد شرف ، القاهرة ١٣٨٣ هـ .  
 ● الثابت والمتحول ( أودونيس ) ، ج ٢ ، دار العودة ، بيروت ط ١ ،  
 ١٩٧٧ .  
 ● الحركة النقدية حول مذهب ابي تمام ( د. محمود الريدائي )  
 دار الفكر للطباعة والنشر .  
 ● الحيوان ( الجاحظ ) تح. عبد السلام محمد هارون ، ط ١ ،  
 ١٩٣٨ .  
 ● خصائص العربية ( محمد المبارك ) معهد الدراسات العربية  
 العالية ١٩٦٠ .  
 ● الخصومة بين القدماء والمحدثين في النقد العربي القديم ( د.  
 عثمان مواني ) الاسكندرية .  
 ● دروس في البلاغة وتطورها ( د. جميل سميد ) بغداد ١٩٥١ .  
 ● سر الفصاحة ( ابن سنان الخطاجي ) شرح وتصحيح  
 عبد المتعال الصمدي ، القاهرة ١٦٩٦ .  
 ● شرح ديوان ابي تمام للخطيب التبريزي .  
 ● الشعر والشعراء ( ابن قتيبة ) تح. احمد محمد شاكر ، دار  
 المعارف بمصر ١٩٦٦ ، ١٩٦٧ .  
 ● كتاب الصناعيين ( ابو الهلال العسكري ) تح. علي محمد  
 البجاوي ورفيقه ط ١ ، ١٩٥٢ .  
 ● الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي ( د. حابر عصفور )  
 القاهرة ١٩٧٤ .  
 ● طراز المجالس ( شهاب الدين احمد بن محمد الخطاجي )  
 القاهرة ١٢٨٤ هـ .  
 ● العربية ( يوهان فك ) ترجمة د. عبد الحليم النجار ، القاهرة  
 ١٩٥١ .

# الزهر اليانع على قول صاحب القاموس

## في الديباجة ولا مانع

تأليف

محمد بن يوسف الدمياطي المتوفى سنة ١٠١٤ هـ

د. هاشم عبد السلام

كلية التربية / ابن رشد / جامعة بغداد

### مقدمة

وبعد فقد تفضل الزميل الكريم الدكتور طه محسن رئيس قسم اللغة العربية في كلية التربية - جامعة الانبار ، فأهدى إلي مشكوراً مخطوطة صرفية في أهدية الأفعال ، كان قد نقلها من مكتبة خسرو باشا في أثناء زيارته للمكتبات الموجودة في استانبول ، والمخطوطة بعنوان : « الزهر اليانع على قول صاحب القاموس في الديباجة ولا مانع » لمحمد بن يوسف الدمياطي . ووجدت أن المخطوطة جديدة بالنشر لما فيها من فوائد صرفية تعليمية في موضوع الأفعال الثلاثية المجزئة وضبطها ، لاستيفائها ضوابط الأبواب المختلفة ، وتفسيرها لما شذ عن تلك الضوابط اعتماداً على أقوال أئمة العلم في هذا الموضوع .

وقد اجتهدت في ضبط النص ، وراجعته ما يقتضي التحقيق . واثبت ما وجدت نافعاً في الهوامش ، ولم أنحر وسعاً في ذلك لأن وفقت في عملي فمن الله التوفيق . ترجمة المؤلف :

لم نلف على ترجمة وافية للمؤلف تشير إلى ولادته ونشأته ومصنفاته . وما ذكره محمد المحبتي<sup>(١)</sup> في كتابه خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر لا يعنو أن يكون معلومات يسيرة لا تُفني الدارس المتطلع إلى تفصيل يكشف عن شخصية المؤلف بما يرضي تطلعه . فقد ذكر أنه محمد بن يوسف بن عبد القادر الدمياطي المصري الحنفي ، مفتي مذهب النعمان بالقاهرة ، المبدئي من تحريراته التحقيقات الباهرة ، المتكلم في المجالس ، والمظهر من نرد بحره الفلاس ، الذي جمع وألف وكتب وأفاد ... ولازم شيوخ الحنفية من المصريين كالشيخ الامام زين بن نجيم وأخيه الشيخ عمر ، وشيخ الفقهاء في وقته الشيخ علي بن غانم المقدسي وغيرهم ، وأجازوه ، وتصدر للتدريس ونفع الناس ...

وكانت وفاته بمصر يوم الجمعة سابع عشر شهر ربيع الثاني سنة أربع عشرة وألف .

وقد نقل عن الخفاجي - من غير إشارة إلى كتابه الذي نقل منه - مدحاً للمؤلف وثناءً عليه ووصفاً لآخلاقه ، وأبياتاً من بعض نظمته .

وقد لخص عمر رضا كحالة في كتابه معجم المؤلفين<sup>(٢)</sup> ما أورده محمد المحبتي في خلاصة الأثر بقوله « محمد بن يوسف بن عبد القادر الدمياطي المصري الحنفي ، فقيه أفتى وجمع وألف وتوفي بمصر » ونقل سنة وفاته منه . الزهر اليانع :

صرح المؤلف نفسه بنسبة هذه الرسالة إليه إذ قال في مقدمتها : « فيقول الفقير إلى الله تعالى محمد بن يوسف الدمياطي الحنفي .. » .

وأشار إلى أن هذه الرسالة هي اجابة عن سؤال وجهه بعض الاخوان من علماء عصره عن معنى قول الفيروز آبادي في ديباجته في كتابه المسمى بالقاموس المحيط والقابوس الوسيط ما نصه : « وإذا ذكر المصدر مطلقاً أو الماضي بدون الآتي ولا مانع فالفعل على مثال كتب ، وإذا ذكر آتية بلا تقييد فهو على مثال ضرب » ، وحدد موضع السؤال بقول صاحب القاموس : « ولا مانع »<sup>(٣)</sup> .

وكتب رسالته بأسلوب واضح في غالب المواضع ، ولم يخل أسلوبه من تأثير الفلسفة والمطلق أحياناً فهو يقول مثلاً : « إن الشرط يلزم من عدمه العلم ، ولا يلزم من وجوده وجود ولا عدم »<sup>(٤)</sup> .

وقد سار المؤلف في عرض رسالته على نهج ترتب غاية الترتيب ، وقد بدأ بمرض أقوال علماء هذا الفن في هذه المسألة ، ثم أخذ يوضح أقوالهم توضيحاً مبسوطاً ، كان يخطه بالتأييد أو النقد أو الترجيح .

وقد استقى المؤلف مادة ، رسالته من عدد من المصادر يقتضي المقام إيراد أسماء مؤلفيها بحسب تسلسل وفياتهم : ١ - الكسائي علي بن حمزة المتوفى سنة ١٨٩ هـ . ولم يصرح

بالمصدر الذي نقل منه في موضع واحد من رسالته .  
٢ - الجوهري : اسماعيل بن حنّاد المتوفى في حدود سنة ٤٠٠ هـ . وقد صرح المؤلف بالنقل من كتابه الصحاح في موضعين .

٣ - ابن مالك الطائي : جمال الدين محمد بن عبد الله النحوي المتوفى سنة ٦٧٢ هـ . وقد صرح بالنقل من كتابه .  
أ - لامية الافعال في ثمانية مواضع .  
ب - تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد في أربعة مواضع .  
٤ - ابن فلاح : تقي الدين أبو منصور بن فلاح بن محمد بن محمد اليميني الدحوي المتوفى سنة ٦٨٠ هـ . وقد صرح بالنقل من كتابه الكافي في موضع واحد .  
٥ - الفيروز آبادي : مجد الدين المتوفى سنة ٨١٧ هـ . وقد صرح بالنقل من كتابه المشهور القاموس المحيط في ستة مواضع .  
٦ - بحر اليميني : أبو عبد الله محمد بن عمر الحضرمي المتوفى سنة ٩٣٠ هـ . وقد صرح بالنقل من كتابه شرح لامية الافعال لابن مالك المسقى « فتح الاكفال وحل الاشكال بشرح لامية الافعال » في عشرة مواضع .  
٧ - البرماوي : لم أقف على الرجل المقصود بهذا اللقب ولم أقف على نسبة أحد شروح لامية الافعال الى واحد ممن لقبوا بهذا اللقب . وقد صرح النماطي بالنقل من هذا الشرح في موضع واحد .

#### المخطوطة :

توجد المخطوطة في مكتبة خسرو باشا في استنبول ، وهي واحدة من مجموع ضم ثمانين عشرة مخطوطة في علوم مختلفة ، رقمه في المكتبة ٧٥٤ .  
والمجموع في مجلد واحد خطه واضح جميل موحد ، قياسه ( ٢٠ × ١٥ ) ، وتبدأ مخطوطة ( الزهر البائع ) من الورقة ١٣٧ ، وتنتهي بالورقة ( ١٤٥ هـ ) ، وتشتمل الصفحة الواحدة من كل ورقة على خمسة عشر سطراً . وتنتهي الصفحة بالتعقيبات التي تشير الى اللفظة الواردة في بداية الصفحة التالية .

اما الرسائل الاخرى التي يصفها المجموع فهي :

١ - شرح خطبة القاموس لمحمد أمين البخاري أمير باناشاه المتوفى في حدود سنة ٩٨٧ هـ .  
٢ - الحاصل بالمصدر لمحمد أمين البخاري .  
٣ - تحقيق الحرف ( قد ) لمحمد أمين البخاري .  
٤ - اعراب حديث التسيب : لم يذكر اسم مؤلفه .

٥ - الفرق بين الضاد والظاء : منظومة لأبي نصر محمد بن أحمد الفروخي الكاتب المتوفى سنة ٧٥٥ هـ كما ذكر الاستاذ الفاضل الدكتور طه محسن (١) .  
٦ - مسألة تعند ما بعد إلا لجمال الدين بن هشام الانصاري المتوفى سنة ٧٦١ هـ .  
٧ - الكلام على قوله تعالى : « لن يستنكف المسيح أن يكون عبد الله » ، لجمال الدين بن هشام الانصاري .  
٨ - حقيقة الاستفهام والفرق بين أنواته : لجمال الدين بن هشام الانصاري .  
٩ - مسائل في موضوعات متفرقة أجاب عنها جلال الدين السيوطي المتوفى سنة ٩١١ هـ .  
١٠ - المقالات المسفرة عن دلائل المغفرة : للور الدين علي بن عبد الله بن أحمد التمهودي المتوفى سنة ٩١١ هـ .  
١١ - رسالة على أوائل صحيح البخاري : لجلال الدين السيوطي .  
١٢ - الشعارخ في علم التاريخ : لجلال الدين السيوطي .  
١٣ - جمع الشهور والأيام : منظومة ليحيى بن سلامة بن الحسن الحصكفي المتوفى سنة ٥٥١ هـ .  
١٤ - الزهر البائع على قول صاحب القاموس في الديباجة ولا مانع : لمحمد بن يوسف النماطي الحنفي المتوفى سنة ١٠١٤ هـ .  
١٥ - حزب البحر الاكبر : لأبي الحسن علي بن عبد الله الشاذلي ، المتوفى سنة ٦٥٦ هـ .  
١٦ - حزب محيي الدين النووي .  
١٧ - تحفة السلوك في فضل السواك : لأبي العباس أحمد بن محمد الزاهد المتوفى سنة ٨١٩ هـ .  
١٨ - شرح حزب البحر لأبي الحسن الشاذلي : لأحمد بن محمد بن عيسى المعروف بزياد المتوفى سنة ٨٩٩ هـ .  
عملنا في التحقيق .

١ - ضبطنا النص بالحركات ضبطاً مفيداً .  
٢ - استخدمنا النقاط والفواصل حتى تكون جمل النص واضحة عند القارئ .  
٣ - أثبتنا في المتن ما رأيناه صحيحاً في المخطوطة ، ونبهنا في الهوامش على ما هو موجود في الأصل .  
٤ - خرجنا الشواهد القليلة في مقامها التي وردت فيها .  
٥ - خرجنا أقوال علماء اللغة الواردة اسمائهم في المتن وأشرنا الى مواضع ترجماتهم قدر المستطاع .

## [ النص ]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي بيده تصريفُ الافعال ، الصمد الفرد المنزه عن كونه . أحوف أو ذا مثال ، العالم بخفيات الأمور وظواهرها بلا ريب اشكال ، الكاشف لمن شاء عن حقائق دقائق العلوم فيترجم بلسان القال عن لسان الحال ، والصلاة والسلام على أفضل الخلق من ملك ونشر ، بما أودعه الله فيه من كرائم الخلال<sup>(١)</sup> ، وبما أتحنه به من أنسب في حضرات قُديسه ، حين أسفر له عن ذلك الجمال ، وصلى الله عليه وعلى آله وصحبه خير صحب وخير آل . وبعد ، فيقول الفقير الى الله تعالى محمد بن يوسف الدمياطي الحنفي : قد تكرر السؤال من بعض الاخوان الذين هم خلاصة نوي العلوم ، وإنسان عين الزمان ، على قول العلامة ذي المؤلفات العديدة ، والأسفار الجامعة المفيدة ، أبي عبد الله محمد بن أبي يوسف يعقوب بن محمد الفيروز آبادي ، في ديباجة كتابه المسمى بالقاموس المحيط والقاموس الوسيط ما نصه :<sup>(٢)</sup> « وإذا ذكرت المصدر مطلقاً أو الماضي بدون الآتي<sup>(٣)</sup> ولا مانع ، فالفعل على ١٣٨ ظ / مثال كتب . وإذا ذكرت آتية بلا تقييد فهو على مثال ضرب » . فوقع السؤال عن ذلك ممن وقعت الإشارة إليه من الاخوان ، ما معنى قوله ولا مانع ؟ فما المانع من هذا الشأن ؟ فاستخرت الله تعالى ، وكتبت على ذلك ما تيسر جمعه ، وأرجو من الله العظيم ان يعم نفعه ، مُسمىاً لذلك بـ « الزهر اليانع على قول صاحب القاموس في الديباجة ولا مانع » ، وخدمت به حضرة جناب المولى الاعظم ، والمخدوم الكريم المعظم ، ملك علماء المسلمين ، وأوحد نبلاء العالمين ، فرد أبناء الزمان ، وواحد نوع الانسان ، رحلة الشتاء والصيف ، حاوي فضيلتي القلم والسيف ، حلال المشكلات بتحقيقاته ، كشاف المعضلات بتدقيقاته مزين الممالك العثمانية ، ومشرف الامصار المرادية<sup>(٤)</sup> الخاقانية حضرة مولانا حسين افندي باشازاده<sup>(٥)</sup> ، أدام الله له السيادة والسعادة ، ويلقنه في الدارين مراده<sup>(٦)</sup> ، وأتاء في الجنة الحسنى وزيادة ، ولا زالت الايام متجملة برباسته ، والاقداز جارية بارادته . آمين .

فقلت مستعيناً بالله الذي بيده أزمنة التوفيق ، والمرشد الى مقامات ١٣٩ و / التوفيق : أعلم أن الذي يدل عليه كلام الشيخ ابن مالك<sup>(٧)</sup> ، رحمه الله تعالى في لامية الافعال<sup>(٨)</sup> أن المضارع لفعل المفتوح العين إن كان يفعل بضم العين أو يفعل بكسرها ، فكل منهما إما أن يكون قياسياً وإما أن يكون سماعياً . فلنفرض الكلام على ذلك في فصلين :

## الفصل الاول

في الكلام على فعل يفعل

إعلم أن فعل المفتوح العين الذي مضارعه يفعل بضمها ، تارة يكون الضم قياسياً ، وتارة يكون سماعياً ، فيكون قياسياً في أربعة مواضع :

في أربعة مواضع :

- الاول : إذا كان عينه واواً نحو : قال يقول ، وكان يكون .
  - الثاني : إذا كان لامه واواً نحو غزا يغزو ونجا ينجو .
  - الثالث : إذا كان مضاعفاً متعدياً نحو : منه يئده وعده يئده .
  - الرابع : إذا قُصد بالفعل غلبةُ المفاخرة : كسابقته فانا أسبقه بضم الباء مع أنه في غير المفاخرة يكون بكسرها<sup>(٩)</sup> .
- فهذه المواضع القياس فيها ان يكون المضارع مضموماً ، وإلى ذلك الإشارة بقول ابن مالك في اللامية :

.....  
- والمضارع من فَعَلْتُ إن جُعِلَا

مضموم عين وهذا الحكم قد يذلل

داعي لزوم انكسار العين نحو قَلَا<sup>(١٠)</sup>

عينا له الوار أولاً يُجاء به

لما لبث مُتَأَخَّر وليس له



يقوله قبل ذلك :

كذا المضاعف لازماً كحرف ط لا ١٣٩

وَضُمَّ عَيْنٌ مُعَذَّاهُ وَيَنْدُرُ ذَا كَسِرَ كَمَا لَازِمٌ ذَا ضُمَّ احْتِمَالاً<sup>(١١)</sup>

★★★

تنبيهات :

الاول : يستثنى مما اذا كان عينه واوا ما اذا كان لامه ياء نحو شوى يشوي وغوى يغوي وما أشبه ذلك فإنه يكون بالكسر لتقل اجتماع الواوين .

الثاني : شرط في التسهيل<sup>(١٢)</sup> للزوم الضم فيما كانت لامه واوا ان لا يكون عينه حرف خلق وهو مقتضى كلامه في اللامية حيث قال :

عين المضارع من فقلت حيث خلا

من جالب الفتح كالمبني من عتلا

فاكسر أو اضمم .....<sup>(١٣)</sup>

واعترض عليه العلامة اليميني بخرق في شرح اللامية<sup>(١٤)</sup>

فقال : « وكأنه رحمه الله لم يمين النظر في ذلك ، فإني تتبعته مواده فوجدت غالب حلقي العين مضموماً ، ولم يفرد الفتح الا في قليل منها ، وجاءت مواده بالضم والفتح ، فالمضوم : ثفت الشاة تنفو صؤثك ، وجحا التراب يجحوه فرقه ، وعد من ذلك خمسة عشر فعلاً<sup>(١٥)</sup> انفردت بالضم على القياس » . ثم قال : « ولم أظفر بما انفرد بالفتح سوى طحا الارض يطحها بسطها ، وطقى يطفى جاوز القدر ، وفيه لغة كرجي<sup>(١٦)</sup> ، ولحا التراب يطحاه<sup>(١٧)</sup> ، فهذه ثلاثة ، وجاز في أفعال الضم والفتح كدحى الارض يدحوها ويدحها ، وسحا التراب يسحوه ويسحاه . ١٤ و / جزفة ، وصفى اليه يصفو ويصفى ، وضخى للشمس يضحو ويضخى فهو ضاح : برز ، وطها اللحم يطهوه ويطهاه : أنضجه طبخاً وشياً ، ومحا الكتاب يمحوه ويمحاه ، ونحا نحوه ينحو وينحا : قصده ، فهذه سبعة انتهى<sup>(١٨)</sup> »

وأقول : الشارح المذكور<sup>(١٩)</sup> هو الذي لم يمين النظر في كلام ابن مالك ، وذلك لان ابن مالك شرط في التسهيل للزوم الضم ان لا تكون عينه حرف خلق ، وما ذكر الشارح مما وجده من غالب الحلقي مضموماً لو سميح فيه الفتح لجاز كما هو في الثلاثة التي انفردت بالفتح ، وكما في السبعة التي فيها الامران ، ليس الضم فيها لازماً ، بل ولا الافعال التي انفردت بالضم ليس الضم فيها لازماً لما تقرّر من أن الشرط يلزم من عدمه العدم ، ولا يلزم من وجوده وجود ولا عدم ، اللهم لو كان ابن مالك قد ذكر أن شرط مجيء الضم افتقاء حرف الحلق لكان يأتي ما ذكر ، فابن مالك جعل ذلك شرطاً للزوم لا للاتيان ، والظاهر انه انعكس على الشارح الشرط بالمشروط ، لانه قد وقع له مثل ذلك في الافعال الحلقية فقال<sup>(٢٠)</sup> « وشذ بقاء يبغيه أي : طلبه ، ونعى الميت ينعيه : نديه ، ووخاه يخييه ووعاه يعبيه وهى نهى فتأمل .

التنبيه الثالث : ١٤٠ ظ / يستثنى من المضاعف المتعدي نوعان :

ما انفرد فيه الكسر وهو قتل واحد : خبّه نجبه ، وهي لغة في أحبه ، ومنه صيغ المحبوب ، وبهذه اللفظة قرأ أبو الجوزاء أوس بن عبد الله وأبو رجاء العطاردي ، واسمه عمران قوله تعالى ﴿ قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ﴾<sup>(٢١)</sup> بفتح أول الفعلين وكسر ثانيهما . قال في الصحاح<sup>(٢٢)</sup> « ولا يأتي في المضاعف بفعل بالكسر الاو يُشرحه بفعل بالضم إذا كان متعدياً خلا هذا الحرف »

النوع الثاني : ذكر ابن مالك<sup>(٢٣)</sup> خمسة أفعال يجوز فيها الوجهان ، الضم والكسر وهي : هز الشيء : كرهه ، وأما هز الكلب أي : نبخ فهو بالكسر لا غير ، وشذ الشيء أوثقه ، وعلة الشراب : سقاء غللا بعد نهل ، وبته ، قطعه ونم الحديث : حملة وأقشاه وزاد عليه الشارح اليميني<sup>(٢٤)</sup> أربعة أفعال ، وهي : نث الخبر : أقشاه ، وشج رأسه ، وأضه : ألجأه ، وزمه : أصلحه ، وزيت عليهما فعلين وهما : ضره يضره : إذا جمعه ، وبهما قرأ ابن عباس : « فَبُذِرْتُمْ » بضم الصاد وكسرها مع تشديد الراء ، وهش الورق يهش ويهشه خبطه<sup>(٢٥)</sup> بعصا ليتمات<sup>(٢٦)</sup>

التنبيه الرابع : ١٤١ و / يستثنى من غلبة المفاخر ما إذا كان في الفعل ما يقتضي كون مضارعه على يفعل بالكسر وسيأتي ذلك في الفصل الثاني ، وما إذا كان عينه أو لامه حرف خلق عند الكسائي<sup>(٢٧)</sup> ووافقه الجوهري<sup>(٢٨)</sup> وصاحب القاموس<sup>(٢٩)</sup> والمبارة لصاحب القاموس : خاضفة مخاضمة وخضومة فخضمه يخضمه غلبه وهو شاذ لان فاعلته ففعلته يرد يفعل منه إلى

الضم ، إن لم تكن عينه حرف حلق فإنه بالفتح كفاخره ففخره يُفخره انتهى . وما عدا ما تقدم من المواضع الأربعة فهو موقوف على السماع ، فما سُمِعَ مضموماً أتبع ، وما لا فلا نحو نُصِرَ بنصر ، وكتب بكتب ، ودخل بدخل ، ولولا خوف الإطالة لذكرت الأفعال المسموعة بالضم في المضارع وهي مثنان وخمسة وثلاثون وما فيه الوجهان ، وما فيه ثلاثة الأوجه<sup>(٢٢)</sup> ، والكلام على ذلك مستوفى في شرح لامية الأفعال لليمني فراجع<sup>(٢٣)</sup> .

#### الفصل الثاني

في الكلام على فعل يفتح العين في الماضي وكسرها في المضارع اعلم أن هذا النوع أيضاً على قسمين : قياسي وسماعي : فالقياسي أيضاً واقع في أربعة مواضع :

الاول : إذا كان فاءه واواً نحو : وَغَدَ / ١٠٤١ / يَمُذُ ، ووزن يزن وما أشبه ذلك .

الثاني : إذا كان عينه ياء نحو باع يبيع ومال يميل .

الثالث : إذا كان لائه ياء نحو : رمى يرمي ، وأتى يأتي .

الرابع : إذا كان مضاعفاً لازماً كحَنُّ يَحْنُ ، وَأَنْ يَنْ . فهذه المواضع الأربعة القياس فيها أن يكون المضارع مكسوراً وإلى ذلك الإشارة بقول ابن مالك في اللامية<sup>(٢٤)</sup> :

..... وأين

كسراً لعين مضارع يلي فعلاً

ذا الواو فاء أو الياء عيناً أو كاتى

كذا المضاعف لازماً كحَنُّ ملا

#### تنبيهات :

الاول : صرح في التسهيل بأن سائر العرب غير بني عامر تلتزم كسر مضارع ما فاءه واو . ولم يستثن منه شيئاً ولا شرط له . بل ، وهو مقتضى كلامه في اللامية ، لكن قال الشارح اليمني<sup>(٢٥)</sup> وذلك عجيب من الناظم فإنه قد جاءت هذه أفعال بالفتح ، بل أنا أقول باشتراط كون لامه غير حرف حلق فإنني تتبعته مواضع فوجدت حلق اللام منه مفتوحاً كَوَجَّأَ أَنشِيه يَجَّا : رَضَّ خَضِيئِيه ، وَوَعَّه يَدَعُه : تَرَكَه / وَوَزَّعَه يَزْعُه : كَفَّه ، وَوَضَّعَه يَضَعُه ، وَوَقَّعَ يَقَعُ ، وَوَتَّعَ رَأْسَه يَتَّعُه : شَدَّعُه ، وَوَلَّعَ الْكَلْبَ يَلْعُ ، وَوَيَّعَ يَنَعُ ، إذا فطن ، ولم اعتز على شيء من ذلك غير وضع الأمر يوضح ، انتهى ، قلت : ١٤٢ / مجمل كلام ابن مالك في الحكم على سائر العرب غير بني عامر أنها تكسر مضارع هذا النوع إما لفظاً أو تقديراً ، فإنما لفظاً فظاهر وتقديراً فبما تكرهه الشارح من الأفعال الثمانية بالفتح ، فإن قلت : من أين [ عرف ] أنها مكسورة تقديراً ؟ قلت : الدليل على أنه مكسور تقديراً حذف الواو من الأفعال الثمانية للقاعدة المقررة من حذف الواو إذا وقعت بين ياء مفتوحة وكسرة ، لأن هذه الفتحة تشبه الفتحة الثانية عن الكسرة فيما لا ينصرف في الجمع المعتل بالياء الموازن لمفاعل كجوار ، فإنه في حال جزئه يُجَزُّ بالفتحة ، وكان مقتضى ذلك أن تظهر الفتحة فيه على الياء ، لكن حكموا بأن النائب<sup>(٢٦)</sup> عن التثنية وإن كان خفيفاً في نفسه ثقيل فلم تظهر الفتحة فيه في حال الجزئ لذلك ، وكذلك هذا فإن حرف الحلق لما كان ثقیلاً ، والكسرة معه ثقيلة أقاموا هذه الفتحة لخفتها مقام الكسرة التي كانت مستحقة ، فهي وإن كانت خفيفة في نفسها فهي ثقيلة ، ولأجل ذلك حذفت الواو من هذه الأفعال كلها بخلاف وجل يوجل لأن ماضيه مكسور العين فالمضارع جاء مفتوحاً على القياس لأنه من باب علم يعلم ، فالفتحة فيه لفظاً وتقديراً لا لفظاً فقط كما تقدم ، فلأجل ذلك تشبث الواو . ١٤٢ ظ / قلت : فما تصنع في وسع يسع ؟ فلم لا يكون مثل وجل يوجل ؟ قلت : يُحْمَلُ على أنه من الباب الشاذ الذي هو باب حسب يحسب ، فأقيمت الفتحة فيه مقام الكسرة ، فلأجل ذلك حذفت الواو ، فكل موضع حذفت منه الواو فالفتحة فيه قائمة مقام الكسرة لأجل ثقل حرف الحلق ، وما لا فلا فإن قلت : قد تشبث الواو في أفعال حلقية جاءت بالفتح ، وهي : وغر صدره يغز ويغز ويغز بمعنى توقف ، ووجر يجر ويجر ويجر بمعنى ، وولة يله ويؤله : ذهب عقله ، فهلا حذفت الواو في حال الفتح أيضاً ، قلت : الذي يفهم مما تقدم أن وجود حرف الحلق شرط لحذف الواو من يفعل بالفتح ، وقد علم من التقرير أن الشرط لا يلزم من وجوده الوجود ، نعم لو حذفت الواو من يفعل بالفتح بدون حرف الحلق لكان ذلك وارداً فتأمل فإنه في غاية التحقيق في هذا النظام وقال في القاموس<sup>(٢٧)</sup> وَجَدَه يَجِدُ وَيَجِدُ بالضم ولا نظير له انتهى ، فهو في غاية الشذوذ .

التنبيه الثاني : ذكر في التسهيل<sup>(٢٨)</sup> أيضاً أن العرب جميعاً التزموا كسر مضارع ما عينه ياء ولم يشذ منه شيء فحينئذ يحمل نحو بات / ١٤٣ و / يبيت ويباث ، وبأله وبأله وينيله أن المكسور مضارع المفتوح والمفتوح مضارع المكسور .

التنبيه الثالث : يستثنى من يأتي اللام أبي يابن على أنه نقل في القاموس <sup>(١١)</sup> أبي الشيء يابيه بالكسر على القياس أيضاً ، وذكره التسهيل <sup>(١٢)</sup> أيضاً أن التزام كسر هذا النوع لغة غير طلي من سائر العرب . قال الشارح اليميني <sup>(١٣)</sup> ومفهومه أن طلياً يفتحونه قياساً ، ولم ينقله غيره عنهم إلا في قلاه بقله بلى ، أي : أبغضه ، قلت : قال العلامة ابن فلاح <sup>(١٤)</sup> في كافيته <sup>(١٥)</sup> وما جاء على يفتح بفتح العين من غير حرف الحلق شأً وقد نقلت ألفاظاً : أبي يابى ، وقل يلقى ، وقل يلقى ، وخبى يجبى ، وغشى الليل يلقى ، فهذه تزداد على ما نقله غيره عنهم .

التنبيه الرابع : يستثنى من المضاعف اللزوم ضربان : الأول : ما يشارك الكسر فيه الضم <sup>(١٦)</sup> وذكر ابن مالك في اللامية <sup>(١٧)</sup> أنها ثمانية عشر فعلاً وهي : صد عن الشيء : أعرض ، وصد منه : ضج وضجر ، وأث ، أي : كثر ، وخر ، أي : سقط ، وحدث المرأة ، أي : تركت الزينة ، وخرت العين أي : غرّز دمعها ، وخر في عمله ، أي : قصده بعزم وهمة ، وخرت يده بالمثلثة ، وطرث بمعناه . أي طارت عند القطع ، ودرث ١٤٣ ظ / باللين ، أي : بكثرة ، وجر الماء : كثر واجتمع ، وشب الحصان إذا فرج ويشط فرج يديه جميعاً ، وعن له ، أي : غرض ، وفخت الأفعى بالمهملة والمعجمة <sup>(١٨)</sup> إذا لفخت بفمها وصوتت ، وشد إذا انفرج ، وشخ ، أي : بخل ، وشطت الدار أي : بختت ، ونش ، أي : خف ، ونفث رطوبته ، وخر النهار ، أي : خبيت شمسهُ . ودار عليه اليميني ثمانية أفعال وهي : شت ، أي : تفرق ، وغرت الناقة بالمهملتين ، أي : سلحت ، وقز ، أي : برز ، وأزت القدر : شيع لفلانها صوت ، وبرزت الجراداة بتقديم المهملة : غرّزت ذنبها لتبيض ، وأضت الناقة ، اشتد لحملها وسميت ، وكغ عن الشيء : خبن وضغف ، وحل لحمه : هزل ، انتهى ، فتصير الأفعال اللازمة التي فيها الوجهان ستة وعشرين .

وزاد العلامة البرماوي في شرح اللامية <sup>(١٩)</sup> ليج في الأمر يلج باللام والجيم لجوجاً ولججاً ولجاجة ، وهو التماذي فيما لا يليق . الضرب الثاني : ما ينفرّد فيه الضم ، وذكر في اللامية <sup>(٢٠)</sup> أنها ثمانية وعشرون وهي : مز به : جاوزه ، وجل عن منزله : ارتحل ، بخلاف جل قدرة فبالكسر فقط ، وهبت الريح نسبت ، ودرث الشمس : فاض شعاعها ١٤٤ و / وأجت النار والريح : شبع لها دوي ، وكز على قرنه : زجع ، وهم بالامر : قصده ، وغم النبت : طال ، وزم بانه : إذا تكبر ، وشخ المطر : نزل بكثرة ، ومل في سيره : اسرع ، وأل السيف : أجم ، وشك في الأمر : تردد فيه ، وأب : تهنا للسفر ، وشد في المشي ، أي : عدا ، وشق عليه الأمر ، إذا أضربه ، وخش في الشيء ، إذا دخل ، وغل فيه ، أي : دخل فيه أيضاً ، وفش القوم : خست حالهم بعد بؤس ، وجن عليه الليل : دخل ، ورش السحاب : أمطر ، وطش : أمطر أيضاً مطراً خفيفاً ، وتل ، أي : رات ، وظل دمه ، أي : ضاع ، وخب الحصان ، أي : أسرع ، وكم النخل ، إذا أطلع أكمامه ، وعشت الناقة ، زغت وحدها ، ومشت أيضاً كفشت . وانتقد عليه الشارح اليميني <sup>(٢١)</sup> في ثلاثة منها وهي : أن وأب وطش فذكر نقلاً عن القاموس <sup>(٢٢)</sup> أنها بوجهين .

وزاد عليه الشارح المذكور <sup>(٢٣)</sup> في التزام الضم في المضاعف اللزوم ثمانية عشر فعلاً وهي : مث اليه ، وسخ الماء ، سال ، وسخ بطنه : رقا الخارج منه ، وأخ بالمهملة : سفل ، وسخت الجراداة بالمعجمة : غرّزت ذنبها لتبيض ، وأد البعير : زجج الحنين في جوفه ، وحد عليه : غضب ، وغز الظليم : صاح ، وحض الحمام إذا شرط وعدا وضم أدنيه وخضع ١٤٤ ظ / بذنبه ، ولطت الناقة بذنبها ، ألصقته بين فخذيها ، وكف بصره ، عجب ، والناقة تاكلت أسنانها من الكبر ، ويق في كلامه : أكثر ، وشق بصر الميت : تبع روحه ، وعك يومنا ، اشتد حره مع سكون ريحه ، وفك الرجل ، أي : هرم ، وأمت المرأة : صارت أمّاً ، وغم يومنا ، اشتد حره ، وصن عنه ، صد وأعرض ، فهذه الثمانية عشر تلحق بالثمانية والعشرين فيصير المستثنى ستة وأربعين ، وماعدا ما ذكر من الأنواع الأربعة المتكلمة بالكسر فيها سماعي كضرب يضرب ، وجلس يجلس ، فليم من جميع ما تقدّم أن السماعي من الأفعال بضم عين مضارع فقل المفتوح أو بكسرها على طريق الإجمال ماعدا واوي العين واللام ويائيهما ، وواوي الفاء والمضاعف مطلقاً وما لقلبة المفاخر ، وقد نظمت ذلك فقلت .

قد جا . قياساً ومسموعاً فخذ جملاً  
عيناً كذاك إذا في اللام قد جملاً  
الا الذي لغة عن ذلك اعتزلاً  
ولم يكن بدواعي الكسر قد شغبلاً  
أي فائه من حروف الحلق قد حصلاً  
بالواو ماء أتى أو عيناً أو كمللاً

ضم المضارع عيناً أو بكسرتـه  
ينقاس ضمّاً إذا ما الواو فيه أتى  
وفي المضارع موصولاً بتمدية  
وفي الذي قد أتى من ذي مفاخرة  
١٤٥ و / ولم يكن عند بعض غير أوله  
وخذ قياساً لكسر في المضارع إن

سوى الذي جاء مضموماً وما اشتملا  
وما عدا ذاك مسموعاً كما نُقِلَا

بالياء أو ذا لزوم أو مضاعفة  
على انضمام وكسر في مضارعه

ولنرجع الى كلام صاحب القاموس في قوله في الديباجة ولا مانع ، اذا ذكرت المصدر مطلقاً الى آخره ، فقوله ولا مانع أي لا مانع من الضم وهي الاقسام الاربعة المذكورة أول الفصل الثاني الموجبة للكسر ، فاذا ترجم بالمصدر أو بالفعل الماضي فقط وكان من الاقسام المذكورة فهو بالكسر ، فقد انكشف بحمد الله تعالى قوله : « ولا مانع ، فقوله في فصل الواو من باب الباء : الوثب ، الطفر ، فقد ترجم بالمصدر فلولا قوله : ولا مانع لحكمنا بأنه من باب كتب لكن منع من ذلك كون فائه واوا ، وهو موجب للكسر ومانع من الضم كما يعلم ذلك مما قدمناه في هذه الرسالة ، وكذلك قوله في فصل الفاء من باب الهمز : « الفية : ما كان شمساً فندسخه الظل ، والرجوع » ،<sup>(١)</sup> فهو وان ترجم له بالمصدر فهو من باب ضرب لأنه يأتي العين . وكقوله ١٤٥ ظ / في فصل الفين من باب التاء : الفيت : المطر ، وغاث الله البلاد »<sup>(٢)</sup> فتترجم المصدر أولاً ثم بالماضي بدون الآتي ، وهو من باب ضرب لكونه يأتي العين ، وقس على ذلك ما وقع من نظائره ، فلا نطيل بذكر الامثلة وهذا آخر ما تيسر جمعه في هذا المقام ، والحمد لله ولي الانعام ، وعلى رسوله أفضل الصلاة والسلام وهو حسبي ونعم الوكيل ، تم .

#### هوامش المقدمة

- ( ١ ) خلاصة الأثر ٤ / ٢٧٠ - ٢٧١  
( ٢ ) ج ١٢ ص ١٢٧  
( ٣ ) القاموس المحيط ٤  
( ٤ ) الزهر البائع  
( ٥ ) مجموعات مخطوطة في مكتبات استنبول ص ٤٩  
( الهامش )

#### هوامش النص

- ( ١ ) في الأصل « كرايم »  
( ٢ ) القاموس المحيط والقبوس الوسيط ص ٤ .  
( ٣ ) أي المضارع وقد ورد في الأصل ( الآي ) وهو تصحيف .  
( ٤ ) نسبة الى مراد الرابع  
( ٥ ) لم نقل على هوية المذكور  
( ٦ ) في الأصل ( مزاده ) والتصحيح يقتضيه السياق .  
( ٧ ) أبو عبد الله جمال الدين محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن مالك الطائي الجبائي الشافعي النحوي ، توفي في دمشق سنة ٦٧٢ هـ . من أشهر كتبه : الخلاصة الالغية وتسهيل الفوائد ، وعمدة الحافظ وعدة اللالط وغيرها . انظر ترجمته في فتح الطبيب ٢ / ٢٨١ ويديع الوعاة ٢١٠  
( ٨ ) انظر شرح لامية الافعال لابن الناطم ٢٢٩ - ٢٣٦  
( ٩ ) تقول : ( أسبيله ) بكسر الباء .  
( ١٠ ) شرح لامية الافعال لابن الناطم ٢٣١ و ٢٣٣  
( ١١ ) نفسه ٢٢٩ و ٢٣٠ .  
( ١٢ ) تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد ١٩٧ .  
( ١٣ ) شرح لامية الافعال لابن الناطم ٢٣٥ وتكملة البهت الاخير : ..... اذا تعين بمضهما  
لقد شهرة اودام قد اعتزلا  
( ١٤ ) بحرق : لقب محمد بن عمر بن المبارك بن عبد الله بن علي الحميري الحضرمي الشافعي علامة اليمن ، ولد سنة ٨٦٩ هـ بحضرموت ، وتوفي مسموماً بالهند سنة ٩٣٠ هـ انظر تاج المروس  
( بحرق ) ( ١٥ ) اسم الشرح : « فتح الاقنال وحل الاشكال بشرح لامية الافعال »  
( ١٦ ) وذكر في الشرح المختصر من ذلك أيضاً : دعا يدعو ولها يلقو ، ولها يلهو ، وسخا بالمال . يسخو ، وصحا يصحو . انظر ص ٢٦  
( ١٧ ) اي ( طلي ) .  
( ١٨ ) شرح لامية الافعال لبحرق اليميني الشرح المختصر ٢٦ .  
( ١٩ ) شرح لامية الافعال لبحرق اليميني ( الشرح المختصر ) ص ٢٦ .  
( ٢٠ ) يعني بحرق .  
( ٢١ ) شرح اللامية لبحرق ( الشرح المختصر ) ص ١٥ فقد ذكر فيه المعلقين الاولين .  
( ٢٢ ) آل عمران ٣١ . وجاء في تفسير البحر المحيط ٣ / ٤٣٠ : « قرأ أبو جازء المطاردي » « تجبئون » ، و « يجبنكم » بفتح التاء والياء من « حب » وهما لغتان . ونقل ابو حيان عن الزمخشري انه قرأه « يجبنكم » بفتح الباء والادغام .  
( ٢٣ ) مادة ( حب ) .  
( ٢٤ ) شرح لامية الافعال لابن الناطم ٢٣٠ .  
( ٢٥ ) لربعة الفعال تلحق بالخسة التي ذكرها ابن مالك ، وقد نقلها الدمياطي عنه كما ترى .  
( ٢٦ ) البقرة ٢٦٠ . وانظر في القراءة تفسير البحر المحيط لابي حنن ٢ / ٣٠٠ .



( ٢٧ ) في الاصل ( بمعنى ) وما أوردناه هو المعروف .  
 ( ٢٨ ) في الاصل ( لتيمامة ) والصحيح ما ذكرناه نقلاً عن اللسان  
 والتاج ( هشت ) .  
 ( ٢٩ ) انظر شرح لامية الافعال لابن الناطم ٢٣٢ - ٢٣٤ .  
 ( ٣٠ ) الصحاح مادة ( خصم ) .  
 ( ٣١ ) القاموس المحيط مادة ( خصم ) .  
 ( ٣٢ ) في الاصل : الثلاثة أوجه ، وما أوردناه هو الاصح .  
 ( ٣٣ ) يعني الشرح الكبير الذي لم نقل عليه . وقد اختصر  
 ما اشار اليه في شرحه المختصر ٢٦ - ٢٧ .  
 ( ٣٤ ) شرح لامية الافعال لابن الناطم ٢٢٨ و ٢٢٩ .  
 ( ٣٥ ) التسهيل ١٩٧ .  
 ( ٣٦ ) قول الشارح اليميني بحرق في شرحه الكبير الذي لم نقل  
 عليه وقد لخصه في شرحه المختصر الذي اعتمدنا عليه ص ١٨ .  
 ( ٣٧ ) زيادة يقتضيه سياق الكلام .  
 ( ٣٨ ) في الاصل ( النايب ) .  
 ( ٣٩ ) القاموس المحيط ( وجد ) .  
 ( ٤٠ ) التسهيل ١٩٧ .  
 ( ٤١ ) مادة ( ابي ) .  
 ( ٤٢ ) التسهيل ١٩٧ .  
 ( ٤٣ ) ( بحرق ) . والشرح المشار اليه هو الشرح الكبير  
 الذي لم نقل عليه .  
 ( ٤٤ ) ابن فلاح : منصور بن فلاح بن محمد بن سليمان بن ميمر  
 اليميني ، تقي الدين أبو الخير المشهور بابن فلاح الدحوي ، له  
 مؤلفات في العربية منها الكافي . جزء في غاية الحسن يدل على  
 معرفته بأصول اللغة ، مات سنة ثمانين وستمائة . انظر ترجمته  
 بنية الدعاة ٣٩٨ وهدية العارفين ٢ / ٤٧٤ .

( ٤٥ ) لم نقل عليه .  
 ( ٤٦ ) في الاصل ( اللام ) والتصحيح يقتضيه السياق .  
 ( ٤٧ ) شرح لامية الافعال لابن الناطم ٢٣١ .  
 ( ٤٨ ) أي ( فُحِت ) بالخاء ايضاً .  
 ( ٤٩ ) أي بحرق ، في شرحه الكبير الذي لم نقل عليه ، وقد اشار  
 في شرحه المختصر على اللامية الى تلك الافعال قال : « وقد ذكرت في  
 الشرح ثمانية أفعال تتلحق بها » انظر ص ٢٥ .  
 ( ٥٠ ) لم نقل على هذا الشرح ولم أجد اشارة اليه فيما نسب الى  
 من لقب بالبرماوي ولعل المؤلف : ذو النون بن احمد بن يوسف  
 البرماوي لم الميشتابي الحنظلي المتوفى سنة ٦٧٧ هـ كما في هدية  
 العارفين ١ / ٣٦٤ ، أو محمد بن عبد الدائم بن موسى البرماوي  
 المصري شمس الدين أبو عبد الله الشافعي ، أصله من عسقلان ولد  
 سنة ٧٦٣ وتوفى بالقدس سنة ٨٢١ كما في هدية العارفين  
 ١٨٦ / ٢ .  
 ( ٥١ ) شرح لامية الافعال لابن الناطم ٢٣٠ - ٢٣٤ .  
 ( ٥٢ ) شرح لامية الافعال البحرق اليميني ( الشرح المختصر )  
 ٢٢ ، ٢١ .  
 ( ٥٣ ) القاموس المحيط المواد : ( ائل ) و ( أبب ) و ( طشش ) .  
 ( ٥٤ ) زاد عليه بحرق في شرح اللامية الكبير الذي لم نقل عليه ،  
 وأشار في شرح اللامية المختصر الى ذلك بقوله « وذكرت في الشرح  
 ثمانية عشر فعلاً تتلحق بها » انظر ص ٢٣ .  
 ( ٥٥ ) القاموس المحيط مادة ( ولب ) .  
 ( ٥٦ ) القاموس المحيط مادة ( فها ) . والرجوع معنى ثان من  
 معاني الشيء . وفي القاموس المحيط معانٍ أخرى لم يذكرها  
 المؤلف .  
 ( ٥٧ ) المصدر نفسه ( غيث ) . وفي القاموس معانٍ أخرى أعطاها  
 المؤلف اختصاراً .

### مراجع الدراسة والتحقيق

( الشرح المختصر ) . دار احياء الكتب العربية ، عيسى البابي  
 الحلبي . ( د . ت ) . وعليه حاشية الطالب بن حمدون بن الحاج .  
 ٨ - شرح لامية الافعال لبالحرق اليميني محمد بن عمر الحضرمي ( ت  
 ٩٣٠ هـ )  
 ٩ - الصحاح : لاسماعيل بن حماد الجوهري ( ت في حدود  
 ٤٠٠ هـ ) . تحقيق أحمد عبد الغفور عطار ، دار الكتاب العربي  
 بمصر ١٩٥٦ م  
 ١٠ - القاموس المحيط : لمجد الدين الفيروز آبادي  
 ( ت ٨١٧ هـ ) . مطبعة السعادة بمصر ، وعليه تقييدات لابي نصر  
 الهوري .  
 ١١ - لسان العرب : لابن منظور ( ت ٧١١ هـ ) مطبعة صادر /  
 بيروت ١٩٦٨ م .  
 ١٢ - مجموعات مخطوطة في مكتبات استنبول . د . طه محسن ،  
 منشورات معهد المخطوطات العربية ط ١ الكويت ١٩٨٥ م .  
 ١٣ - معجم المؤلفين : عمر رضا كحالة ، مطبعة الترقى بدمشق  
 ١٢٨٠ هـ - ١٩٦٠ م .  
 ١٤ - هدية العارفين : لاسماعيل باشا البغدادي : استنبول  
 ١٩٥١ م .

١ - القرآن الكريم .  
 ٢ - بنية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة : جلال الدين  
 السيوطي ( ت ٩١١ هـ ) ط ١ مطبعة السعادة - القاهرة  
 ١٣٢٦ هـ .  
 ٣ - تاج الفروس من جواهر القاموس لمحمد مرتضى الزبيدي  
 ( ت ١٢٠٥ ) مطبعة الكويت .  
 ٤ - تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد لجمال الدين بن مالك  
 ( ت ٦٧٢ هـ ) تحقيق محمد كامل يركات . دار الكاتب العربي  
 للطباعة والنشر ١٩٦٧ م .  
 ٥ - تفسير البحر المحيط : لابي حيان ( ت ٧٤٥ هـ ) ط ١ نشر  
 مكتبة ومطابع النصر الحديثة - المملكة العربية السعودية -  
 الرياض ( د - ت ) .  
 ٦ - خلاصة الاثر في تراجم أعيان القرن الحادي عشر : لمحمد  
 المحبي . المطبعة الوهبية بمصر ١٢٨٤ هـ .  
 ٧ - شرح لامية الافعال : لبدر الدين بن مالك ( ت ٦٨٦ هـ ) نشرها  
 د . حسام سعيد النعيمي في مجلة كلية الدراسات الاسلامية العدد  
 الرابع ١٩٧٢ م عن نشرة الالماني فوليك سنة ١٨٦٦ م .

# ثنائية الزمن الوجداني : الزمانية السلبية والزمانية الايجابية

قراءة في نص قديم

د. عبد الكريم راضي حيدر

كلية التربية - الجامعة المستنصرية

النص

في الفراغ والمادة على حد سواء .  
ان موضوع الزمن ، موضوع دقيقة ومتشعبة . ولذلك  
سأحاول تناولها من زاوية النظر الى حركة الوجدان التي يفعل  
في دائرتها الشاعر . بمعنى أن تحديد حركة الزمن في وجدان  
الشاعر تقع في توثبات عالم توجس الوجدان من حركة الزمن في  
منها وجزرها ، وأثرها في المصير الانساني . فمعالجة النص  
ستكون على أساس تناول الزمن بوصفه معطى مباشراً « من  
معطيات الوجدان » (١).

أن الشعور بالقلق والاضطراب والاعتقار ، له الاثر الفاعل في  
توجيه نظر الشاعر الى الوجود المرتبط بالزمن . من هنا ، فإن  
الشعور بالزمن هو شعور بالقلق والاضطراب والاعتقار . وبهذه  
المعاملة الجدلية ، تكون الذات في علاقة ثنائية مع الزمن . فهي  
زمانية ايجابية ما دامت تحقق وجودها في الزمن ، من ناحية ،  
وزمانية سلبية وهي تنظر اليه نظرة حذر وتربق وخيفة ، بوصف  
الزمن أداة لتغيير الاشياء من ناحية اخرى . فالزمنية السلبية  
موجودة ، ما دام التغيير موجوداً ، ومؤثراً خطراً في الوجود .  
وهذا التأثير يمتد من كونه سميماً حثيثاً لإدامة التحولات في  
الشيلية ، التي تغادر بكارتها ، الامر الذي يؤدي بالشاعر الى  
رصدنا ، وتحويل قيمتها الى نقطة تصادم بين الوجدان المنتمي  
الى الحرية في صورتها الام ، وعدم ثبوتية الاشياء التي تولد في  
النفس مشاعر عميقة وحادة تتكثف كأبة وخوفاً ورهبة ، تتوزع  
حاضر الماضي ، وحاضر الحاضر ، وحاضر المستقبل الذي يُرى  
من زاوية نظر حذسية .

وعلى أساس زاوية النظر الى التحولات الدائمة في الشيلية ،  
يكون الزمن غير منفصل عن الموت الذي يقع في اثناء الزمن . من  
هنا ، تجيء النظرة الى الزمن ( اللاتناهي ) ، متكافئة مع  
النظرة الى الموت ( التناهي ) . وهذا ما يقيمه وجدان الشاعر  
حين يحول القيمة الانفعالية التي توجدنا حركة الزمن ، الى  
قيمة تعبيرية تستند الى رؤية داخلية تنكسر عن شعور مفرط  
بـ ( الانا ) القادرة على الابداع في عالم موضوعي تراه ممرقاً ،  
ومحدداً ، لا يفي ، ولو بدرجة دائية ، بمتطلباتها وهذا من  
هالته ، ان يدفع بالشاعر الى الشعور بالحزن .

٢ - ما موقف جميلة بثينة من الزمن في هذا النص الذي انتظم  
في عشرة أبيات (٢٦) أن تخفي ، أو تحاول اخفاء ، آثار الزمن ،

- كبرت جميل ا  
١ - تقول بثينة لما راث  
فنوناً من الشعر الاحمر
- ٢ - كبرت جميل ولودي الشباب  
فلعلث : بئس الا فاقصري
- ٣ - اتنسسين أيامنا باللوى  
وليامنا بدوي الاجفر
- ٤ - لما كنت ابصرتنى مرة  
لبالي نحن بدوي جوهر
- ٥ - لبالي انتم لنا جيرة  
الا تذكرون ، بلى فاذكري
- ٦ - واد انا أعيد غطر الشباب  
أجز الرداء من المنزير
- ٧ - واد لمتي كجناح الغراب  
ترجل (١) بالمسك والعنبر
- ٨ - ففتر ذلك ما تعلمين  
تفتر ذا الزمن المنكر
- ٩ - وانك كلولة المزبان  
بماء شبابك لم قمصري
- ١٠ - قريبان مريعنا واحد  
لكيل كبرت ولم تكبري ١٩

١ - يستمد النص مقومات قيامه من موقف جميل بثينة .  
من الزمن .. الزمن الذي شغل الفلاسفة والفنانيين ، والبشر  
الاعتقائيين ، بوصفه احساساً إنسانياً تشترك فيه امم الارض  
جميعاً في كل زمان ومكان . فالشاعر العربي منذ ما قبل الاسلام  
حتى يومنا هذا ، يشغل الزمن بما ينسجم ووجدانه أو حركة  
وجدانه ، أو مشكلاته الحضارية والاجتماعية ، أو الظروف  
البيئية . ولذلك تمتد زوايا النظر الى وقع أقدام هذا الذي يحل

موقف يشير الى رفض نتيجة ماثلة للعيان ، ولكنها نتيجة الغرض التي لا تمش الجواهر .. وهذا ما نجده في مفتاح النص :

تقول بنية لما رأت فنونا من الشعر الاحمر

( الشعر الاحمر ) رفض حالة فرضها الزمن ( الزمن - الشيب ) ، وتجسد هذا الرفض في تخضيب الشيب بلون يذيل ، أو يكاد يزيل ، الاحساس بالزمن ، أو - في اقل تقدير - الاحساس بوطائه . ولعل مما يساند ما ذهبت اليه ملفوظات بنية التي نقلها النص : ( كبرت جميل وأودى الشباب ) . وفي هذا تشكيل نواة متفصلة بأثار الزمن الذي تحس به بنية ، من خلال نظرها الى جميل ، وتحويل ( الشعر الاحمر ) الى منبه ذي أثار وأخزة . وهذا ما يشتغل عليه رد فعل ( جميل ) الذي يتجلى في تكوين لساني قاذر - بمذلوله المباشر - أن يحد من أثار الوخر ؛ بل يصنه . وهذا التكوين هو جملة ( الاقصرى ) . ( ألا ) - هنا - أداة تخفيض تؤدي - بالاشتراك مع الطلب - الى إحداث قطع يتضمن اختراماً مقصوداً لزمنية آلية تعمل على الحلول في ماضٍ طارد لمؤثرات فاعلة في الوجدان . وطبقاً لهذا التكوين ، فإن قصر كلام بنية ، يعني الاصرار على الكف عن نكر المزيد المؤثر في أن ( جميل ) . وهذا يعني رفض حالة قائمة ؛ ولكن غير معترف بها .

أن مثل هذا الاحساس بالرفض ، هو الذي أملى على ( جميل ) أن يلجأ الى الماضي في مزبوجة : الزمان والمكان : « أتدسين أيامنا باللوى » : زمان ومكان . « وأيامنا بذوي الاجفر » : زمان ومكان . « أما كنت أبصرتني » : زمان ومكان . « لياي لحن بذوي جوهر » : زمان ومكان . « لياي انتم لنا جبة » : زمان ومكان . « الا تذكرين بلى فاذكري » . في الزمان والمكان .

أن الالتفاف الى تحريك مكان الماضي وزمانه ، يفضي الى رسم قبضة حديدية بوجه الزمن . وهذا يعني ان وظيفة النص في هذا ( التحريك ) تقع في دائرة حظر نشاط منظور « بنية » الزمني الصالته . بمعنى آخر : حشر الالتفاف الى الزمن الحاضر من خلال الاستفراق في صور الشباب . ومما يساند ما ذهبت اليه أمران نحويان : الاول : إعلان طلبيان هما : ( اقصري ) - البيت الثاني ، و ( الكري ) - البيت الرابع . ومن خلالهما يبرز السعي الحثيث لتوسيع الصورة ، وتضافرها ، لاستعادة زمن ماضي . والثاني : « إذ » ذات الدلالة الزمنية الماضية التي اضيفت الى جملتين اسميتين بهدف ادامة الثبوت الزماني - الا جاز التعبير ، على الرغم من حركية دلالتهم ، من جانب ، وتنطقها السياقي ، من جانب آخر . وعلى الرغم من أنها - أقصد « إذ » - تتحرك في إطار هذا الفهم اللحوي ؛ غير أنها تنطوي

على معنى آخر يؤدي دلالة . وهذا المعنى هو الحدث باتجاه صيرورة تفضي الى : التعليل . وهذا مؤدى بالطلب اذكري ؛ للحد من نشاط الاعتراف بالزمن وآثاره ، ومن ثم العبور باتجاه الماضي . وإذا كانت تلك هي غاية جميل ، فإن الازمة الحادة التي يولدها الزمن في كيان جميل ، تجعله ينسحب من موقف الرفض - فمن لم يمت كجناح الغراب - بوصفه تراتباً لونياً مسانداً لتخريب الازمة ، الى ففخر ذلك ما تعلمين فتخذي ذا الزمن المنكر - بوصفه تقريراً لفعل الزمن الانبي .

جميل - هنا - يولد التناقض في موقف الزمن - التناقض القائم على التعليل والتبرير ؛ فتخذي ذا الزمن المنكر . وطبقاً لهذا التاميس ، فإن النهج المرسوم - وظيفة موضوعية / قيمة انفعالية - ، يفضي الى : زمن يسير ولايسير ؛ التذكر والارتقاء في احضان الماضي ، احساس بسير الزمن . والشعر الاحمر / المخضب ، اصرار على عدم سيره . و « أنت كلولة المرزبان » ، و « لم تكبري » : اصرار على عدم سيره ، و « كبرت ، ولم تكبري » احساس بالازمواجية : سيره وعدمه ؛ غير ان تلك الازمة لم تولد عند الشاعر حالة استمرار الموت ؛ لانه اقام توازناً بين ماضي وحاضر ، ماضي لم يمت كجناح الغراب ، وحاضر صاحبتة التي تبدو « كلولة المرزبان بماء شبابها لم تعمر » .. وهذا يعني التجدد في الزمن ، أو تجميد الزمن عند زمن المراهقة . ومثل هذا التوازن يشير الى خيال ( جميل ) التمويضي في زمن يفزعه ، وألا كيف لفخر « فكيف كبرت ولم تكبري » ؟ .

أن الالتكاء على الماضي ، اتخذ نهجاً تمويضياً عن تقل الخاضر الذي يحاصره وطبقاً لهذا الغرض ، فإن الماضي لا يشكل موتاً ، وإنما هو انبعاث . بمعنى ذلك أن الالتكاء على الزمن المستمد هنا ، ليس اتكاء عاجزاً ، وإنما هو اتكاء يشير الى نبض التجدد بفعل القوة المسلطة على سر الزمن : الشعر الاحمر = الخضاب ، للانتصار عليه انتصاراً حقيقياً ، ثم التقلب على الموت .

ومع هذا كله ، فإن النص يضرب على وتر ثنائية الزمن لتحقيق الذات ، الزمانية الايجابية : ايقاف الزمن « وأنت كلولة المرزبان » ، وهذا مساو متكاظر بينهما : « قريبان مريمنا واحد » ، والزمانية السلبية : التعلق الموجود : « فنونا من الشعر الاحمر » ، و « ففخر ذلك ما تعلمين » .

والنص - بعد ذلك - يجسد ما ذهبت اليه ، في ضربتين متضادتين متكافئتين ، يمثلهما : عجز البيت الاول ، وعجز البيت الاخير فنونا من الشعر الاحمر x فكيف كبرت ولم تكبري - الشيب الخضيب = الشباب ) . وبهذا يقلل ( جميل ) قفل الزمن ، ليشير الى عدم انكفائه على وجهه . من خلال لغة الغياب التي تؤدي الى النظر الى الحياة .

٣ - لا شك في أن الصورة حياة الشعر ، فهي تومئ الخطر أنوات الشاعر (١) لأن الشعر ، كما يقول بيتس « دم وخيال



وفكر تتدفق معاً «<sup>(٦)</sup> أو هو تحويل آلام الدم الى حبر، على حد تعبير البيوت «<sup>(٧)</sup> وإذا كان صحيحاً ان المجاز هو الاداة الكبرى من ادوات التعبير الشعري «<sup>(٨)</sup> ومن دونه يصبح الشعر « كتلة جامدة «<sup>(٩)</sup>، فان ثمة صوراً تعتمد في بنائها على عبارات تنكس على المدركات الحسية العرفية التي تقدمها التجربة الخارجية، غير انها تتجاوز ذلك فتدخل في حوار مستمر مع الداخل، لنقل المشاعر الداخلية، أو تصوير العالم الداخلي. ومعنى ذلك ان التجلي الخارجي، هو نقل للعالم الداخلي من القوى الرمزية التي تستحيل الى نظام غير اعتيادي، بعد أن تكون رؤية الشاعر قد غاصت في اكوام هائلة من الالفاظ.

ان « الشاعر حين يستخدم الكلمات الحسية يشقى انواعها لا يقصد أن يمثل بها صورة لحشد معين من المحسوسات، بل يقصد بها تمثيل تصوّر ذهني معين له دلالة وقيمتة الشعورية «<sup>(١٠)</sup>. وعلى اساس هذا الفهم، فان « الشعور ليس شيئاً يضاف الى القصود الحسية، وانما الشعور هو الصورة، أي انها هي الشعور المستقر في الذاكرة الذي يرتبط في سرية بمشاعر اخرى ويمثل عنها. وعندما تخرج هذه المشاعر الى الضوء وتبحث عن جسم فانها مظهر الصور في الشعر «<sup>(١١)</sup>. ان الصورة ليست تشكيلاً لغوياً طارئاً على شعور الشاعر، وانما هي نابعة من داخله، واضطراب ذاته، وقلقها، واتزانها؛ لأنها متخ من اعماق الذات، وبذلك تكون الصورة جزءاً من التجربة الشعورية، سواء أكانت مبنية على المجاز، أم على استعمال العبارات استعمالاً حقيقياً.

واستناداً الى ما ذهبنا اليه، فان النص لم يدفع باللغة الاشارية الى الورا، اذ اعتمد على تعالق الذات بالفاظ حسية لا تؤمن الى ومض يدهم المتلقي، ويدهشه، ولكنها تشير. ويستوي ذلك حتى حين يتوغل بالاساليب البلاغية المتمثلة ببعض علمي البيان، والمعاني. وسنفحص - هذا - تعالق الذات بالتشبيه.

من الوسائل التي اعتمد عليها النص في بنيته التصويرية، التشبيه. يقول:

وإذا تلتني كجناح الغراب ترجلُ بالمسك والمغبر

هنا، وقوف عند التشابه الحسي - انه قياس غير مباشر، لانه يقيم علاقة مقارنة تجمع طرفين. الاول: اللمة، والثاني: جناح الغراب، لينفذ الى وجه الشبه السواد، لتقرير الفتوة والشباب. والقبض على هذا التشابه تم عن طريق الرصد الخارجي الذي شكلته عين الشاعر المبصرة. ومثل هذا القبض لا يوحّد الاشياء، ولا يذيب التنافر. فقد ظلت ( اللمة ) منفصلة عن ( جناح الغراب )، والمظهر العملي لهذا الانفصال

هو أداة التشبيه: ( الكاف ) .

لقد سيطرت على هذه الصورة حدقة الفهم والتقدير والوضوح، فكانت - بناء - التقافاً الى الخارج اكثر من كونها التقافاً الى الداخل. بمعنى ان عين الرؤية الداخلية - بناء ايضاً - منطقتة، الامر الذي يفضي الى القول إن بنيتها الحسية تركد وتستقر في معادلة تكاد تكون علمية: اللمة = جناح الغراب = سواد. وفي هذا تماثل مطابقة مجرى على اساس التقريب.

هكذا تبدو الصورة في بنيتها السطحية، ولكننا حين نعاودها على وفق الرؤية الزمانية الايجابية، فانها ستدخل في مجرى يدحّ في دلالة القوة والفتوة، بدلالة فِرْز لفظة ( الجناح ) في معناها الإشاري، وفي مهمتها الوظيفية، الانتقال أو الإرتحال. ومثل هذه الازدواجية تفضي الى استعادة ماضٍ. ليس ذلك فحسب، وانما يسمى المعنى الاشاري لفعل ( الجناح ) : جنح : مال، يسمى الى الاصططاف مع الماضي في نراه. كما أن الجذر اللغوي لـ ( الغراب ) يقع في دائرة الذهاب : ( غَرَبَ : نُفِيت ) . وطبقاً لهذا التأسيس، فإن الإيتان بالغراب متضاداً، ليس من قبيل التشابه اللوني، وانما يتأتى من مخزون موروث مستقر، استفّره باعث الزمن الايجابي، إذ يُضرب بالغراب المثل في: البعد، والبكور. وهذا ما يسمف الشاعر لإحداث أثره الماضي / البعد، والجدة / البكور. ومن المخزون الموروث الذي يصطف مع الانتطاف الى الماضي في محاولة للتلبّث فيه، هو ما يؤثر عن العرب قديماً. إذ انهم كانوا إذا نعتوا أرضاً بالخصب قالوا: وقع في أرض لا يطير غرابها «<sup>(١٢)</sup>.

وفي هذا دلالة على خصب زمن الشباب الذي تتعلق به الصورة، بعد اشتغال ( العمق الاشاري )، كما اسميه. هذا من زاوية النظر الى الزمانية الايجابية. اما النظر الى الوجه الاخر للزمانية - أقصد السلبية - فان محاولة الطرق على المتضامين تقود الى تصويت تسمى موجأته الى إبرار نزوع الحاضر الى المفارقة المبنية على أساس المثلح فيه، بمعنى: الاعتراف بتحوّلات الشبهة وهذا ما يشتغل عليه ( العمق الاشاري ) الاخر. وطبقاً لهذا الاستفّال، فان ( جناح الغراب ) يمتخ من مخزون معرفي ولغوي أيضاً. إذ كان العرب يقولون: طار غرابه أي شاب. وفي هذا العمق الاشاري صلو من حاضر متحرك - إحساساً ووقفاً - الى ماضٍ ثابت - نزوعاً -؛ ولكنه الحاضر المهيم الذي يقبض على الغرض والجوهر في آن واحد. ويقول جميل متوسلاً بالتشبيه ايضاً.

وأدب كليلة المرزبان بماء شبابك لم تُعْصِري

فما عمق الانفعال في تشبيه ( بثينة ) بـ ( لؤلؤة المرزبان ) ؟ يبدو أن جميلاً، كان منفعلاً انفعالاً قادراً على الالتحام ببركني التشبيه؛ على الرغم من حسيتهما، ووجود



( الكاف ) . ومثل هذا الالتحام هو نتاج الانبهار بصورة ( بثينة ) التي تحاول إحلاها ، أو إخفاءها عن الزمن في محاولة للتغلب من الحاضر . من هنا ، وجد جميل المقارنة بصورة لؤلؤة المرزبان التي لا يعلوها الزمن ولا ينالها الصدا ، قادرة على لم زاوية النظر في نقطة تتصام مع دائرة الزمن . صحيح ان الصورة نظرت من خلال الادراك وليس من خلال الذهول ؛ غير أنها التفتت الى الداخل ، متلما هي التفتت الى الخارج . بمعنى آخر ان حدقته التشبيهية حدقة وضوح ومقابلة ؛ غير انها مجولة الى حدقة رؤيا خاصة بالاشياء ، خلقت دلالة جديدة تشير الى : عدم التحول بالمعنى المتضاد مع الزمن الذي يحول الشيلية باستمرار .

والسؤال الآن : اذا كان النص يتحرك على مستوى ( التغيير غير المركب ) - الصورة تشكياً ترابطياً ، فما الذي يجعله ذا - كما أسميه - أقصد على مستوى استعمال العبارات استعمالاً لاشارياً ، وتشكيل نبض قادر على احتواء المتلقي ؟ ان تمثل صورة الحرمان في التراث العنري ، يؤدي - بالضرورة - الى التعاطف مع ذوات العنرين ، ورحلات الصبر والمعاناة من جانب ، ومع ذات المتلقي وإيقاع الحياة الذي يثير وتراً ذا نزوع رومانسي ، من جانب آخر . قد لا يدخل ما نهبت اليه في صميم العملية النقدية ؛ ولكنه - في أي حال من الاحوال - مؤثر في الجذب ، مهما كانت درجته .

ان لغة النص قد أسهمت في تقريب المتلقي اليه ، حيث اننا لا نكاد نجد الفاظاً مستغلقة على الفهم ، تكون معها استشارة المعجم ضرورية . فالفاظه غير جاسية ولا نافرة . ولا ابالغ اذا قلت ان لغته - على الرغم من المساحة الزمنية الفاصلة بيننا وجميل - هي لغة حاضرا ؛ بل ان ما يكتبه بعض معاصرينا يستغل على الفهم ، لا بسبب تضييق الترابط التصويري والرمزي ، وانما بسبب الاستعمال غير الرشيد للمعجم الشعري الموروث .

لقد استعمل النص اسلوباً انشائياً هو : الاستفهام المتصل بالفعل المضارع تارة ، وبالماضي اخرى ، وهو اسلوب ذو وظيفة مهمة في تقريب المتلقي ، وشد انتباهه ، « أتتسبن .. » ، « واما كنت أبصرتني .. » . الاستفهام - هنا - لا يريد جواباً ؛ لأن الغرض منه ليس طلب الفهم ، وانما : الحلول في زمن غير زمنه . بمعنى آخر : الحلول في زمن مستعاد . كما لجأ الى المسائلة ، والاجابة عنها بـ ( بلى ) ، وفي هذا نفي النفي / اثبات ، انسجاماً مع صورة الحلول تلك . وقد يصل اسلوب الاستفهام الى حد العتاب الواخز المتولد من الاستفهام الانكاري 'لتعجبني :

فكيف كبرث ولم تكبري ؟

ونلاحظ ايضاً اسلوب الامر : ( فاقصري ) الذي يؤدي دلالة تصاحب حالة رفض تأثيرات الزمن ؛ لانه يشكل ( قطعاً ) لقول

بثينة المتصائم مع رفض جميل .. ثم « فانكري » الذي تشبع بدلالة تشير الى تثبيت الصورة التي تزحزح الموقف الانسي المحاصر . فضلاً عن ذلك ، فان تكرار التماثل قد ادى مهمات دلالية وإيقاعية . فقد كثر « إذا » مرتين في بداية البيتين : السادس والسابع . وكثر « الشباب » في الثاني والسادس . وتكرر الإيقاع : « فغير ، تغيرذ » ، ثم « لم تعصري ، لم تكبري » لتمثل التجنيس الازنواجي . ان توسل النص بهذه الاساليب - قد قربه من المتلقي ، غير ناسين ما للاداء الدرامي ( القصصي - الحوار ) ، من أثر في تحقيق وحدة النص العضوية ، فضلاً عن نزوع الشاعر الى اسلوب التداعي : « اما كنت أبصرتني » حتى « وإن لمتي .. » ، حيث أسهم فنياً في تحقيق بنية متماسكة غير قابلة للانتثار .

٤ - ينتمي النص الى وزن المتقارب التام الذي يقوم على نواة واحدة هي ( فعولن ) . والملاحظة الإيقاعية التي يفرزها النص ، هو هذا التداخل الذي - يجريه على الاعاريض . فقد جمع العروض المحذوفة ( الحذف علة ) : ( فعولن - فمو = فقل ) بالعروض المقبوضة ( القبض زحاف ) : ( فعولن - فمول ) . وفي هذا مستوى دلالي كما سنرى .

ولست اشك في القول ان حركة الوزن لا ترتبط بموضوع النص - أي نص ، وانما لها تساوق مع الانفعالات والمواطف ؛ لانها حركة آنية لا تسبق حركة انصهار العناصر المولدة للشعر ، أو تعقبها ، لعل ترتبط بهيمنة الانفعالات اشاعر على مستويات التجربة وأبعادها في لحظات التكوين الشعري ؛ وهي لحظات آنية تصهر العناصر ، حيث لا انفصام بينها .

ان تلك الحركة - بوصفها بنية لامة - جاءت متوزعة بين النواة الصحيحة ( فعولن ) ، والنواة الزاحفة المقبوضة ( فعول ) ، والنواة المعلولة المحذوفة ( فقل ) . ومثل هذا التوزع يقود الى تأليف إيقاعي ، يتحسس الانسجام الوظيفي للتجربة الشعرية .

وتأسيساً على هذا التوزع ، فان المدقق في النص - يجد ان النويات الإيقاعية المذكورة تشكل الاحصاء الآتي :

النواة	تسميتها	عدد مرات ورودها	النسبة المئوية
فعول	مقبوضة / زحاف	٢٤	٤٢ و ٥٠ %
فعولن	صحيحة	٣١	٢٨ / ٧٥ %
فمو	محذوف / علة	١٥	١٨ / ٧٥ %
	المجموع	٨٠	

ان ترتفع [ فعول ] على رأس النسب ، له تأثيراته الإيقاعية ، إذ تجعل هذا التشكيل الإيقاعي ، منفتحاً من خلال الغاء الصوت الساكن : النون في النواة ، والصوت الساكن في الكلمة أو في الأكثر من كلمة . ومثل هذا الانفتاح يخلق اختصاراً صوتياً : ( حذف النون = ١ / ٤ رجة )<sup>(٣)</sup> ، في حين يشكل الانغلاق : النواة الصحيحة ، مذا صوتياً : ( فعولن = ١ ٤ ١ ) . وتخلق النواة ( فَعُول ) سرعة أكبر مما تخلقه ( فعول ) بالتاكيد : فعو = ١ / ٢ = ٢ / ٣ [ .

وانطلاقاً من تلك النسب ، والتشكيلات الإيقاعية ، فإن حركة الوزن الإيقاعية ترتبط بالدلالة . يظهر ذلك في الجملة الشعرية التي يمثلها البيتان : الأول والثاني ، حيث تردت ( فعول ) ٨ ، أي بنسبة ٦٢٥ % ٥٠ % ، و ( فعولن ) ٥ ، أي بنسبة ٨٧٥ و ٣١ % ، و ( فعو ) ٣ ، أي بنسبة ٢٧٥ و ١٩ % . وهذا ما تسعى إليه إيقاعية ( فعول ) التي تزعمت النسبة . وهو سعی يساند الدلالة التي تختصر ، من أجل خلق تضاد مع تأثير الزمن الذي يرفضه جميل ( الخضاب رفض الشيب ) . والجملة الشعرية الثانية ، تتوزع الذوات بين الترددات الآتية :

( فعولن ) : ٢٤ ، بنسبة ٨٧٥ و ٤٢ ، و ( فعول ) : ٢٢ ، بنسبة ٢٥٨ و ٣٩ % ، و ( فعو ) : ١٠ ، بنسبة ٨٥٧ و ١٧ % .

إن غلبة ( فعولن ) إيقاعياً ، يسهم في تكثيف الدلالة التي تقدمها الأبيات :

٣ - ٩ . وهذه الدلالة تشير إلى الحلول في ماضٍ مستعاد . ومثل هذا الحلول يحتاج إلى تلبّث ينماز بالبطء .

أما الجملة الشعرية الأخيرة المتمثلة في البيت العاشر ، فيتشكل التردد على النحو الآتي :

( فعول ) : ٤ ، بنسبة ٥٠ % ، و ( فعولن ) : ٢ ، بنسبة ٢٥ % ، ( فعو ) : ٢ ، بنسبة ٢٥ % .

ان احتلال ( فعول ) يقود إلى إيقاع أسرع ، وهو ما تشتغل عليه الدلالة التي تنهي النص بالتماثل ( مربعاً واحداً ) ، والتضاد المتفق ( فكيف كبرت x ولم تكبري ) : الاستفهام التكنيبي الانكاري .

عود آخر إلى إيقاعية ( الأعاريض ) ، نجد تساوياً حنسبياً في النواتين : ( فعول ) : الزاحفة و ( فعو ) : المعلولة . إذ بلغت ( فعول ) ٥ ، أي بنسبة ٥٠ % ، و ( فعو ) ٥ ، أي بنسبة ٥٠ % . والتوزع المتناصف يشير إلى دلالة النص الكبرى :

الزمانية الإيجابية ، والزمانية السلبية ، وهذا ما يندحت :

عجز البيت الأول : ( فنوناً من الشعر الأحمر = فكيف كبرت ولم تكبري ) : عجز البيت العاشر . وصدر البيت الثاني : ( كبرت جميل وأودى الشباب = قريبان مربعاً واحداً ) : صدر البيت العاشر . ويتعكس هذه المعاملة تكون الدلالة المتخلقة من إحلال السلب والإيجاب في حركة « توازن » : الرجوع إلى الماضي وسحبه إلى الحاضر ، وأرجاع الحاضر إلى الماضي .

### الهوامش

- ( ١ ) - في الأصل : تطل . وما ثبته البستاني لغادي عيوب الوزن وهو ما جاء في حاشية الديوان .
- ( ٢ ) - الزمن في الأدب ، هانز ميرهوف ، ترجمة د . أسعد رزوق ، القاهرة ، مؤسسة سجل العرب ، ١٩٧٢ ، ص ١٦ .
- ( ٣ ) - النص في الديوان يتألف من أحد عشر بيتاً . العشرة تنتمي إلى المقارب ، أما البيت الأخير فيتنتمي إلى البحر الطويل وهو : حلفت لها بالواقصات إلى مني وما سلك الأحزاب أحزاب غرور ولا أدري كيف فات الدكتور حسين نصار هذا الوهم .
- ( ٤ ) - تطور الشعر العربي الحديث في العراق ، د . علي عباس علوان ، بغداد ، منشورات وزارة الثقافة والإعلام ، ط ١ ، ١٩٧٥ ، ص ٤١ .

- ( ٥ ) - الشعر كيف نلهمه ونلذوقه ، اليزابيث دور ، ترجمة : د . محمد إبراهيم الشوش ، بيروت ، ١٩٦١ ، ص ٣٩ .
- ( ٦ ) - المكان نفسه .
- ( ٧ ) - اللغة الشاعرة ، عباس محمود العقاد ، ( د . م ) ، مطبعة الاستقلال الكبرى ، د . ت ، ص ٤٠ .
- ( ٨ ) - الشعر العربي المعاصر ، د . عز الدين اسماعيل ، بيروت ، دار العودة ودار الثقافة ، ١٩٨١ ، ص ١٣٢ . وينظر مصدره .
- ( ٩ ) - نفسه ، ص ١٢٥ .
- ( ١٠ ) - ينظر : لسان العرب ، مادة ( غزب ) .
- ( ١١ ) - يقصد بالدرجة هنا مصطلحها الحديث ، البعد الطنوني ، وهو الثانية الكبيرة . وهذا البعد بمثابة درجة كاملة ، قابلة للتقسمة على أنصاف وأرباع . ينظر الشعر العربي الحديث في العراق ص ٢٤٢ وما بعدها .

• • • • •

## من خزائن المكتبات في الموصل

كلية التربية / الجامعة المستنصرية

يضم هذا الفهرس المخطوطات الطبية الموجودة في خزائن مكتبات الموصل ، وقد اعتمدت في اعداده على الفهارس المطبوعة الخاصة بمخطوطات الموصل : كفهرس الجليبي وفهرس الاوقاف وفهرس جامعة الموصل والمكتبة العامة في الموصل ، يضاف الى ذلك المخطوطات التي كانت بحيازتها دار صدام للمخطوطات في بغداد فقامت بتسجيل معلومات عن المخطوطات الطبية منها اضافة الى تدوين المخطوطات التي لها نساخ او مترجمون موصليون او تملكها أناس من موصليون فكان بذلك هذا الفهرس جامعاً للمخطوطات الطبية في اغلب مكتبات الموصل ، إن لم نقل جميعها ، ومن هنا تأتي اهمية كونه اول فهرس يضم بين طياته كل المخطوطات الطبية في جامعة الموصل . وقد أنصب اهتمامي على المخطوطات العربية وسجلت ما عثرت عليه من مخطوطات تركية وسريانية .

اما ترتيب الفهرس فقد اعتمدت التسلسل الهجائي للحرف الاول من اسم المخطوط ، يليه اسم المؤلف فالناسخ فسنة النسخ إن وجدت مع معلومات اخرى عن محتوى المخطوط : اوله صفاته ... الخ ، ثم رقمه والمدرسة التي وجد فيها حيث ركزت على اسم المدرسة التي اوقفت فيها المخطوطات .

ثم ادرجت قياس المخطوط ، والمصدر المعتمد ، وهذا المصدر هو المكان الذي توجد فيه المخطوطة وقد وضعت مخطوطات الشروح مع مخطوطاتها الاصلية ، مثلاً كتاب شرح القانون وضعت مع كتاب القانون على طريقة ترتيب استاذنا الفاضل كوركيس عواد .

ولم يفتني ادخال مخطوطات النباتات الطبية الموجودة في خزائن الموصل ، وبهذا تضمن الفهرس مخطوطات الطب بفروعه كافة ، والادوية والاقرباذين والنباتات الطبية فاستغرقت صفحاته ٢٢٦ صفحة حوى فيه المخطوطات المنفردة والمجاميع الخطية .

ويجدر بي استعراض بعض المخطوطات المهمة التي احتوتها خزائن الموصل سواء الشخصية منها ام العامة . لاين سينا مخطوطات طبية مختلفة منها : كتاب القانون في الطب : يوجد ١٥ خمس عشرة نسخة منه اقدمها نسخت سنة ٦٠١ هـ ، وهي محفوظة ضمن خزائن المدرسة الاميدية في جامع الباشا ، وتقع في ١٦٤ ورقة . كذلك هناك مقالة في الحميات من كتاب القانون نسخها محمد سليم الطبيب ، ومقتبسات من القانون في خزائن المدرسة الاميدية نفسها .

لهذا الكتاب الجليل شروح كثيرة : للاملي المتوفى سنة ٧٥٣ هـ ، والايلاقي المتوفى سنة ٦١٨ هـ ولابي الحسن علي بن ابي الحزم القرشي في مجلدين - قطع كبير ، وشرح آخر لم يذكر مؤلفه . وقد أوجز ابن النفيس المتوفى سنة ٦٨٧ هـ هذا الكتاب فسماه ( الموجز في الطب ) : وقد وجد له تسع نسخ اقدمها نسخت سنة ٨٦٦ هـ .

وقد حل رموز هذا الكتاب محمد بن محمد الاقراي المتوفى سنة ٨٠٠ هـ ، ونسخة الكتاب تقع في ١٦٢ ورقة فيها نقص من الاول والاخير وهي محفوظة في الاوقاف ضمن خزائن المدرسة الاحمدية .

وكان للموجز عدة شروح : للاقراي : نسخ سنة ٨٠٠ هـ ، والسديدي نسخ سنة ١٠٨٠ هـ ، وآخر غير منسوب الى مؤلف .

وهناك نقولات من شرح الموجز للشيرازي المسمى المغني في علم الطب ، وهو مخطوط يقع ضمن مجموع في مدرسة الخياط .

وهذا المغني المسمى ( المغني في شرح الموجز ) له نسختان احدهما لم يحدد شارحها ، والاخرى للسديدي الطبيب الذي كان حيا سنة ٧٤٥ هـ ، وهي نسخة جيدة الخط ، عليها آثار رطوبة نتيجة سقوط الثلج عليها في الموصل سنة ١١٧٠ هـ ، وهي موجودة حالياً في دار صدام .

ولاين سينا ايضاً أرجوزة في القضايا الخمس والعشرين لايقراط في الدلالة على الموت ، وهذه الارجوزة بنسختين تقعان في المدرسة الاحمدية ضمن مجموع لكل منهما ، وله ايضاً منظومة العلاج الواقية وتقع ضمن مجموع في

## مدرسة الاحمدية .

ولابن رشد القرطبي شرح لمنظومة ابن سينا فيها نقص من آخرها وتقع ضمن خزانة المدرسة اليونسية .

هذا ولابن سينا عدة أراجيز في الطب .

أما الرازي المتوفى سنة ٣١٣ هـ فله الحاوي الكبير في الطب في أربع نسخ غير كاملة أقدمها سنة ٧٩٦ هـ بخط صدر الدين بن اسكندر وتمثل قطعة من الجزء السادس .

وللرازي مخطوطة جداوله الحاوي نسخها داود الجليبي سنة ١٩٢٥ م وهي موجودة في خزانته .

ولهذا الكتاب شرح للقرظيني فيه نقص من آخره .

وفي الموصل ثلاث نسخ من كتاب المنصور في الطب

للرازي ، منها نسخة بخط صالح بن منصور وهي نسخة

قديمة ، وأخرى نسخت سنة ٩٤٠ هـ والثالثة نسخت في

القرن الثاني عشر الهجري .

وهناك علاجات الحاوي الكبير ( المجلد الثاني منه

نسخة قديمة ) ومن كتب الرازي الأخرى كتاب دفع مضار

الأغذية نسخة بخط محمد بن الحسين بن زيد سنة ٤٠٣ هـ .

وكتاب بؤره الساعة وله أربع نسخ أقدمها سنة ١١٧٢ هـ

ورسالة تقع في ٤٤ صفحة ضمن مجموع . هناك أيضاً مجموع

طبي يتضمن عدة رسائل وهو موجود في خزانة د . داود

الجليبي . وله أيضاً مختصر بعض أسماء الأدوية مرتبة على

حروف المعجم نسخ سنة ٨٥١ هـ .

ومن الكتب الأخرى التي لها نسخ كثيرة في خزائن

الموصل كتاب الأسباب والعلامات للنفيس بن عوض له ثمان

نسخ ، وكتب داود الانطاكي :

التحفة البكرية

وتذكرة أولي الألباب وله سبع نسخ .

مع رسالتين في الطب

والنزهة المبهجة وله خمس نسخ

مع مختصر النزهة .

وكتب صالح الفلدي :

غاية الإتقان وله ثمان نسخ

ومركبات صالح الفلدي

ومفردات غاية البيان

ونزهة الأبدان بنسختين

وقد تضمن فهرس المخطوطات كتباً في الطب ورسائل

ومخطوطات ومقالات طبية بعضها لافلاطون والكثير منها ليس

لها أسماء مؤلفين وقد وجدت كتباً أخرى لبقراط وابن

بختيشوع والسيوطي وابن الجوزي ويهملي في هذا المقام أن

القي الضوء على مخطوطات مؤلفين موصليين وهي :

١ - تعاريف في الصحة / لعلي بن علي العمري الموصل

وتقع ضمن مجموع في المدرسة الاحمدية .

٢ - تعليق على كتاب النقش في الحجر لفان ديك - طب

وكيمياء لمحمد ضياء بن عبد الرحمن وصفي بك بن شريف بك

أمين زانة الموصل المتوفى سنة ١٣٥٤ هـ ، ناسخ هذا

المخطوط :

الخطاط الشيخ محيي الدين ، ويقع في ٤٤ ورقة ضمن

مخطوطات عبد الله نشاة

٣ - جامع علوم العمل في مداواة الامراض للموصل

٤ - رسالة في النبض

جمع محمد الطبيب المهدي الموصل المتوفى سنة ١٢٦٣ هـ

هـ تشتمل على بابين ومقدمة .

٥ - الرياض الاعماني في فوائد الطب من الحكمة الطبيعية

لنعمان بن عثمان الدفترى العمري الموصل . هذه النسخة تعد

اول نسخة كتبت سنة ١١٦٥ هـ ، يلي الكتاب قسم من قانون

ابن سينا ، ويقع المخطوط في ١٧٧ ورقة ضمن مخطوطات

جامع النبي شيت .

٦ - شرح ارجوزة للرئيس ابن سينا

لمحمد الطبيب المهدي بن قسيس يوحنا الطبيب الموصل

نسخها المؤلف بنفسه سنة ١٢٤١ هـ ، وتقع في ٢١٢ ورقة

ضمن خزانة د . داود الجليبي .

٧ - شفاء السقيم

يحتوي على كتب طبية منقولة من كتب باللغة التركية

والعربية منها مفردات قاسم المولوي الموصل . وتقع في ٧٠

ورقة ضمن خزانة د . داود الجليبي .

٨ - الشفاء العاجل والداء الكامل

لامين بك حفيد ياسين افندي الموصل ، له نسختان .

٩ - الطب الجديد الكيمائي

للعالم الالماني براكليوس

ترجمة السيد محمد جليبي الطبيب الموصل ، وله ثلاث

نسخ . من هنا نخرج بنتائج مهمة ان المخطوطات الطبية في

الموصل لم تقتصر على الموصليين ، حسب بل حوت كتباً في

مختلف فروع الطب والأدوية والنباتات الطبية لمؤلفين معروفين

في التراث العلمي الطبي ، وهذه الكتب للموصليين نصيب طيب



في تأليفها أو نسخها أو ترجمتها أو جمعها في مجاميع .  
وأخيراً أن يتسع صدر الباحثين الكرام لما قد يقع من  
سهو أو وهم في اعداد هذا الفهرس كوني أقدم لأول مرة باعداد  
فهرس ضخمة للمخطوطات ولمدة قصيرة .  
كما أتمنى أن ييسر عملي للباحثين والمحققين في مجال  
الطب الاطلاع على مخطوطات الموصل الطبية . .

#### ( ١ ) الاحكام الملخصة في حكم ماء الحمصة

لابي الاخلاص حسن الشربلاني المتوفى سنة ١٠٦٩ هـ أتمها  
تأليفاً سنة ١٠٥٩ هـ .  
ضمن مجموع برقم ٢١ / ٢ مخطوطات د . محمد صديق الجليلي  
القياس : ٢٨ / ١٨ ، و - ٢٠٥  
المصدر : فهرس عبد الرزاق ٦ / ٣٠٧ .

#### ( ٢ ) الاختلاج

١ ( اما بعد فهذا كتاب الاختلاج فيما ذكر عن الخضر عليه السلام  
وذي القرنين في تفسير الاختلاج في جميع الاعضاء ... )  
ضمن مجموع برقم ٥٩ / ١٨ ( ٦ ) المدرسة الرضوانية  
القياس : ٢١ x ١٥ ، و - ١٢٠  
المصدر : فهرس عبد الرزاق ٨ / ١٢٦ .  
× نسخة أخرى

اختلاج نامة لاغصان البون ، النسخ سنة ١٢٩٢ هـ ضمن مجموع  
برقم ٥٠ / ١٦ ( ١ ) المدرسة الاحمدية  
القياس : ١٨ x ١١ ، و - ٦٤  
المصدر : فهرس عبد الرزاق ٥ / ١٢٤ .

#### × نسخة أخرى — نظم —

ضمن مجموع برقم ٥٢ / ١٨ ( ٢٣ ) المدرسة الرضوانية  
القياس : ٢١ x ١٣ ، و - ١٠٦ .  
المصدر : فهرس عبد الرزاق ٨ / ١٢٧ .

#### × نسخة أخرى

بمعنوان ( شرح اختلاجات الاضاء على خمس مقالات )  
الناسخ : ياسين بن خير الله العمري سنة ١٢٢٣ هـ

ضمن مجموع برقم ٩ / ٦٤ ( ٢ ) خزائن د . داود الجليلي  
القياس : ٢٢ x ١٤ ، و - ٦٦  
المصدر : فهرس عبد الرزاق ٦ / ٢٦٢ .

#### × نسخة أخرى

فيها آراء للامام علي كرم الله وجهه في الاختلاج  
مجدول بالحمرة وفي كل صفحة ١٧ سطراً  
ضمن مجموع برقم ٢٤ x ٢٥ ( ٢ ) المدرسة الحسنية .  
القياس : ٢١ x ١٥ ، و - ١٢٣ .  
المصدر : فهرس عبد الرزاق ١ / ٢٣١ .

#### × اختلاج الاعضاء

جعفر الصادق المتوفى سنة ١٤٨ هـ  
ضمن مجموع برقم ٥٠ / ٢٤ ( ٤ ) المدرسة الاحمدية  
القياس : ٢٢ x ١٧ ، و - ١١٩  
المصدر : فهرس عبد الرزاق ٥ / ٣٠٧ - ٣٠٨ .

#### ( ٤ ) × أرجوزة في حفظ الصحة

لابن سينا : ابو علي حسين بن عبد الله المتوفى سنة ٤٢٨ هـ  
تقع في صفتين  
ضمن مجموع برقم ٢٦ / ١٩ ( ٢ ) مخطوطات جامع النبي شيت  
القياس : ١٥ x ١٠٫٥ ، و - ٦٧  
المصدر : فهرس عبد الرزاق ٢ / ٢٢١ .

( ٥ ) × أرجوزة ابن سينا في القضايا الخمس والعشرين  
لابقراط في الدلالة على الموت ، لابن سينا .

ضمن مجموعة برقم ١٥٢ / ٢ المدرسة الاحمدية  
المصدر : فهرس الجليلي ٢٣ .

#### × نسخة أخرى

ضمن مجموع برقم ٦٦ / ٢٤ ( ٢ ) المدرسة الاحمدية  
القياس : ٢٧ x ١٢ ، و - ٢٣٤ .

المصدر : فهرس عبد الرزاق ٥ / ٣١٧ .

( ١٠ ) X أارجوزة الكبرى في الطب لابن سينا .

ضمن مجموعة برقم ١٥٢ / ١ المدرسة الاحمدية  
المصدر : فهرس الجلبي ٣٣ .

X نسخة اخرى

ضمن مجموعة برقم ٦٤ / ٢٤ ( ١٠ ) المدرسة الاحمدية نقص من  
اولها

القياس : ١٨ × ١٣ ، و - ٢٨٦ .  
المصدر : فهرس عبد الرزاق ٥ / ٣١٦ .

X نسخة اخرى

ضمن مجموع برقم ٦٦ / ٢٤ ( ١ ) المدرسة الاحمدية .  
القياس : ٢٧ × ١٢ ، و - ٢٣٤ .  
المصدر : فهرس عبد الرزاق ٥ / ٣١٧ .

( ١١ ) X اسئلة واجوبة في شرب القتن ( الدخان )

المؤلف : غير معروف

منه نسخة في مكتبة اوقاف الموصل  
الرقم : ١٦ / ١٦ ( ٤ ) مدرسة الخياط .  
المصدر : ١ - فهرس سالم عبد الرزاق ٥ / ١١٠  
٢ - مصادر النباتات الطبية عند العرب  
تأليف الاستاذ كوركيس عواد  
مطبعة المجمع العلمي العراقي ١٩٨٦ / ص ١٨١

( ١٢ ) X الاسباب والعلامات

محمد بن علي بن عمر المتطبيب المتوفى سنة ٦١٩ هـ  
( الحمد لله علي نعمائه السابقة ... )  
الناسخ : ابو المحاسن محمد بن ابي بكر النيسابوري  
الرقم : ٢٠ / ١ المدرسة الاحمدية .  
القياس : ٢٥ × ١٧ ، و - ١١٥  
المصدر : فهرس عبد الرزاق ٥ / ٢٥٩

( ٦ ) X أارجوزة صغيرة في علة العراق

ضمن مجموع برقم ١٥٤ / ١٢ المدرسة الاحمدية  
المصدر : فهرس الجلبي ٣٤ .

( ٧ ) X أارجوزة في الطب

لم يذكر اسمها ولا اسم ناظمها  
ضمن مجموع برقم ١٥٤ / ١٠ المدرسة الاحمدية  
المصدر : فهرس الجلبي ٣٤ .

( ٨ ) X أارجوزة في الطب ( كفاية المرتاض في علمي  
الابوال والامراض لابن سينا

ضمن مجموع برقم ٦٤ / ٢٤ ( ١١ ) المدرسة الاحمدية  
القياس : ١٨ × ١٣ ، و - ٢٨٦ .  
المصدر : فهرس عبد الرزاق ٥ / ٣١٦ .

X نسخة اخرى

ضمن مجموع ٥٦ / ٩ ( ٦ ) خزائن د . داود الجلبي  
القياس : ٢٠ × ١٥ ، و - ١٧٣ .  
المصدر : فهرس عبد الرزاق ٦ / ٢٥٦

X نسخة اخرى

ضمن مجموع برقم ١٥٤ / ١١ المدرسة الاحمدية  
المصدر : فهرس الجلبي ٣٤ .

( ٩ ) X أارجوزة في المجربات

للرئيس ابن سينا  
ضمن مجموع برقم ٦٦ / ٢٤ ( ٢ ) المدرسة الاحمدية  
القياس : ٢٧ × ١٢ ، و - ٢٣٤ .  
المصدر : فهرس عبد الرزاق ٥ / ٣١٧ .

( ١٣ ) × الأسباب والعلامات<sup>(١)</sup>

فهرس بن عوف الكرماني المتوفى سنة ٨٥٢ هـ -  
( الحمد لله رب العالمين ... )

أوله فهرس لمحتواه

الناسخ : ابن محمد علي بن ميرزا علي محمد مؤمن الاصلهاني  
سنة ١٠٦٠ هـ

الرقم : ٢٠ / ٧ مدرسة الاحمدية .

القياس : ٢٦ × ١٤ ، و - ٣٠٦

المصدر : ١ - فهرس الجليلي ٣٢ برقم ١٣٦

٢ - فهرس عبد الرزاق ٥ / ٢٦٠

× نسخة أخرى

نسخت سنة ١١٥٩ هـ .

المصدر : مكتبة يحيى باشا الجليلي في سجلات دار صدام  
للمخطوطات بغداد .

× نسخة أخرى

نسخت سنة ١٢٣١ هـ . اضافة الى نسخة اخرى لم تذكر سنة  
نسخها

المصدر : مكتبة يحيى باشا الجليلي في سجلات دار صدام  
للمخطوطات بغداد .

× نسخة أخرى

يخط بهمن المتطبيب الكازوني . في آخره

نسخ اقرا بازين بخط المذكور ايضاً .

الرقم : ١٠٠ مدرسة الحجيات

المصدر : فهرس الجليلي ١٠٧

( = الأسباب والعلامات )

× نسخة أخرى

يلها الموجز في الطب . كلاهما ناقص

الرقم : ١٠١ مدرسة الحجيات

المصدر : فهرس الجليلي ١٠٧

× نسخة أخرى

الرقم : ١١٦ المدرسة الحسنية

المصدر : فهرس الجليلي ١٢٩ .

× نسخة أخرى

بم عنوان « شرح الأسباب والعلامات »

فيها نقص في الآخر

الرقم : ١٣ / ٦ خزانة د . داود الجليلي

القياس : ٢٨ × ١٨ ، و - ٣٠٧

المصدر : فهرس عبد الرزاق ٦ / ١٢٦ .

× نسخة أخرى

بم عنوان : « شرح الأسباب في الطب النافع للإصحاب

( الحمد لله رب العالمين ... )

قدمه لالوغ بيك بن شاه رخ كوركان

اتمه شرحاً سنة ٨٢٧ هـ في بلدة كرمان مستطراسه ضمن مجموع

برقم ٩ / ٥٥ ( ١ ) خزانة د . داود الجليلي

القياس : ٢٩ × ١٧ ، و - ١٥٧ .

المصدر : فهرس عبد الرزاق ٦ / ٢٥٥ .

( ١٤ ) × أقرا بالين الطب المختار

محمد جليلي المتوفى سنة ١٢٦٣ هـ

نسخة المصنف ويخطه .

الرقم : ١ / ٦ خزانة د . داود الجليلي

القياس : ٣٢ × ٢١ ، و - ٦١

المصدر : فهرس سالم عبد الرزاق ٦ / ١٧٢

( ١٥ ) × أقسام النفس

نسخة ضمن مجموع برقم ٥٣ / ١٨ ( ١٩ ) المدرسة الرضوانية

القياس : ٢١ / ١٢ ، و - ١٠٦ .

المصدر : فهرس عبد الرزاق ٨ / ١٢٧ .

( ١٦ ) × ألفية ابن سينا في الطب

خط جميل ، طب قديم ، كتب في آخره : « تم الكتاب على يد علي

( ١ ) سماه : شرح الأسباب والعلامات ( سالم عبد الرزاق ٥ / ٢٦٠ )

الجميل الحنفي مذهباً والموصلي وطناً وذلك في ليلة الجمعة  
لثلاثين يوماً مضت من ربيع الاول المنتظم في شهور سنة ست  
وعشرين بعد الثمانيات وألف هجرية .

الرقم : ٢٥٨

القياس : ص ١٢٠ ، ق ٢٠٥ في ١٤ سم ، س ١٧  
المصدر : فهرست مخطوطات المكتبة العامة في الموصل ص ٤٣ .

#### ١٧ ( ) الإيضاح في الطب

علي بن محمد بن عبد الله المتطبب الاقزري المتوفى سنة ٨١٥ هـ  
منسوخة على نسخة المؤلف سنة ١١٣٠ هـ  
الرقم ٢٠ / ٢ المدرسة الاحمدية .

القياس : ٢٠ × ٢٣ ، و ٢٨٢

المصدر : ١ - مخطوطات الموصل : د . داود جليبي بغداد ،  
١٩٢٧ م . ص ٣٢

٢ - فهرس مخطوطات مكتبة الاوقاف العامة في الموصل . سالم  
عبد الرزاق احمد ، مطبعة الاوقاف ، بغداد ، ١٣٩٦  
هـ / ١٩٧٦ م ، ٥ / ٢٥٩ .

#### ١٨ ( ) بازنامة - في طب

١ ( ) وصلى الله على سيدنا محمد ، ذكر الرواة من الثلاثة اهل  
المعرفة ... )

الناسخ : احمد نيلة سنة ١٣٨٩ هـ

الرقم : ٦ / ٢ خزنة د . داود الجليبي

القياس : ٢١ × ٢١ ، و ٢٦

المصدر : ١ - فهرس داود جليبي ص ٢٣٦ برقم ١٦٠ مدرسة  
يحيى باشا .

٢ - فهرس سالم عبد الرزاق ٦ / ١٧٣ .

#### ١٩ ( ) بحر الجواهر في المصطلحات الطبية

محمد بن يوسف الطبيب الهروي ، كان حيا سنة ٩٢٤ هـ .

أولنه ( حمد الكلام لجدي ذوي الافهام تحقيق دافق اللغات  
العربية )

النسخ : سنة ١٠٩٩ هـ

الرقم : ٢٠ / ٣ المدرسة الاحمدية .

القياس : ٢٢ × ٢٣ ، و ١٩٣ .

المصدر : ١ - فهرس د . داود جليبي ص ٣٢ ، برقم ١٣٢ .

٢ - فهرس سالم عبد الرزاق ٥ / ٢٥٩

#### × نسخة اخرى

فيها نقص قليل من الاول والموجود يبدأ ( حاو للكميات

المعالجات وموجز تقديمه مفن عن الاسباب والعلامات .. )

الله بامر من الوزير محمد المشتهر بامير بيك

الرقم : ٦ / ١٧٣ خزنة د . داود الجليبي

القياس : ٢٤ / ١٢ ، و ٢١٦ .

المصدر : فهرس سالم عبد الرزاق ٦ / ١٧٣ .

#### ٢٠ ( ) براء الساعة

للرازي : محمد بن زكريا المتوفى سنة ٣١٣ هـ

تاريخ النسخ : ١١٧٢ هـ

المصدر : فهرس داود جليبي ص ٢٥ المدرسة الاحمدية برقم

١٥٩ .

#### × نسخة اخرى

بمنوان « براء الساعة ورسالة في المضد للرازي »

تاريخ النسخ : ١٢٠٣ هـ

المصدر : مكتبة يحيى باشا الجليبي<sup>(١)</sup> ، من سجلات دار صدام

للمخطوطات بغداد .

#### × نسخة اخرى

١ ( ) الحمد لله حق حمده والصلاة على رسوله محمد وآله .... )

تاريخ النسخ : ١٢٨١ هـ

الرقم : ٤ / ٦ خزنة د . داود الجليبي

القياس : ٢١ × ١٥ ، و ٥

المصدر : فهرس سالم عبد الرزاق ٦ / ١٧٣ - ١٧٤ .

#### × نسخة اخرى

بمنوان ( نقولات وحكايات ووصفات علاجية وابيات شعرية مختلفة

الاغراض منها منقولة من براء الساعة للرازي )

ضمن مجموع برقم ٩ / ٦٤ ( ٤ ) خزنة د . داود الجليبي

القياس : ٢٢ × ١٤ ، و ٦٦

المصدر : فهرس عبد الرزاق ٦ / ٢٦٢ .

( ١ ) مع هذه النسخة مخطوطة اخرى هي ( مختصر ما يجب استحضاره

من صناعة الطب )



( ٢١ ) × بيان حشر الأجساد

لابن كمال باشا المتوفى سنة ٩٤٠ هـ  
ضمن مجموع برقم ٢٨ / ٢٠ ( ٤ ) المدرسة المحمدية  
الرقم : ٢٢ × ١٦ ، و - ٤٤ .  
المصدر : فهرس عبد الرزاق ٩٤ / ٧ .

( ٢٢ ) × بيان دلالة اختلاج أعضاء البدن من الانسان

نظم آخره دلالة طنين الاذنين في ايام الاسبوع  
ضمن مجموع برقم ٤٧ / ٩ خزائن د . داود الجلبى  
المصدر : فهرس عبد الرزاق ٢٣٨ / ٦ .

( ٢٣ ) × الببيرة

نسخة قابلها الشيخ اسماعيل الهيتي الحنفي سنة ٩٩٧ هـ .  
الرقم : ١٢١ مدرسة عبد الرحمن جلبى الصالح  
المصدر : فهرس داود جلبى ١٥٧ .

( ٢٤ ) × التبصرة في أحكام الحيض .

صلاح الدين حسن بن اسماعيل بن عبد الله الدركزلي الموصلى  
المتوفى سنة ١٢٢٧ هـ نسخت على نسخة بخط المؤلف . ا  
( الحمد لله الذي يحب التوابين ... )  
تاريخ النسخ : ١٢٧٨ هـ  
الرقم : ٧ ( الجامع الكبير - النوري )  
القياس : ٢٢ × ١٦ ، و - ٣٦  
المصدر : فهرس سالم عبد الرزاق ٢ / ٢٥١ .

× نسخة أخرى

بمنوان ( تبصرة الاخوان في الحيض على مذهب المجتهد  
المطلق ) .  
ا ( الحمد لله الذي شرح الدين ما وصى به اولى المزم )  
نقص من آخرها  
ضمن مجموع برقم ١٢٥ / ١٨ ( ٦ ) المدرسة الرضوانية  
القياس : ٢٣ × ١٨ ، و - ١٧٧ .  
المصدر : فهرس عبد الرزاق ٨ / ١٨٥ .

( ٢٥ ) × تحصيل الصحة بالاسباب الستة .

للطبيب الفاضل الحبيب التفتيسي ( ٩٠٠ هـ )  
الرقم : ١٦١ مدرسة يحيى باشا .  
المصدر : ا - فهرس داود جلبى ٢٣٦ .  
٢ مكتبة - يحيى باشا الجلبى

من سجلات دار صدام للمخطوطات ، بغداد .

( ٢٦ ) × التحفة البكرية في احكام الاستحمام الكلية  
والجزئية .

لداود الانطاكي المتوفى سنة ١٠٠٨ هـ  
ا ( .... يامن غمس قلوب المارفين في بحار الاله وانزع للسالكين  
حياض نعمائه ... )  
وجاء في آخرها ( علق هذه الرسالة الثامنة الفخر عباد ربه علي  
الشعراوي للشيخ ... ابو العز )  
بخط علي الشعراوي  
ضمن مجموع برقم ١٥٢ / ٣ المدرسة الاحمدية .  
القياس : ٢٠ × ١٥ ، و - ٢٤٦  
المصدر : ا - فهرس الجلبى ٣٤ .  
٢ - فهرس عبد الرزاق ٥ / ٢٣٠ برقم ٧٧ / ٢٤ ( ٣ ) .

( ٢٧ ) × تحفة الطالب في أحكام العرق الضارب

عبد الواحد المغربي  
ا ( احمدك اللهم على ما اوليتنا من نعمائك حمداً كثيراً ... )  
تاريخ النسخ .... سنة ١٠٦٩ هـ  
ضمن مجموع برقم ١٥٢ / ٩ المدرسة الاحمدية .  
القياس : ٢٠ × ١٥ ، و - ٢٤٦ .  
المصدر : ا - فهرس الجلبى ٣٤ .  
٢ - فهرس عبد الرزاق ٥ / ٣٣١ برقم ٧٧ / ٢٤ ( ٩ )

( ٢٨ ) × تحفة المحب في صناعة الطب

بدر الدين محمد بن محمد القوصوني المتوفى سنة ٩٣١ هـ  
ا ( احمد من ابوع سراج الانسان في احسن تقويم )  
ضمن مجموع برقم ١٥٢ / ١ المدرسة الاحمدية .  
القياس : ٢٠ × ١٥ ، و - ٢٤٦ .  
المصدر : ا - فهرس الجلبى ٣٤  
٢ - فهرس عبد الرزاق ٥ / ٢٣٠ برقم ٧٧ / ٢٤١ .

( ٢٩ ) × تحقيق المعاد الجسماني .

ضمن مجموع برقم ٢٠ / ٥ مخطوطات عبد الهادي رؤوف  
القياس : ١٨ × ١٠ ، و - ١٧٨ .  
المصدر : فهرس عبد الرزاق ٦ / ٣٢٧ .  
× نسخة أخرى  
بمنوان ( بيان المعاد الجسماني )  
النسخ : محمد سعيد سنة ١٢٣٨ هـ  
ضمن مجموع برقم ٦٨ / ٢٤ ( ١٤ ) المدرسة الاحمدية  
القياس : ١٧ × ١٢ ، و - ١٤٢ .

المصدر: فهرس عبد الرزاق ٥ / ٣١٩ - ٣٢٠.

( ٣٠ ) x تذكرة أولى الالباب والجامع للعجب المجاب .

للشيخ داود الضير بن عمر الانطاكي المتوفى سنة ١٠٠٨ هـ ( سبحانه مبدع مواد الكائنات ... )  
الرقم: ١ / ١٩ خزائن المدرسة الامينية في جامع الباشا .  
القياس: ٣٠ x ٣٨ ، و - ٣١٨ .  
المصدر: فهرس سالم عبد الرزاق ٤ / ١٥٧ .

x نسخة اخرى

الرقم: ٤ / ٢٠ المدرسة الاحمدية .

القياس: ٣٢ x ٢٤ ، و - ٢٣٨

المصدر: ١ - فهرس داود جلبي ٣٢ برقم ١٣٣

٢ - فهرس سالم عبد الرزاق ٥ / ٢٥٩ - ٢٦٠ .

x نسخة اخرى

نسخة جيدة كتبت لمحمد أمين ياسين الهندي زادة الموصلية .  
تاريخ النسخ: ١١٥٩ هـ  
المصدر: فهرس داود جلبي ١٢٩ ، برقم ١١٤ / المدرسة  
الحسنية .

x نسخة اخرى

المصدر: فهرس داود جلبي ٤٤ برقم ١٤١ / المدرسة الاسلامية .

x نسخة اخرى

المصدر: فهرس د. جلبي ١٦٦ ، برقم ٢٩ / المدرسة العبدالية .

x نسخة اخرى

ناقصة الآخر، في صدر المجلد صفات صبر  
المصدر: فهرس د. جلبي ١٠٧ ، برقم ١٠٢ / مدرسة الحجيات

x نسخة اخرى ( نقولات التذكرة )

ضمن مجموع برقم ٤٨ / ٢٤ ( ٢ ) المدرسة الاحمدية .

القياس: ٢١ x ١٥ ، و - ٦٠

المصدر: فهرس عبد الرزاق ٥ / ٣٠٧ - ٣٠٨ .

( ٣١ ) x التذكرة السعدية في القوانين الطبية

لمبداه بن محمد بن عبد الرزاق الخوام

ضمن مجموعة برقم ١٥٢ / ٦ المدرسة الاحمدية

القياس: ٢٧ x ١٢ ، و - ٢٣٤ .

المصدر: ١ - فهرس الجلبي ٣٣ .

٢ - فهرس عبد الرزاق ٥ / ٣١٨ برقم ٢٤ / ٦٦ ( ٧ ) .

( ٣٢ ) x تذكرة الكحالين

علي بن عيسى الكحال المتوفى سنة ٤٣٠ هـ .

الرقم: ١ مدرسة الحجيات

المصدر: فهرس سالم عبد الرزاق ٣ / ١٨٦ .

( ٣٣ ) x تسهيل المنافع في الطب والحكمة

ابراهيم بن عبد الرحمن الازرق المتوفى حوالي سنة ١١٥٠ هـ .  
ناقص من اوله والموجود منه يبدأ ( صنفان لا غنى للناقص ... )  
الاطباء لابد انهم والمعلماء لاديانهم ... )

جمعه مؤلفه من كتابي شفاء الاجسام محمد بن ابي شبيب  
الكمواني ، والرحمة للحكيم المقرئ مهدي الضيري ... )

ناقص من آخره ، جلده مزخرف

الرقم: ٤ / ١٨ المدرسة الاسلامية .

القياس: ٢٠ x ١٥ ، و - ٩٧

المصدر: ١ - فهرس داود جلبي ٤٤ برقم ٥٧ .

٢ - فهرس عبد الرزاق سالم ٢ / ٧١ .

( ٣٤ ) x تعاريف في الطب

علي بن علي العمري الموصلية سنة ١١٨٢ هـ

ضمن مجموع برقم ٤٨ / ٢٤ ( ٤ ) المدرسة الاحمدية .

القياس: ٢١ x ١٥ ، و - ٦٠ .

المصدر: فهرس عبد الرزاق ٥ / ٣٠٧ - ٣٠٨ .

( ٣٥ ) x تعلم حفظ الصحة العسكري .

ناقص من اوله والموجود منه يبدأ ( بالفصل الرابع تدابير عامة في  
حفظ الصحة للطعام )

الرقم: ٥ / ٦ - خزانة د. داود الجلبي

القياس: ٢٣ x ١٨ ، و - ٦٥

المصدر: فهرس سالم عبد الرزاق ٦ / ١٧٤ .

( ٣٦ ) x تعليق على كتاب النقش في التجبر لفان  
ديك - طب وكيمياء

محمد ضياء بن عبد الرحمن وصفي بك بن شريف بك ادين

زادة الموصلية المتوفى سنة ١٣٥٤ هـ .

١ ( عند مطالعتي في كتاب الكنز المكنون في الصناعات والفنون ... )

وجدت باباً ملخصاً مختصاً في التراكيب الكيميائية ، وله تعلق في كتاب النقش في الحجر للمعلم فان ذلك للاجل اتمام الفائدة احببت ان استكتبه في رسالة مخصوصة ..  
أوله فهرس لمحتواه اتمه في ربيع الاول سنة ١٣٢٦ هـ .  
[ ناسخ هذا المخطوط : الخطاط الشيخ محيي الدين ]  
الرقم : ٢ مخطوطات عبد الله نشابة .  
القياس : ٢١ × ١٣ سم ، و - ٤٤ .  
المصدر : فهرس سالم عبد الرزاق ٢٣٢ / ٦ .

### ٣٧ ) x مقدمة المعرفة في الطب

لبقراط بن ايراقليس اوهرقليدس الحكيم المتوفى سنة ٢٥٧ ق م .

خطه عادي ، طب قديم ، كتب في آخره ( قد تم الكتاب بمون الله الكريم الوهاب على يد الفخر الوري عبد المحسن ابن المرحوم تاسم بك لجناح العالم العامل عبد الله الفندي الشلشلي البكري القريشي وذلك في مدينة الموصل المحروسة في اليوم الحادي عشر من شهر شوال المكرم سنة ١٣١٩ هـ .  
الرقم : رمضاني ١٣٢ .

القياس : ٢١٥ × ١٢ سم ، س ١٥  
المصدر : فهرس مخطوطات المكتبة العامة في الموصل برقم ٢٥٩ / ب

### x نسخة أخرى

نسخة جيدة كتبت بخط النسخ على يد مصطفى بن صالح لاجل الشلشلي نفسه في مدينة الموصل والسنة نفسها ولكن في ٢٤ شعبان

الرقم : ٥٢٧٦ - ٢ دار صدام للمخطوطات - بغداد  
القياس : ٣٨ ص ٢٠ × ١٢ سم ١٥ س  
المصدر : مخطوطات الطب والصيدلة والبيطرة في مكتبة المتحف العراقي ، اسامة ناصر النقشبدي دار الرشيد للنشر ، ١٩٨١ ، ٧٤ .

### نسخة أخرى

ضمن مجموعة برقم ١٥٢ / ٨ . المدرسة الاحمدية .

القياس : ٢٧ × ١٢ ، و - ٢٣٤  
المصدر : ١ - فهرس الجلبلي ٣٣ .  
٢ - فهرس عبد الرزاق ٣١٨ / ٥ برقم ٢٤ / ٦٦ ( ٩ )

### ٣٨ ) x تقويم الأبدان في تدبير الانسان

ابن جزلة المتطبيب البغدادي المتوفى سنة ٤٩٣ هـ  
نقص من أوله وقد استكمل بخط حديث  
تاريخ النسخ : ٦٥١ هـ  
الرقم : ٢٠ / ٥ المدرسة الاحمدية  
القياس : ٣٠ × ٢٢ ، و - ٩٨ .  
المصدر : ١ - فهرس داود جلبلي ٣٢ برقم ١٣٤ .  
٢ - فهرس سالم عبد الرزاق ٢٥٩ / ٥ .  
٣ - مكتبة الدكتور يحيى باشا الجلبلي  
من سجلات دار صدام للمخطوطات ، بغداد .

### x نسخة أخرى

١ ) الحمد لله الذي خلق فسوى وقدر فهدى وأمرض نشطا ( اسفل اوراقه مزقة .  
الرقم : ١ / ١٨ مدرسة الحجيات  
القياس : ٣٠ × ٢١ ، و - ٤٤  
المصدر : فهرس سالم عبد الرزاق ٩٩ / ٢ .

### ٣٩ ) x ثلاثة رسائل في الطب

للامشاطي والاسرائيلي وابن الصائغ

تاريخ النسخ : ٩٧٩ هـ

المصدر : مكتبة د . يحيى الجلبلي

من سجلات دار صدام للمخطوطات ، بغداد

٤٠ ) جامع علوم العمل في مداواة الامراض للموصلي

عدد الاوراق : ٢

تاريخ النسخ : ٩٧١ هـ

الرقم : ٢٢٣

المصدر : فهرس عناوين المخطوطات في مكتبة الدراسات العليا ،

اعداد : بديعة يوسف ، فائق عبد الصاحب وحسين المزايي ،

مكتبة الدراسات العليا ، كلية الاداب ، جامعة بغداد ، ١٩٧٩ .

### ٤١ ) x جنان الجنان في استعمال الدخان

لابي الوفاء المرضي المتوفى ١٠٧١ هـ / ١٦٦٠ م

نقع نسخته ضمن مجموع في اوقاف الموصل .

المصدر : ١ - فهرس سالم عبد الرزاق ١٠٦ / ٨ .

٢ - مصادر النباتات الطبية ١٠١ .

### ٤٢ ) x الجواب الشافي لمن سأل عن الدواء الشافي

ابن قيم الجوزية المتوفى سنة ٧٥١ هـ

أ ( ما تقول السادة العلماء أئمة الدين ( رضي الله عنهم اجمعين  
في رجل ابتلي ببليّة ... )  
ساقط جلده

الواقف راشد بن عبد الله المعزّي سنة ١٢٩٨ هـ  
وهو بخطه سنة ١٢٩٧ هـ  
الرقم : ١٨ / ٥ المدرسة الإسلامية .  
القياس : ٢٤,٥ × ١٧,٥ ، و - ١٥٠  
المصدر : فهرس سالم عبد الرزاق ٧١ / ٢ .

٤٣ ( × الحاوي الكبير في الطب

لابي بكر الرازي المتوفى سنة ٣١٣ هـ  
قطعة الجزء السادس

الناسخ : صدر الدين بن اسكندر سنة ٧٩٦ هـ  
الرقم : ١٩ / ٢ خزائن المدرسة الامينية في جامع البابا .  
القياس : ٣٥ × ١٧ ، و - ٣٦٨ .  
المصدر : فهرس عبد الرزاق ١٥٧ / ٤ .

× نسخة أخرى

مجلد منه بخط محمد تقي بن رفيع الدين بن علي المظاري  
القاشاني ، نسخ سنة ١٠٣٦ هـ .  
الرقم : ١٢٥ المدرسة الاحمدية .  
المصدر : فهرس الجليبي ٣٢ .

× نسخة أخرى

المجلد الاخر فقط  
قاهره جلد اسود ذو طباقه .  
أيّد البسملة ( رب اعني على اتمامه ... )  
الرقم : ١٤٣ المدرسة الإسلامية  
القياس : ٣٥ × ١٧,٥ ، ٣٣ س  
المصدر : فهرس الجليبي ٤٤ .

× نسخة أخرى

بخط محمد تقي بن رفيع الدين بن علي المظاري القاشاني  
المتوفى سنة ١٠٣٦ هـ  
ضمن مجموع برقم ٩٤ / ٤ ( ١ ) المدرسة الاحمدية .

القياس : ٣٢ × ٢٠ ، و - ٤٤٥  
المصدر : فهرس عبد الرزاق ٢٨٨ / ٥ .

٤٤ ( جداول الحاوي

محمد بن زكريا الرازي المتوفى سنة ٣١٣ هـ  
أ ( بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين قال محمد بن زكريا  
الرازي ... )  
الناسخ : داود الجليبي سنة ١٩٢٥ م .  
الرقم : ٦ / ٦ - خزائن د . داود الجليبي .  
القياس : ٣٢ × ٢٢ ، و - ٧٨ .  
المصدر : فهرس عبد الرزاق ١٧٤ / ٦ .

٤٥ ( × شرح الحاوي للقزويني

علاء الدين علي بن اسماعيل القونوي المتوفى سنة ٧٢٩ هـ .  
أ ( بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين باعث الرسل وموضح  
السبيل )  
نقص من آخره

الرقم : ٩ / ٦ المدرسة المحمدية في جامع الزيواني .  
القياس : ٢٨ × ١٩ ، و - ٢٦٦ .

المصدر : فهرس عبد الرزاق ٤٤ / ٧ .

٤٦ ( × الحاوي في علم التداوي

نجم الدين محمد بن الشيخ الياس الشيرازي من اطباء القرن  
السابع الهجري .

أ ( الحمد لله الواحد الماجد )

نقص من أوله وآخره ( قال اسحق انه يضرب بالمانة ... )

الرقم : ١٨ / ٢ مدرسة الحجيات

القياس : ٢٢ × ١٦ ، و - ١٢٧ .

المصدر : ١ - فهرس الجليبي ١٠٧ برقم ١٠٣ .

٢ - فهرس عبد الرزاق ٩٩ / ٣ .

× نسخة أخرى

الرقم : ١١٥ المدرسة الحسينية

المصدر : فهرس الجليبي ١٢٩

نسخة أخرى

الرقم : ١٦٣ مدرسة يحيى باشا



المصدر : ١ - فهرس الجليلي ٢٢٦  
٢ - سجلات دار صدام للمخطوطات ببلد  
( مكتبة يحيى باشا الجليلي )  
٤٧ ( ) حفظ الصحة - محمد الطبيب  
٥١ ( ) الرحمة في الطب والحكمة  
للسيوطي : جلال الدين المتوفى سنة ٩١١ هـ .  
١ ( ) الحمد لله الذي اخترع من الدم الموجودات ، وظهر من  
الموجودات الكائنات ، يتضمن خمسة فصول .  
ضمن مجموع برقم ١٧ / ١ ( ٤ ) مدرسة الصالح الجليلي  
القياس : ٢٢ × ١٦ ، و - ٩٤  
المصدر : فهرس عبد الرزاق ١٧٥ / ٦ .

٥١ ( ) الرحمة في الطب والحكمة

للسيوطي : جلال الدين المتوفى سنة ٩١١ هـ .  
١ ( ) الحمد لله الذي اخترع من الدم الموجودات ، وظهر من  
الموجودات الكائنات ، يتضمن خمسة فصول .  
ضمن مجموع برقم ١٧ / ١ ( ٤ ) مدرسة الصالح الجليلي  
القياس : ٢٢ × ١٦ ، و - ٩٤  
المصدر : فهرس عبد الرزاق ١٨٦ / ٧ .

× نسخة أخرى

نقص من أولها .  
ضمن مجموع برقم ١٦ / ٤٣ ( ٢ ) مدرسة الخياط  
القياس : ١٦ × ١١ ، و - ٨٨  
المصدر : فهرس عبد الرزاق ١٢١ / ٥ .

× نسخة أخرى

ضمن مجموع برقم ١٨ / ١٥ ( ١٠ ) المدرسة الرضوانية  
القياس : ٢١ × ١٦ ، و - ١٣٢  
المصدر : فهرس عبد الرزاق ١٠٨ / ٨ .

× نسخة أخرى

الناسخ : ملا عثمان  
ضمن مجموع برقم ٢٣ / ١ ( ٢ ) المدرسة الامينية  
القياس : ٢٣ × ١٦ ، و - ٩١  
المصدر : فهرس عبد الرزاق ١٩١ / ٤ .

٥٢ ( ) الرحمة في علم الطب والحكمة

تاريخ النسخ : ١٢٧٣ هـ  
المصدر : مكتبة يحيى باشا الجليلي  
وهو من سجلات دار صدام للمخطوطات ببلد

١ ( ) الحمد لله الذي خلق الانسان في احسن تقويم وعلمه خواص  
الاشياء .... )  
مؤطر الصفحات

برقم : ٦ / ٧ - خزائن د . داود الجليلي  
القياس : ٢١ × ١٤ ، و - ٤٦  
المصدر : فهرس سالم عبد الرزاق ١٧٤ .

٤٨ ( ) حكم وفوائد في الادب والطب والتفسير

ضمن مجموع برقم ١٦ / ١ مدرسة الخياط .  
القياس : ٢١ × ١٦ ، و - ٤١٠ .  
المصدر : فهرس عبد الرزاق ١٠٥ / ٥ .

٤٩ ( ) خمس رسائل في الطب

لنقيب الدين السمورقندي  
تاريخ النسخ : ٩٧٤ هـ  
المصدر : مكتبة د . يحيى باشا الجليلي  
من سجلات دار صدام للمخطوطات ، ببلد

٥٠ ( ) دفع مضار الاغذية

محمد بن زكريا الرازي المتوفى سنة ٣١٣ هـ  
١ ( ) الحمد لله المليم الحكيم الباريء المصور القدير العظيم الحي  
القيوم الواحد الفرد القويم ... )  
صفحته الاولى اكملت بخط يختلف عن خط الاصل .  
جاء في آخره :

( تمت المقالة الثانية من كتاب محمد بن زكريا الرازي في دفع  
مضار الاغذية وهو آخر الكتاب وكتبه محمد بن الحسين بن زيد  
بخطه في .. شهر ربيع الاخر من سنة ثلاث واربعمائة والحمد لله  
حق حمده . حسبنا الله وحده ) يحتوي على مقالتين الاولى تقع  
ب - ٩٤ ورقة والمقالة الثانية تقع ب - ٢٢ ورقة .  
خطه مقروء ، ورقة اسم نخين يفصل بينهما رسالة منافع

× نسخة أخرى

برقم ٢٤ / ٦٦ ( ١٢ ) .

بعتوان ( كتاب الرحمة في الطب والحكمة )

( ٥٧ ) × رسالة طب تركية

للمقرئ محمد المهدي البصري البعني الهندي المتوفى سنة ٨١٥ هـ

الرقم : ١٤٤ مخطوطات جامع الباشا  
المصدر : فهرس الجلبى ١٦٠ .

١ ( الحمد لله الذي اخترع من عدم الموجودات ... )

ضمن مجموع برقم ٩ / ١٠ ( ٢ ) خزائن د . داود الجلبى

القياس : ٢١ × ١٦ ، و - ٣٧

المصدر : فهرس عبد الرزاق ٢١٩ / ٦

( ٥٢ ) × رد ابن الحسن علي بن رضوان على الرسالة  
المتقدمة

تاريخ النسخ : ١٢٢٦ هـ

المصدر : مكتبة د . يحيى الجلبى

من سجلات دار صدام للمخطوطات ، بغداد .

( ٥٩ ) × رسالة في الاصطلاحات الطبية

ضمن مجموعة برقم ١٥٢ / ١٧ المدرسة الاحمدية

القياس : ٢٧ × ١٢ ، و - ٢٣٤ .

المصدر : ١ - فهرس الجلبى ٣٣ .

٢ - فهرس عبد الرزاق ٣١٨ / ٥

برقم ٢٤ / ٦٦ ( ١٩ ) .

بلا اسم المؤلف

ضمن مجموع برقم ١٥٤ / ٢ المدرسة الاحمدية

القياس : ١٨ × ١٣ ، و - ٢٨٦ .

المصدر : ١ - فهرس الجلبى ٣٤ .

٢ - فهرس عبد الرزاق ٣١٥ / ٥ - ٣١٦

برقم ٢٤ / ٦٤ ( ٢ ) .

٥٤ × رسالة أخرى لعلي بن رضوان وضعها لاطباء مصر  
والقاهرة يخبرهم بأحوال مختار بن حسن البغدادي

ضمن مجموعة برقم ١٥٢ / ٢٠ المدرسة الاحمدية

المصدر : فهرس الجلبى ٣٣ .

( ٦٠ ) × رسالة في أمراض القلب من الغضب والحسد ملخصة من  
كتاب احياء العلوم للفضالي .

ضمن مجموع برقم ٢٦ / ١٧ ( ٥ ) مدرسة الصائغ الجلبى

القياس : ٢١ × ١٣ ، و - ١٢٣

المصدر : فهرس عبد الرزاق ١٩٦ / ٧

( ٦١ ) × رسالة في البول

( ٥٥ ) × رسالة تتعلق في الانسان هل هذا هو الهيكل  
المخصوص او غيره .

ضمن مجموع برقم ٦ / ٢٠ ( ٦ ) المدرسة المحمدية في جامع  
الزيتوني عبد الغني النابلسي ، أتمها سنة ١١٠٢ هـ .

القياس : ٢٢ × ١٧ ، ٢٢١ .

المصدر : فهرس عبد الرزاق ٨٥ / ٧ .

( ٥٦ ) × رسالة دعوة الاطباء

لجانالوتوس

ضمن مجموع برقم ١٥٣ / ٧ المدرسة الاحمدية

القياس : ٢٠ × ١٥ ، و - ٢٤٦

المصدر : ١ - فهرس الجلبى ٣٤

٢ - فهرس عبد الرزاق ٣٣٠ / ٥ - ٣٣١ برقم ٧٧ / ٢٤ ( ٧ ) .

( ٦٢ ) × رسالة في التنبأك :

للحسني : ابراهيم بن سيد عبد الكريم

للمختار بن بطلان البغدادي المتوفى سنة ٤٥٨ هـ

ضمن مجموعة برقم ١٥٢ / ١١ المدرسة الاحمدية

القياس : ٢٧ × ١٢ ، و - ٢٣٤ .

المصدر : ١ - فهرس الجلبى ٣٣ .

٢ - فهرس عبد الرزاق ٢١٧ / ٥ - ٢١٨

منها نسخة خطية ضمن مجموع في اوقاف الموصل .  
المصدر : ١ — فهرس سالم عبد الرزاق ٩٦ / ٧ .  
٢ — مصادر النباتات الطبية ٦٨ .

٦٣ ) X رسالة في حكم ماء الحمصة :

عبد الفتي بن اسماعيل النابلسي المتوفى سنة ١١٤٣ هـ .  
نقص من آخرها  
رسالة ضمن مجموع برقم ١٧ / ٥٠ ( ٢ ) مدرسة الصانع  
الحنيني .  
القياس : ٢٢ x ١٥ ، و - ٣٩  
المصدر : فهرس عبد الرزاق ٢٠٧ / ٧ .

X نسخة أخرى

ضمن مجموع برقم ٢٣ / ٤٧ المدرسة الامينية .  
القياس : ١٦ x ١٦ ، و - ٣٩  
المصدر : فهرس عبد الرزاق ٣١٥ / ٧ .

٦٤ ) X رسالة في الحكميات :

نقص من اولها الموجود منها يبدأ قال ابو العيلاء لصاعد نحن في  
دونت .. في آخرها صفحة في الدعاء باللغة الفارسية  
الرقم : ٦ / ٩ - خزنة د . داود الجلبى .  
القياس : ١٨ x ١١ ، و - ١٧  
المصدر : فهرس سالم عبد الرزاق ١٧٥ / ٦

٦٥ ) X رسالة في الحيض والاستحاضة والنفاس :  
لحسن بن اسماعيل بن عبد الله الدركزلي الموصلي المتوفى سنة  
١٢٢٧ هـ .

نسخة بخط المؤلف سنة ١٢٧٨ هـ  
ا ( الحمد لله الذي امرنا بما فيه نفعنا )  
ضمن مجموع برقم ٢ / ٦٠ مخطوطات الجامع الكبير النوري .  
القياس : ٢٢ x ١٦ ، و - ٣١ .  
المصدر : فهرس عبد الرزاق ٢٧٩ / ٢ .

٦٦ ) X رسالة في الدعاء وخواص العقاقير :

منها نسخة ضمن مجموع في اوقاف الموصل .  
المصدر : ١ — فهرس سالم عبد الرزاق ١٠٩ / ٨ .

٢ — مصادر النباتات الطبية ١٢٨ .

X نسخة أخرى

ضمن مجموع برقم ١٨ / ١٦ ( ٤ ) المدرسة الرضوانية  
القياس : ٢٢ x ١٦ ، و - ١٥١ .  
المصدر : فهرس عبد الرزاق ١٠٩ / ٨ .

٦٧ ) X رسالة في العلاج :

رئيس الاطباء السلطاني مصطفى فيضي المعروف بحياتي  
زادة المتوفى سنة ١٠٠٣ هـ .

ا ( لما بعد هذه رسالة الفها مصطفى الفندي حكيم باشي سلطان  
محمد الفاتح بن السلطان ابراهيم رحمهم الله تعالى ، اشار  
بتأليفها فصلها برسه في بيان معالجة العلة المراقبة  
السوداوية وغير السوداوية وهي مرتبة على احدى وعشرين  
فصلاً ... )

نقولات من اولها وآخرها  
الرقم : ١٤ / ١ المدرسة الرضوانية  
القياس : ٢٢ x ١٦ ، و - ٣٢  
المصدر : فهرس سالم عبد الرزاق ٩٥ / ٨ .  
٦٨ ) X رسالة في الطب :

ضمن مجموع برقم ٢٢ / ١٦ ( ١ ) مدرسة الحجيات .  
القياس : ١٧ x ١٢ ، و - ١٤٤  
المصدر : فهرس عبد الرزاق ١٢١ / ٢ .

X نسخة أخرى :

ضمن مجموع برقم ٢٣ x ٣٦ ( ٤ ) المدرسة الامينية .  
القياس : ٢٠ x ١٥ ، و - ١٨٩ .  
المصدر : فهرس عبد الرزاق ٢٠٧ / ٤ .

٦٩ ) X رسالة في طب الأبدان والأديان :

لمحمد بن حبيب ابي القاسم النيسابوري المتوفى سنة ٢٤٥ هـ  
ضمن مجموع برقم ٢ / ٧٧ المدرسة اليونسية .  
القياس : ٢١ x ١٥ ، و - ٢٢٥ .  
المصدر : فهرس عبد الرزاق ٣٦ / ٨ .  
٧٠ ) X رسالة في الطب — تركي :

الرقم : ٢٢ / ١٧ خزائن المدرسة الامينية في جامع الباشا .  
القياس : ٢١ × ١٦ ، و - ٦٦  
المصدر : فهرس عبد الرزاق ١٧٩ / ٤ .

( ٧١ ) × رسالة في الطب القديم :

عن رأي ' . الانتطائي المتوفى سنة ١٠٠٨ هـ  
ضمن مجموع برقم ٢٤ / ٢٠ ( ٣ ) المدرسة الاسلامية .  
القياس : ١٦ × ١٢ ، و - ٥٦  
المصدر : فهرس عبد الرزاق ٩٩ / ٢ .

( ٧٢ ) × رسالة في الطب منظومة ومنثورة بضمنها فصل  
من كتاب الباء .

ضمن مجموع برقم ١٥٣ / ٨ المدرسة الاحمدية .  
القياس : ٢٠ × ١٥ ، و - ٢٤٦ .  
المصدر : ١ - فهرس الجليبي ٢٤ .

٢ - فهرس عبد الرزاق ٢٣١ / ٥ برقم ٧٧ / ٢٤ ( ٨ ) .

( ٧٣ ) × رسالة في علم الصحة :

علي بن موسى الرضي المتوفى سنة ٢٠٣ هـ .  
ضمن مجموع برقم ٧٠ × ٢٤ ( ١ ) المدرسة الاحمدية .  
القياس : ١٢ × ١٧ ، و - ١٢٩ .  
المصدر : فهرس عبد الرزاق ٣٢٣ / ٥ .

( ٧٤ ) × رسالة في الفروج :

للمختار بن الحسن بن بطلان البغدادي المتوفى سنة ٤٥٨ هـ  
ضمن مجموعة برقم ١٥٢ / ١٦  
القياس : ٢٧ × ١٢ ، و - ٢٣٤ .  
المصدر : ١ - فهرس الجليبي ٣٢  
٢ - فهرس عبد الرزاق ٣١٨ / ٥ برقم ٦٦ / ٢٤ ( ١٨ ) .

( ٧٥ ) × رسالة في ماهية الروح والحياة والنفس والعقل  
واقسامها وتوابعها :

لابي كمال باشا المتوفى سنة ٩٤٠ هـ  
١ ( ) وبعد فهذه رسالة مشتملة على فوائد جلية عن ماهية الروح  
والحياة والنفس والعقل واقسامها وتوابعها وهي مرتبة على

فصلين وستة عشر بحثاً ) .

الناسخ : ملا محمد بن علي الدركزلي سنة ١٢٠٦ هـ .  
ضمن مجموع برقم ٧٦ / ٢٤ ( ٤ ) المدرسة الاحمدية .  
القياس : ٢٢ × ٢٣ ، و - ٢٦٥ .  
المصدر : فهرس عبد الرزاق ٣٣١ / ٥ .

( ٧٦ ) × رسالة في المجربات في الطب :

داود الضرير الانتطائي المتوفى سنة ١٠٠٨ هـ .  
١ ( ) باسمك اللهم نطلب النجاة والشفاء .  
ضمن مجموع برقم ١٥٣ المدرسة الاحمدية .  
القياس : ٢٠ × ١٥ ، و - ٢٤٦ .  
المصدر : ١ - فهرس الجليبي ٣٤ .  
٢ - فهرس عبد الرزاق ٢٣٠ / ٥ - ٢٣١ برقم ٧٧ / ٢٤ ( ٥ ) .

( ٧٧ ) × رسالة في النبض :

جمع محمد الطبيب المهدي الموصلي المتوفى سنة ١٢٦٣ هـ .  
تشتمل على بابين ومقدمة .  
١ ( ) اعلم بان حركة النبض بالقوة الحيوانية وانه الحركة القلب  
والشريان ... )  
الرقم : ١٠ / ٦ خزائن ر . داود الجليبي .  
القياس : ١٦ × ١١ ، و - ٢٢  
المصدر : فهرس سالم عبد الرزاق ١٧٥ / ٦ .

( ٧٨ ) × رسالة للرازي في الباء :

١ ( ) قال محمد بن زكريا الرازي انه وان كانت الكتب المؤلفة في الباء  
غزيرة موجودة فرائي لم أر منها الى هذه الاية كتاباً كافياً بالذات  
في هذا المرض وتوابعه بل وجدتها اما مبتسرة او مشوشة  
ملتبسة ... الخ . )  
قد اشغلت ٤٤ صفحة .  
ضمن مجموع برقم ١٥٤ / ٢ المدرسة الاحمدية .  
القياس : ١٨ × ١٣ ، و - ٢٨٦ .  
المصدر : ١ - فهرس الجليبي ٣٤ .  
٢ - فهرس عبد الرزاق ٣١٥ / ٥ - ٣١٦ .  
برقم ٦٤ / ٢٤ ( ٣ )

( ٧٩ ) × رسالة لمحمود بن الياس الشيرازي في الباء



١) : الحمد لله الواحد الفتاح ، خالق الارواح والاشباح ، الذي جعل  
الموت سكناً وخلق الصباح واباح النكاح ، وحرم السفاح ،  
والصنعة ... الخ — ) .

في ٨٢ نسخة .

المصدر : مجموع برقم ١٥٤ / ٤ المدرسة الاحمدية .

القياس : ١٨ × ١٢ ، و — ٢٨٦ .

المصدر : ١ — فهرس الجليلي ٢٤ .

٢ — فهرس : عبد الرزاق ٥ / ٢١٥ — ٢١٦ .

برقم ٢٤ / ٦ ( ٤ ) .

٨٠) × رسالة ما جاء في العين مع فوائد اخرى .

١ : صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال العين حق العين  
حق .. )

المصدر : مجموع برقم ٨٢ / ٢٤ ( ٧ ) المدرسة الاحمدية .

القياس : ٢١ × ١٥ ، و — ١٢٩ .

المصدر : فهرس عبد الرزاق ٥ / ٣٣٦ .

٨١) × رسالة المقرجات :

انتخبها الشيخ احمد الحميدي رئيس الاطباء بالديار المصرية  
ضمن مجموع برقم ١٥٣ / ٦ المدرسة الاحمدية .

القياس : ٢٠ × ١٥ ، و — ٢٤٦ .

المصدر : ١ — فهرس الجليلي ٢٤ .

٢ — فهرس : عبد الرزاق ٥ / ٢٢٠ — ٢٢١ برقم ٢٤ / ٧٧ ( ٦ ) .

٨٢) × رسالتان في الطب :

بمن تأليف محمد القوصوني .

تاريخ النسخ : ٩٧٤ هـ .

المصدر : مكتبة د . يحيى باشا الجليلي .

من سجلات دار صدام للمخطوطات ، بغداد .

٨٣) × الروضة الطبية :

كتاب صغير ، خطه

الرقم : ١٤٥ مخطوطات جامع الباشا

القياس : ١٦ × ٩ ، و — ٧٠ ، ١٥ س .

المصدر : فهرس داود جليلي ٦٠ .

٨٤) × الروضة في الطب :

عبد الله بن جبريل بن يختيشوع المتطبيب المتوفى سنة ٤٥١ هـ .

١) اللهم أعن على طاعتك كل فاضل ... )

الناسخ : يوحنا بن قسيس دانيال الكلداني سنة ١١٤٦ م وقد

قويت النسخة على النسخة الاصل .

الرقم : ٣ / ١٩ خزائن المدرسة الامينية في جامع الباشا .

القياس : ١٦ × ١١ ، و — ٣٤ .

المصدر : فهرس سالم عبد الرزاق ٤ / ١٥٧ .

٨٥) × روضة المباح في الطب :

خط رديء ، طب قديم ، فيه وصفات طبية قديمة .

١) بسم الله الرحمن الرحيم به ثقتك فصل في الصنع . )

الرقم : باشعالم / ١١٠٦ .

القياس : ٢١ × ١٥ ، و — ١٧٢ س ١٩

المصدر : فهرست مخطوطات المكتبة العامة في الموصل رقم  
٢٦٢ .

٨٦) الرياض النعمانية في فوائد الطب من الحكمة

الطبيعية ، لنعمان بن عثمان الدفترى العمري الموصل .

جاء في اول الكتاب هذان البيتان لاحدهم مادحاً المؤلف :

شرح الطرف في كتاب طبيب

حاذق في طبائع الانسان

حين ترعى تلك الرياض بلهم

تدري ان لا شقيق للنعمان

١) الحمد لله منشيء التركيب الانساني من عنصر التراب ومرتب

الهيكل الحيواني من عروق واعصاب ... الخ ) .

ذكر المؤلف انه قرأ الطب على الشيخ احمد المبدلي . وقال

ناسخه : « وكان مؤلفه يحرق كرايس ويرسلها لي وانا اجرها

للبياض » .

فتكون هذه النسخة اول نسخة كتبت سنة ١١٦٥ . يلي الكتاب

قسم من قانون ابن سينا .

الرقم : ٩٨ مخطوطات جامع النبي شيت .

القياس : ٢٦ × ١٥ ، و — ١٧٧ س ٢٥ .

المصدر : فهرس داود جليلي ٢١٧ .

( ٨٧ ) x شرح أرجوزة للرئيس ابن سينا :

محمد الطبيب المهدي بن تيسير يوحنا الطبيب الموصل  
( نسخة الشارح ) .

١ ( مبتدي بمونه تعالى شرح أرجوزة الحسين الشيخ أبي علي بن  
سينا ... ) .

الناسخ : محمد الطبيب المهدي سنة ١٢٤١ م .

الرقم : ١٤ / ٦ — خزانة د . داود الجليبي .

القياس : ٢٢ x ١٦ ، و — ٢١٢ .

المصدر : فهرس عبد الرزاق ١٧٧ / ٦ .

( ٨٨ ) x شفاء السقيم :

١ ( الحمد لله رب العالمين ومدير أمور الخلق لجمعين ... ) .

يحتوي على كتب طبية منقولة من كتب باللغة التركية وكتب عربية  
معتبرة منها التحفة الجامعة ليحيى بن أبي بكر بن محمد بن  
يحيى وغاية البيان لصالح الفندي : رسالة في الطب لنصرة  
الفندي الاسلامبولي ومفردات قاسم المولوي الموصل . صفحاته  
مؤطرة .

الناسخ : مصطفى الحافظ سنة ١٢٤١ هـ .

الرقم : ١٦ / ٦ — خزانة د . داود الجليبي .

القياس : ١٥ x ١١ ، و — ٧٠ .

المصدر : فهرس عبد الرزاق ١٧٧ / ٦ .

( ٨٩ ) x الشفاء الماثل والداء الكامل

لامين بك حفيد ياسين الفندي الموصل .

الرقم : ١٢٢ مدرسة عبد الرحمن جليبي الصائغ .

المصدر : فهرس الجليبي ١٥٧ .

x نسخة أخرى :

نسخة سنة ١٢٠٧ هـ .

المصدر : مكتبة يحيى الجليبي

سجلات دار صدام للمخطوطات ، بغداد .

( ٩٠ ) x شرح كتاب دعوة الأطباء :

أبي الحسن علي بن هبة الله بن البردي .

ضمن مجموعة برقم ١٥٢ / ١٢ المدرسة الاحمدية .

القياس : ٢٧ x ١٢ ، و — ٢٢٤ .

المصدر : ١ — فهرس الجليبي ٣٣ .

٢ — فهرس عبد الرزاق ٦٦ / ٢٤ ( ١٣ ) .

( ٩١ ) x شرح منظومة ابن سينا في الطب :

ابن رشد محمد بن أحمد القرطبي المتوفى سنة ٥٩٥ هـ .

نقص من آخرها .

الرقم : ٦٤ المدرسة اليوسية .

القياس : ٢٣ x ١٧ ، و — ١٠٤ .

المصدر : فهرس عبد الرزاق ٣١ / ٨ .

( ٩٢ ) x الصلح بين الاخوان في حكم إباحة الدخان :

للنابلسي : عبد الفني بن اسماعيل المتوفى سنة

١١٤٣ هـ / ١٧٣١ م .

الرقم : ضمن مجموع برقم ٥٩ مدرسة الخطاط .

المصدر : ١ — فهرس الجليبي ، ١٤٤ .

٢ — مصادر النباتات الطبية ١٢٠ .

x نسخة أخرى

الرقم : ضمن مجموع برقم ٢٣ ( ٣ ) المدرسة العبدالية .

المصدر : ١ — فهرس الجليبي ، ١٦٦ .

٢ — فهرس عبد الرزاق ٥ / ١١٤ .

٣ — مصادر النباتات الطبية ١٢٠ .

# أخبار التراث والمحققين

اعداد : د. عماد عبد يحيى .

## ● الندوات والمؤتمرات :

موضوعات تتعلق بنشأة الطباعة العربية وطرقها المستخدمة والاحوال التي رافقت وجودها والعوامل التي ساعدت على نموها . وعرضوا الاتجاهات في هذه الطباعة ونوعيتها ، وقدموا لوائح ببلوغرافية عن أوائل المطبوعات ، وألقوا الضوء على مناهج التحقيق التي اتبعت في نشر التراث المخطوط في أوائل القرن الرابع من الهجرة ، والكتب التي أعاد طبعها محققة على وفق هذه المناهج .

ومن أبرز ما عرض في الندوة ماقدمه الدكتور علي ابراهيم النملة عن أثر المستشرقين في دراسة التراث العربي ، والدكتور صلاح الدين المنجد عن منهج نشر التراث العربي في أوائل القرن الرابع من الهجرة ، والدكتور عبد العزيز عبيد عن برنامج ذاكرة العالم الذي تقوم به المنظمة العالمية (اليونسكو) .

— علم الكحالة عند العرب :

نظم مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث في دبي ندوة عن (علم الكحالة في التراث العربي) في يوم الثلاثاء الموافق ١٤ آذار ١٩٩٥ ، ومن الموضوعات التي عرضت فيها : المؤلفات العربية في علم الكحالة للدكتور محمد رواس قلنجي ، وعرض الدكتور ظافر وناني مخطوطاً محققاً في علم الكحالة ، وألقى الدكتور نشات حمارة محاضرة عن إسهامات العلماء العرب في علم الكحالة ، والدكتور ماهر عبد القادر محاضرة عن نظرية الإبصار عند الكحالين العرب .

— تاريخ العلوم عند العرب :

انعقدت الندوة العالمية السادسة لتاريخ العلوم عند العرب في كانون الاول من العام ١٩٩٦ في الإمارات العربية المتحدة ، والتي نظمها معهد التراث العلمي العربي - جامعة حاب بالتعاون مع مركز الدراسات والوثائق في دولة الإمارات . وعالجت الندوة الموضوعات : تاريخ العلوم الطبية والصيدلية ، تاريخ العلوم الأساسية (الكيمياء ، الفيزياء ، الرياضيات) ، تاريخ علوم الكون والفلك ، تاريخ العلوم الزراعية والري وعلم الحيوان ، تاريخ التكنولوجيا .

— أزمة العمل التراثي :

في ندوة علمية ، استمرت يومين ( ٢١ ، ٢٢ ) من نيسان ١٩٦٦ أثار معهد المخطوطات العربية مجموعة من قضايا

التحديث وثقافة الانسان العربي :

عقد المجلس التنفيذي للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم دورته الثانية والستين في تونس للمدة من ٢٦ - ٣٠ آب سنة ١٩٩٥ ، وكان من أهم ما ناقشه الخطة التي تتضمن الخطوط والافكار الأساسية ، التي ستعتمد في تخطيط مشاريع الندوات اللاحقة وبرامجها . وقد ورد في كلمة الافتتاح التي ألقاها المدير العام للمنظمة الاستاذ محمد الملي ابراهيمي ، أن وثيقة التحديث ومحاورة التي اعتمدها المؤتمر العام للمنظمة هي الخطوة الاولى في طريق التحديث ، والانطلاق المرجوة نحو أنشطة تلبي الأوليات في مجالات تهم الانسان العربي في تكوينه ، تربوياً وثقافياً وعلمياً ، من أجل تحقيق الوحدة الثقافية بين أبناء الوطن العربي . وأكد في كلمة الختام أن كل تجديد وإصلاح يصطلم بحيرة هنا وتساؤل هناك ، يكون سبباً في إثارة قلق ومخاوف لدى البعض ، أو يدفعه لسوء تأويل ● ●

— ترميم المخطوطات خطوة من أجل التراث :

عقد معهد المخطوطات العربية دورة تدريبية في دمشق حول ترميم المخطوطات وصيانتها ، استمرت من ٥ آب - ٢ أيلول سنة ١٩٩٥ ، ويواقع أربع ساعات ونصف يومياً ، تناولت الدورة العديد من الموضوعات المتعلقة تعلقاً وثيقاً بترميم المخطوطات وصيانتها ، مثل : التعقيم ، والعوامل العفيمية والبيولوجية ، وطرق تنظيف الورق ، والكشف عن حموضته ومعالجتها ، وطك الاوراق الملتصقة ، وترميم القطوع المائلة والحادة والتفتت والكسور ، واستكمال الأجزاء الناقصة ، واستخدام أسلوب القص واللصق المباشر ، والعوامل المكثفة لمواد الكتابة ، والحشرات والوعاء وأضرارها ، وطرق تحضير الأصباغ المستعملة في ترميم الأغلفة الجلدية وتنظيفها وتعيمها ، وحيد بالذكر أن أغلفة المخطوطات نوات طبيعية خاصة ، وتحتاج إلى مهارات دقيقة لما تتمتع به أغلفة عدد كبير منها من طبيعة فنية تتجلى فيها الخطوط والرسوم والألوان مما يعطيها قيمة فنية ينبغي الحفاظ عليها . ونظم المعهد دورة تدريبية أخرى في تموز ١٩٦٦ بالتعاون مع المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة وهي الدورة الثانية في سلسلة دورات المعهد الخاصة بالترميم ، في حين تعد الرابعة في سلسلة دورات المنظمة الإسلامية .

— تاريخ الطباعة العربية :

نظم مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث في دبي ندوة عن تاريخ الطباعة العربية حتى نهاية القرن التاسع عشر في أثناء ٢٢ و ٢٣ من شهر تشرين الاول ، عرض الباحثون فيها

• تجدر الإشارة الى أن التحديث والتجديد والاصلاح الذي يمتس التكوين التربوي والثقافي والعلمي ينبغي الا ينفصل عن المرجعية العربية وتحتيق هوية الامة .

• نتيجة للحصار الثقافي فإن عدداً من الاخبار يصل الينا متاخراً .

التراث الخطرة والخطية ، كان من أهمها الأزمة التي يعاني منها العمل العربي المشترك في ميدان التراث خصوصاً ، والثقافة عموماً .. وقد أقيمت الندوة تحت عنوان «معهد المخطوطات العربية : وتاريخ الماضي ورؤى المستقبل» وتضمنت ، فضلاً عن الجلسة الافتتاحية ، أربع جلسات علمية ، ألقى في كل جلسة منها بحثان . وقد بحث المشاركون في أثناء الجلسات قضايا العمل التراثي العربي المشترك ، والمعوقات التي تعترض طريقه ، والآفاق المستقبلية التي ينبغي أن يبرتها ، وهو على أبواب القرن الحادي والعشرين ، واستعرضوا الجهود التي بذلها المعهد على مدى خمسين عاماً مضت ، وقوموا هذه الجهود ، ملوهين بما أسفرت عنه من خدمات مهمة لتراث الأمة المكتوب ، ومشيرين إلى أوجه القصور .

ومن أخطر القضايا التي عرضت في الندوة ما تحدث فيها الدكتور أحمد درويش عن أزمة العمل التراثي في ضوء مفهوم الثقافة : رؤية تاريخية .

وقد أكد في ورقته أن معهد المخطوطات في أثناء خمسين عاماً من عمره أدى دوراً رئيساً في المحافظة على فكرة التراث المشترك حياً وناضجة ، من خلال رصد المخطوطات وتصويرها وترميمها وكتابة التقارير عن تجمعاتها في المناطق البعيدة ، وطبع ما يستطيع أن يطبعه منها ، والتنسيق مع المكتبات العالمية والعربية في هذا الصدد ، وإصدار مجلة للمخطوطات ، والمشاركة في إعداد أجيال جديدة من المحققين من خلال دورات علمية جادة .

وقال : إن التراث ومجال الحركة فيه على الرغم من ضيقها خلال الفترات الماضية ، يتعرض الآن لموجة قاسية من الهجوم المخطط له بعناية ، وهو هجوم تنبع كثير من نوافعه من خارج هذا التراث وعلى يد من لا ينتمون إليه ، لكن جزءاً آخر خطيراً يتم على يد أبناء هذا التراث نفسه بوعي أو بدون وعي ، ويجذر هذه الموجة تمتد إلى سنوات الصراع الطويل منذ زمن الحروب الصليبية إلى سنوات الحرب بين دولة الخلافة الإسلامية والتجمعات السياسية في أوروبا ، مروراً بالمصر الاستعماري الذي كانت الدول الإسلامية مسرحه الرئيس وطعامه الملتهم ، وتنتهي في جولتها الأولى باقتسام تركة الرجل المريض اقتساماً لم يصف كل الخلاف بين المهاجمين أنفسهم ، فظلوا في تجمعات تتقابل في حذر ويتخذ بعضها بعضاً عدواً لشحذ الأسلحة ، ويتخلون معاً أرض التراث العربي والإسلامي منطقة صراع تجري عليها لعبة الشد والجذب ولا تتخلع فيها غالباً إلا أذرع الضعفاء من أبناء عالمنا . لكن هذه الخلافات وقد جسمت الآن - ولو مؤقتاً - على نحو أو آخر ، اتفق الجميع على أن يكون «التراث العربي الإسلامي» هو العدو المعلن ، وأن توجه إليه كل قوى التدمير ... وأن يتم اقتناع العالم بالتوحيد

ضده واقتناع ابنائه بالنظور منه والتبرؤ من الانتماء إليه .

ليشرف بصفة الانتماء إلى دائرة «المواطن العالمي المتحضر» في الوقت الذي يشجع فيه التراث اليهودي الملاصق والمنافس ، على أنه يمثل الأصل البعيد للحضارات العتيقة والضورة القريبة لاندماج الحضارات الحديثة .

ونعاً إلى مواجهة ذلك بتخطيط ثقافي واع يوجه إلى الداخل قبل أن يوجه إلى الخارج ، ويفرق بين مفاهيم الأصالة والجمود ، ويتوجه إلى العمل التراثي نفسه بالتجلية والتحليل واستقصاء العناصر التي يمكن أن تواجه عقل المثقف اليوم وليس عاطفته فقط ، والحرص في المستويات الأكاديمية العالية على رموز هذا التراث وروحه ، والنهوض بفكرة التحقيق وقيمتها العلمية ، واعتبارها هدفاً ينبغي التخطيط له في وعي من أجل الحصول على نتائج معينة محدودة في مجالات تعرف سلفاً وتغطي جوانب الأدب والعلوم الدينية والاجتماعية والتراث العلمي والفني ، ويتم التنسيق بين الجهود في هذا الصدد من خلال الوسائل العلمية الحديثة .

ومن القضايا الخطيرة ما عرضه الدكتور يوسف زيدان في الجلسة الرابعة للندوة والتي رسم فيها خريطة المستقبل للمعهد ، وأشار إلى أنه بمقارنة مآل المعهد على أرض الواقع بما قدمته المؤسسات السياسية يمكننا القول : أن ما حققته الجامعة العربية - منذ نشأتها - على صعيد العمل الثقافي يفوق بمراحل ما قدمته في المجال السياسي .. فالبلاء العربية توجدها الثقافة بأكثر مما تتحد تحت مظلة السياسات والثقافة باقية ، والسياسات عرضة للتبدل ومداومة التغير في المواقف . وعلى أي الأحوال ، فليس موضوعنا هو المقارنة بين «السياسي» و«الثقافي» العربي ، وإنما هي إشارة إلى أولوية الثقافي على السياسي ، كمقدمة للكلام على المستقبل . وأوضح أن مسابقة التحولات تقتضي ديناميكية ذهنية وتطويراً دائماً ، ليس للمفاهيم العامة للتراث فحسب ، وإنما يجب أن يصل التطوير إلى تفصيلات العمل التراثي ، فنظم الفهرسة الوصفية ، لا بد لها من تطوير دائم ، ومناهج تحقيق التراث ، لا ينبغي لها أن تتوقف عند الأطر القديمة - التي وضعها المستشرقون أصلاً - بل لا بد من تطوير دائم لهذه المناهج ، وقاعدة المشتغلين بالتراث ينبغي أن تتسع لتشمل الأجيال الجديدة .

وقال : إن على التراث مسؤولية كبيرة في تصديق المعرفة وتشكيل العقول من خلال غرس الخلاصات التراثية المتبقية بعناية وبمجه في برامج التعليم . وإلا ، فلماذا يتعرف التلاميذ عندنا إلى إقليدس أكثر مما يتعرفون إلى ابن سينا ، هل لأن إقليدس يمثل تراثاً عالمياً ؟ إن ابن سينا هو الآخر يمثل هذا التراث العالمي في انصع تجلياته ... المسألة إذن ، أننا نابعنا الغرب في تصديقه الخاص للعقول ، ولم نتخذ موقفاً نقدياً بصدد هذه المسألة .



- مؤتمر مجمع اللغة العربية بالقاهرة :

عقد المجمع مؤتمره في اثناء المدة من ٢٨ من شوال الى ١٣ من ذي القعدة ١٤١٦ هـ . وقد تضمن المؤتمر خمس عشرة جلسة كانت الاولى مخصصة للافتتاح ، وفي الجلسة الثانية ألقى د. محمود علي مكي محاضرة بعنوان : الاستشراق الاسباني والدراسات العربية الاسلامية . وفي الجلسة الثالثة نظر الاعضاء في مصطلحات الفيزيقا ، والعلوم الطبية ، وألقيت فيها ثلاثة بحوث : الاول : القواميس المدرسية المتداولة للشاذلي القليبي . والثاني : الاعلام الجغرافية في رحلة ابن بطوطة للدكتور عبد الهادي التازي . والثالث : دراسة في علم تاريخ الافكار للدكتور احمد صدقي الدجاني . وفي الجلسة الرابعة نظروا في مصطلحات الجيولوجيا ، ومصطلحات التربية ، ومصطلحات علم النفس . واستمعوا الى ثلاثة بحوث كان اولها : عن الاصوات المتوسطة والاصوات الذلقة ، للدكتور كمال محمد بشر . والثاني : عن رحلة الشاعر الخاقاني الشرواني الى الحرمين الشريفين للدكتور مهدي محقق والثالث عن « قاموس البلاد المصرية لمحمد رمزي » للدكتور محمد السيد غلاب . وقد خصت الجلسة الخامسة لتأبين الدكتور ابراهيم بيومي مذكور . أما في الجلسة السادسة فقد نظر الاعضاء في مصطلحات الكيمياء ومصطلحات الشريعة ومصطلحات الفلسفة ، ثم ألقى الاستاذ الشاذلي القليبي بحثاً عنوانه : ألفاظ وتراكيب شائعة . والدكتور كمال محمد دسوقي بحثاً : الولاية والولاء والموالة في « لسان العرب » وفي « السياسة الشرعية » . وخصت الجلسة السابعة لتأبين الدكتور عدنان الخطيب ، وكانت الجلسة الثامنة للنظر في مصطلحات علوم الاحياء ، ومصطلحات الادب ، واعمال لجنة اصول اللغة . ثم ألقى الدكتور ناصر الدين الاسد بحثاً عن ( البلغاء في كتب الجغرافيين العرب ) والدكتور محمد رشاد الحمزاوي بحثاً عن ( مقاييس ابن فارس ومفهوم المعنى ) . ونظر الاعضاء في الجلسة التاسعة في مصطلحات القانون الدولي والفاظ الحضارة . أما البحوث فهي : خواطر عن اسماء بعض الاماكن في بلدنا للدكتور عبد الله الطيب ، ( الحسن بن احمد الهمداني وكتابه الاكليل ) للدكتور محمد احسان النص . وفي الجلسة العاشرة ألقى الدكتور شوقي ضيف محاضرة تحت عنوان : عالمية الاسلام . وفي الجلسة الحادية عشرة نظروا في مصطلحات الهندسة واعمال لجنة الالفاظ والاساليب . ثم ألقى د. محمد يوسف الحسن بحثاً « دفاعاً عن التعريب في اللغة العربية العلمية » والاستاذ علي رجب المدني بحثاً « العربية ميراث انساني على العرب ان يقدموه للعالم ليمكنوه من تعلمها واستيعاب بلاغة ماكتب بها » . وفي الجلسة الثانية عشرة ألقى الدكتور كمال محمد بشر محاضرة تحت عنوان : النحو ليس الإعراب والإعراب ليس

النحو . وفي الجلسة الثالثة عشرة نظروا في مصطلحات الرياضيات والتاريخ والاثار والنفط . اما البحوث فكانت : الاعلام الجغرافية في الشعر الجاهلي للدكتور يحيى جبر ، و« اللغة العربية في الجزائر اثناء الاحتلال الفرنسي » للدكتور ابو القاسم سعد الله . وفي الجلسة الرابعة عشرة نظروا في نموذج من المعجم الكبير ، ثم ألقى د. محمود مكي بحثاً عن ( البرتغال وماضيه العربي الاسلامي ) ود. عبد الرحمن الحاج صالح بحثاً « أقائم أخواك ؟ وطريقة تفسيره عند سيبيويه والرضي » ود. حسن عبد اللطيف الشافعي بحثاً عنوانه : ( نحو علم للقواعد الاعتقادية الشرعية » . اما الجلسة الخامسة عشرة فكانت للقرارات والتوصيات وكلمة الختام .

- مؤتمر لتعريب العلوم :

نظمت جامعة الازهر مع الجمعية المصرية لتعريب العلوم المؤتمر السنوي الثاني لتعريب العلوم في اثناء يومي ٢٠ و ٢١ آذار ١٩٦٦ . ويهدف المؤتمر الى حل المعوقات وإبراز المنجزات الحالية وايضاح سبل اختراق الحواجز .

● - فهرس المخطوطات :

- فهرس مخطوطات جامعة الاسكندرية :

صدر عن معهد المخطوطات العربية « فهرس مخطوطات جامعة الاسكندرية » الذي أعده د. يوسف زيدان في جزأين . وضم وصفاً لـ ١٤٦٧ مخطوطة وبلغ عدد صفحات الجزء الاول ٤١٨ صفحة والجزء الثاني ٤٢٩ صفحة . وقد صنف المخطوطات في مجموعات وتمتد مجموعة جعفر ولي باشا من انفس المجموعات الخطية في مصر وهي اهم مجموعة بالمكتبة وتحتوي على ٦٨٣ مجلداً عربياً تشتمل على ٩٢٠ عنواناً عدا المصاحف والمخطوطات غير العربية .

- فهرس المخطوطات المصورة القسم الخامس ( الادب ) :

صدر عن معهد المخطوطات العربية هذا الفهرس ويتضمن القسم الخامس الذي أعده عصام محمد الشنطي المخطوطات المصورة المحفوظة في خزانة المعهد في فن الادب . والتي تبدأ عناوينها بحرف الصاد فما بعده . وذيل الفهرس بثلاثة اثبات : الاول لعناوين الرسائل المتداخلة ، والثاني لاسماء المؤلفين ، والثالث لاسماء النساخ . وقع الفهرس في ٢٢٧ صفحة من القطع المتوسط .

● - أخبار المحققين والباحثين :

- ديوان عثمان بكناش الموصلي - جمع وتحقيق ودراسة ، نال عليه شهادة الدكتوراه السيد احمد حسين الساداني من جامعة

الموصل - كلية الاداب - وهو باشراف الاستاذ الدكتور عبد الوهاب العدواني .

- مرويّات النضر بن شميل اللغوية جمع وتحقيق ودراسة - نال عليها شهادة الدكتوراه السيد محمد سميد حميد من جامعة الموصل - كلية الاداب . والرسالة باشراف الدكتور طالب عبد الرحمن .

- الاتساع في اللغة عند ابن جني ، رسالة دكتوراه تقدم بها السيد حسن سليمان الى جامعة الموصل - كلية الاداب ، وهي باشراف الاستاذ الدكتور مجي الدين توفيق .

- جهود الكرمانلي اللغوية والنحوية في شرح صحيح البخاري ، رسالة دكتوراه تقدمت بها الى جامعة الموصل - كلية الاداب سهيلة طه محمد وبإشراف الاستاذ الدكتور كاسد ياسر الزبيدي .

- الدرس الصرفي في شروح الشافية - رسالة دكتوراه تقدمت بها سناء طاهر محمد الى جامعة الموصل - كلية الاداب وبإشراف الاستاذ الدكتور طارق عبد عون الجنابي .

- كتاب الاحاطة في أخبار غرناطة لابن الخطيب دراسة تحليلية في نصه الشعري ، رسالة دكتوراه تقدمت بها الى كلية الاداب بجامعة الموصل السيدة نزهة جعفر حسن وبإشراف الاستاذ الدكتور حازم عبد الله خضر .

- الدرس النحوي في الكتب التعليمية إبان القرن الرابع منهجه وتطبيقاته ، رسالة تقدم بها السيد معن عبد القادر بشير الى كلية الاداب بجامعة الموصل ونال عليها شهادة الماجستير وكانت باشراف الدكتور عماد عبد يحيى .

- المنهج السالك الى مقاصد ألفية ابن مالك لمحمد امين بن خير الله العمري الموصلي المتوفي سنة ١٢٠٣ - تحقيق ودراسة . انتهى من تحقيقها السيد عبد الجبار احمد صالح وسيقدمها الى كلية الاداب بجامعة الموصل لنيل شهادة الدكتوراه وهي باشراف الاستاذ الدكتور عبد الوهاب العدواني .

- ما أقره ابن مالك من الاساليب العربية الماثورة - دراسة نحوية نقدية . رسالة تعدها طالبة الدكتوراه هدى طاهر محمد وبإشراف الاستاذ الدكتور عبد الوهاب العدواني .

- الازهري مفسراً في تهذيب اللغة - رسالة ماجستير بعدها السيد ماهر جاسم وبإشراف الاستاذ الدكتور مجي الدين توفيق .

- جهود النووي اللغوية في شرح صحيح مسلم . رسالة ماجستير تعدها الطالبة زهراء خالد العبيدي وبإشراف الدكتور حازم سعيد يونس .

- الفوائد في اختصار المقاصد ، او القواعد الصغرى ، لسلطان العلماء عز الدين بن عبد السلام السلمي ، انتهى من تحقيقه الاستاذ ايام خالد الطباع من مركز جمعة الماجد . وسبق لهذا الكتاب ان طبع ، وتزيد هذه المطبعة بمقدار الثلث عن النسخة

المطبوعة سابقاً ، كما انتهى من تحقيق ( مقاصد الرعاية لحقوق الله عزوجل ) للعزّ أيضاً ، ويقوم ايضاً بتحقيق كتابين للعزّ هما الفتاوي المصرية والفتاوي الموصلية .

- المزهري في علوم اللغة للسيوطي ( ت ٩١١ هـ ) ، يقوم الدكتور رمضان عبد التواب وتلميذه الدكتور رجب عثمان بتحقيق ( المزهري ) وسيصدر الكتاب عن مؤسسة الخانجي للنشر بالقاهرة . ويعتمد المحققان على خمس نسخ خطية بعضها يعود الى عصر السيوطي نفسه . وجدير بالذكر ان الكتاب كان قد حققه : محمد احمد جاد المولى ، علي محمد البجاوي ، محمد ابو الفضل ابراهيم ، وكان قد صدر عن دار احياء الكتب العربية القاهرة . وطبعة الرابعة كانت سنة ١٩٥٨ .

- انشاد الصوال وارشاد السؤال ، لابي عبد الله بن هانئ اللخمي السبتي ( ت ٧٢٣ هـ ) يعمل على تحقيقها د . عبد الكريم عوفي في معهد اللغة العربية وآدابها بجامعة باتنة - الجزائر . والمخطوطة اختصار لـ ( المدخل الى تقويم اللسان وتعليم البيان لابن هشام اللخمي ) ( ت ٥٥٧ هـ ) .

- تلطيف المزاج من شعر ابن الحجاج . وهو الشاعر الحسين بن احمد بن محمد بن جعفر ابو عبد الله النيلي البغدادي ( ت ٢٩١ هـ ) ، انجز تحقيقها نجم عبد الله مصطفى وهي تحتوي على ٦٧٧٣ بيتاً وعلى ( ٣٠٥ ) مقطوعات في ( ١٧ ) غرضاً شعرياً .

- شرح لامية العرب لابي زكريا يحيى بن علي المعروف بالخطيب التبريزي ( ت ٥٠٢ هـ ) انجز تحقيقها الدكتور محمود محمد العامودي وقد اعتمد على نسخة خطية ، وصفها بأنها وحيدة وهي محفوظة ضمن مجموعة في مكتبة برلين .

- كما انجز الدكتور العامودي بحثاً عن ( عقيل بن علفة المري ) جمع فيه شعره وشرحه وحققه .

- التبيان لبديعة البيان ، لابن ناصر الدمشقي ، انتهى من تحقيقها السيد محيي الدين علي نجيب ، وقد اعتمد المحقق على نسخة محفوظة في المتحف البريطاني . والتبيان شرح لمنظومة في طبقات الحفاظ للمؤلف نفسه .

- نخائر المعقبى في مناقب ذوي القربى ، لمحب الدين احمد بن عبد الله بن محمد الطبري ( ت ٦٩٤ هـ ) حققه فريدريك باوند ( بلجيكي ) لنيل درجة الدكتوراه .

- إسفار كتاب الفصيح ، لابي سهل محمد بن علي الهروي ( ت ٤٣٣ هـ ) حققته ندى محمد كمال لنيل درجة الماجستير .

- ضياء الدين بن الاثير : دراسة في تراثه النقدي ، دراسة اعدّها عرفة حلمي عباس لنيل درجة الدكتوراه باشراف الدكتور شوقي ضيف ، تهدف الدراسة الى الكشف عن الخصائص المميزة لنثر ابن الاثير من ناحية ، وكذلك عن نظريته النقدية في الكتابة

النثرية من ناحية أخرى .  
 - تحقيق ودراسة المقالات الثانية حتى السادسة في الهندسة  
 المستوية في كتاب : في حل شكوك كتاب اقليدس في الاصول  
 وشرح معانيه لابن الهيثم . رسالة دكتوراه في العلوم الاساسية  
 للسيد فؤاد عويلة باشراف د . سامي شلهوب .  
 - قبيلة خولان بن عمرو ودورها في تاريخ العرب قبل الاسلام .  
 رسالة دكتوراه للسيد شاكر مجيد كاظم باشراف الاستاذ الدكتور  
 منذر عبد الكريم استاذ تاريخ العرب قبل الاسلام في كلية الاداب  
 بجامعة البصرة .  
 - الرئي في العراق في العصر الاموي . رسالة ماجستير تقدمت بها  
 مها الشعار إلى معهد التراث العلمي العربي بجامعة حلب ،  
 اشرف على الرسالة د . محمود فيصل الرفاعي .  
 - علم الضوء عند ابن الهيثم . رسالة ماجستير في تاريخ العلوم  
 الاساسية لبتينة جلاخي وباشراف د . سامي شلهوب .  
 - السهيلي مفسراً ، رسالة جامعية أنجزها بنيونس الزاكي في  
 وجبة - بالمغرب .  
 - شرح التسهيل ، للشيخ خالد الازهري ، أنجز - بحري عبد  
 الرازي عبد اللطيف تحقيق ودراسة الجزء الاول من شرح  
 التسهيل ، وقد اشرف على عمله الدكتور فايز زكي رباب . وهو  
 مقدم الى كلية اللغة العربية بجامعة الازهر للحصول على درجة  
 الدكتوراه في اللغويات .  
 - المشترك اللفظي في القرآن الكريم - دراسة دلالية في متن  
 كتاب الفيوز ابادي بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب  
 العزيز . رسالة تقدم بها عبد الرحمن عزيز الى كلية التربية

بجامعة الموصل لنيل درجة الماجستير باشراف ا . د . عبد  
 الوهاب العدواني .

- رمزية الانثى في الشعر الجاهلي . رسالة دكتوراه اعدّها  
 مصطفى حسن حداد وباشراف الدكتور محمود علي مكي . اتبع  
 الباحث منهج النقد النماذجي او الاسطوري ، وقد درس تشكّل  
 رموز الانثى في النص الواحد وصلة هذا التشكّل بنصوص أخرى  
 في محاولة للوصول الى ثوابت بنائية نمطية تجتمع عليها  
 نصوص الشعر العربي قبل الاسلام التي تشكّل في مجموعها  
 نصاً نموذجياً .

- قضايا معاصرة في نقد عبد القاهر الجرجاني . رسالة دكتوراه  
 في النقد العربي القديم للسيد ناصيف محمد ناصيف باشراف  
 الدكتور محمد زكي العشماوي في كلية الاداب بجامعة  
 الاسكندرية .

- كتاب المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والاثار ، لتقي الدين  
 احمد بن علي بن عبد القادر المقرئ ( ت ٨٤٥ هـ ) حقيقه د .  
 ايمن فؤاد سيد ، وصدر عن مؤسسة الفرقان للتراث الاسلامي -  
 لندن .

- نزعة الجلساء في اشعار النساء ، لجلال الدين السيوطي ( ت  
 ٩١١ هـ ) حقيقه محمود حكلا ومحمد حكلا . اعتمد المحققان  
 مخطوطة دار الكتب الظاهرية بدمشق واستفادا من طبعة د .  
 صلاح الدين المنجد الصادرة عام ١٩٥٨ . ومن طبعة عبد  
 اللطيف عاشور . قدم الكتاب د . عبد الاله نبهان وصدر في  
 ١٢٧ صفحة في مدينة حمص .

• • •

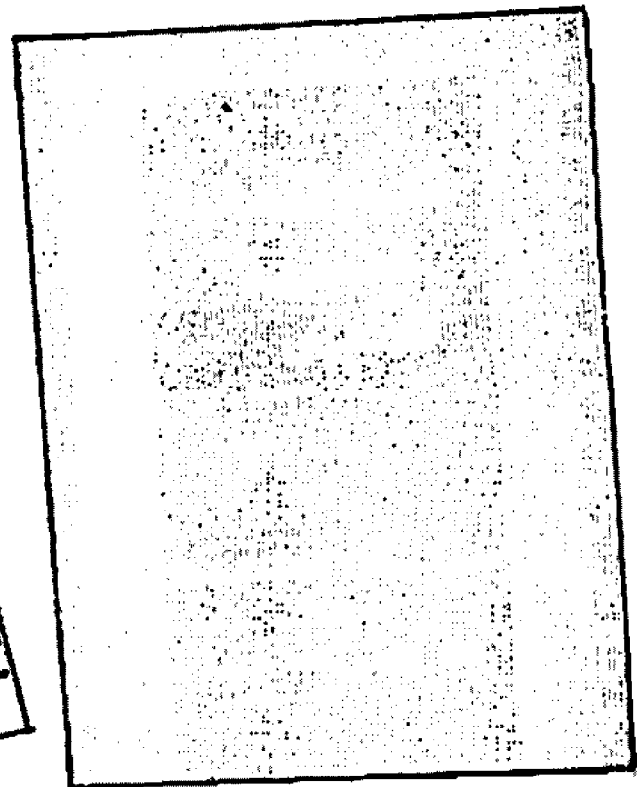
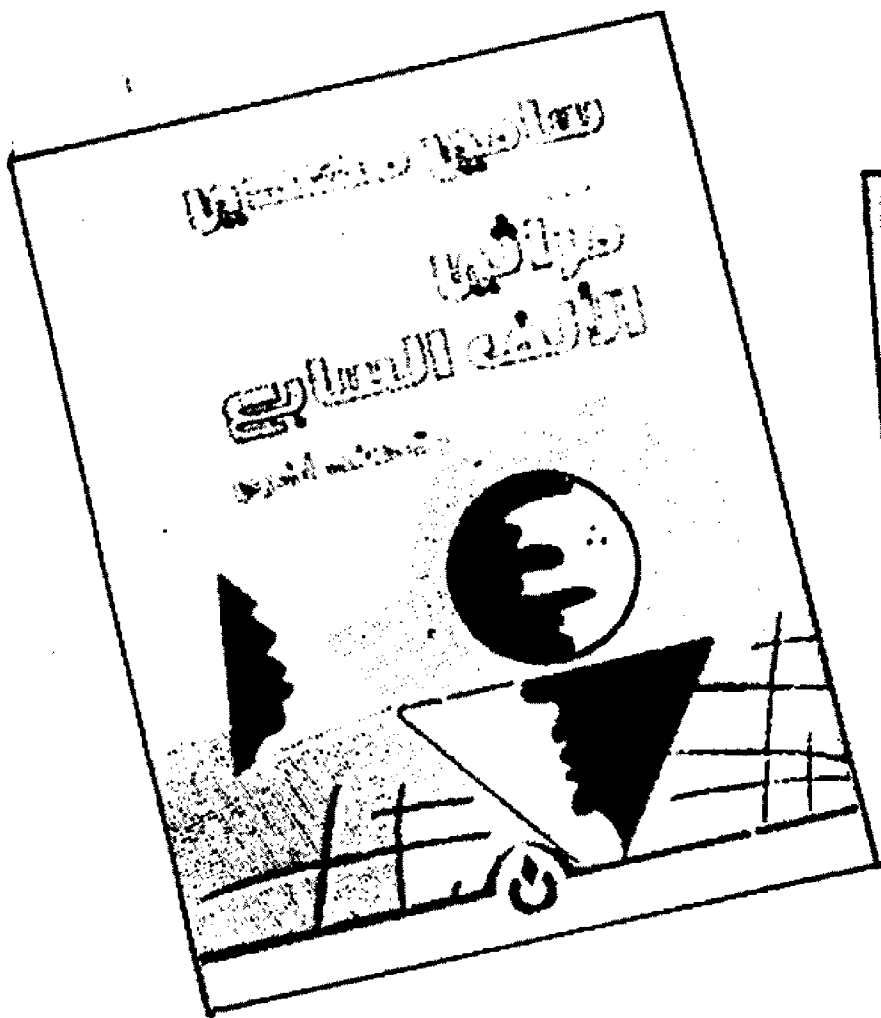


صدر حديثاً

عن دار الشؤون الثقافية العامة

دار الشؤون الثقافية العامة

صدر عن





# AL-MAWRID

BIANNUAL JOURNAL OF CULTURE AND HERITAGE

ISSUED BY THE HOUSE OF PUBLIC CULTURAL AFFAIRS

THE MINISTRY OF CULTURE AND INFORMATION

volume 25 - Number -2 - 1997

[WWW.ATTAWHEEL.COM](http://WWW.ATTAWHEEL.COM)

أسبوعيات

سنة الممثلة : ( ١٤٠٠ ) ديناراً  
الطلاف : بهلة محمد عبد الوهاب